

قَوْلُ عَدِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْخَطِّابَةِ وَفَقْهُ الْجُمُعَةِ وَالْعِيدَيْنِ

تأليف
أ.د. أحمد أحمد غلوش
عميد كلية الدعوة الإسلامية الأسبق
جامعة الأزهر

مؤسسة الرسالة
ناشرون



قَوْلُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ
وَفَقْهُ الْجُمُعَةِ وَالْعَيْتَيْنِ

الطبعة الثانية
١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

رقم الإيداع ٢٠٠٧/٥٢٢٦
التسجيل الدولي : 1 - 4463 - 17 - 977 - I.S.B.N.

المركز القومي للطباعة

المنطقة الصناعية الثانية - قطعة ١٣٩ - شارع ٣٩ - مدينة ٦ أكتوبر

٨٢٢٨٢٤٤ - ٨٢٢٨٢٤٢ - ٨٢٢٨٢٤٠ : ☎

e-mail: pic@6oct.ie-eg.com

الطبعة الأولى
القاهرة في ١٩٧٨ م

الطبعة الثانية
القاهرة في ٢٠٠٧ م



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الطبعة الثانية

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

فإني أتوجه بالشكر لله تعالى ولكل من قرأ كتابي " قواعد الخطابة وفقه الجمعة والعيدین " في طبعته الأولى التي قررت بعد نفاذها أن أقوم بطبعه طبعة ثانية أتلافى فيها بعض الغموض الذي كان بالطبعة الأولى ولأضيف إلى الطبعة الثانية الكثير من خبرات العمر ، وتقدم العلوم .

وسوف أحافظ بعون الله تعالى على الهيكل العام للكتاب من ناحية التقسيم والترتيب مع تنظيم محتوياته وتوضيحها .

والحمد لله فلقد أهتم العلماء والدعاة بالخطابة نظريا وعمليا ، ولم يعد هناك من يشكك في كونها علما أساسيا في مجال الدعوة إلى الله تعالى .

ومع ثبات قواعد العلم وأساسياته أرى الحاجة إلى الممارسة العملية ، وأهمية الخبرة الواقعية التي تكسب الدعاة الشجاعة الأدبية ، والثقة النفسية ، والثبات في المواجهة ، وعند المواقف الطارئة .

ولهذا فإني بعون الله تعالى سأبرز الملامح والركائز التي يحتاج إليها الخطيب كلما أمكن ... مع بيان وتوضيح بعض الخطب لرسول الله ﷺ وخلفائه الراشدين مفصلا لمنهجية العلمية المستفادة من هذه الخطب .

واسأل الله سبحانه وتعالى أن يتقبل مني العمل خالصاً لوجهه الكريم ،
 وأن ينفع به ، ويجريني عنه بكرمه سبحانه وتعالى وتعالى في الدنيا والآخرة ،
 وأن يرزقني به الجنة . فهو على كل شيء قدير . وهو حسبي ونعم الوكيل .

أ.د / أحمد أحمد غلوش

أول رمضان سنة ١٤٢٧ هـ
 ٢٤ ستمبر سنة ٢٠٠٦ م

مدينة نصر

سَمَاءُ الْخَيْرِ الْجَمِيَّةِ

مقدمة

الطبعة الأولى

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أكرم المرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

وبعد ...

فإن الخطابة فن من فنون الأدب الرفيع ذات التأثير النفسى والتوجيه الاجتماعى الأصيل ، ولأهميتها كانت صلتها بسائر العلوم واضحة . ويرغم نشأة الخطابة بصورة فطرية فإنها صارت علما كاملا بموضوعه الذى يميزه عن غيره من العلوم ، وبخاصة بعد أن ألف أرسطو كتابا مستقلا عن الخطابة ترجمه ملخصا للفيلسوف ابن رشد . وبعدهما كثرت المؤلفات عن هذا العلم ... وتعددت المناهج التى احتوتها هذه المؤلفات ... ويرجع السبب فى اهتمام المتأخرين بالخطابة إلى إحساسهم بالدور الخطير الذى تؤديه فى الفرد وفى الجماعة مهما كان مستواه العلمى والأبى .

ولقد وفقنى الله تعالى فى إخراج كتابى " علم الخطابة " و " الخطابة العملية " قصدت بهما تأصيل الخطابة كعلم له ذلته المستقلة عن سائر العلوم لينال حقه الواجب من العلماء والباحثين ، وبخاصة أولئك اللذين حباهم الله سبحانه وتعالى ، ووضعهم فى ريادة التوجيه ، وأمانة التربية والبناء . وكتابى هذا امتداد للكتابين السابقين أوجز فيه القواعد الأساسية لعلم الخطابة ثم أفصل فى فقه الجمعة والعيدى لما لهما من صلة وثيقة بالخطابة .

مع التركيز على التصور الشرعي ليوم الجمعة بما فيه من علم وعبادة . وعمل وهدى .

إن الخطبة الدينية في الإسلام تعد أصلاً للإعلام الديني ، وتضع لسياق الاتصال بالجمهير بما تحويه من العناصر ذات التأثير النفسي ، والإقناع للعقل ، والجذب الوجداني ، والدعاة إلى الله تعالى يحملون رسالة سامية تهدف إلى صناعة الإنسان بمنهج الله ، وتوجيهه نحو خالقه ، وإنقاذه من التردى في هاوية لغى والضلال والارتقاء به في عالم للخير والنور والجمال .. وهذا الأمر ليس سهلاً لأن الإنسان يقاد من داخله ، ولأنه يعمل عادي أن يقوم بتغيير الإنسان من باطنه ! وبخاصة في عالمنا المعاصر الذي تعددت فيه ألوان الهوى وكثرت خلاله مذاهب الهدم بأساليبها الخبيثة ، وإمكانياتها الكثيرة .

إن الدعوة إلى الله تعالى هي الجهاد في الحقيقة ، والدعاة هم المرابطون المسلمون وعليهم أن يدركوا دورهم ، ويفقهوا رسالتهم ويعلموا أنهم في موضع الرجال الذين وصفهم الله تعالى ﴿ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ حَتَّىٰ تَمُوتُوا بِمَنِّ اللَّهِ أَوْ نَجَاتِهِ ﴾ .^١

والدعاة المخلصون يشعرون بمسئوليتهم ، ويستعدون لها . فإذا تكلموا حسنوا أقوالهم ، وإذا علموا أتقنوا أفعالهم ، وإذا تخلقوا تمسكوا بما جاء من عند الله تعالى ولا يبتغون في مقابل ذلك شيئاً من عرض الدنيا الزائل ، ويسدخون جهودهم ليوم تتشخص فيه القلوب والأبصار لله ، ترجو رحمة ، وتبغى رضا ، وتلتبس قريبا من النبیین والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .
وبمتابعتنا لأعمال الدعاة في العصر الحديث نلاحظ حاجتهم للشديدة لخطبة علمية ترسم لهم الطريق وتحدد الغاية ، وتسهل أمامهم الرسالة ، وليس من المستحسن مطلقاً أن تقوم الدعوة على الشدة والقسوة ، أو بالسب واللعن ، أو بالنفور والضيق ، بل يلزم لها أن تقوم على الحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة

١- سورة النور آية ٣٧ .

بالحسنى كما قامت أولا وكما بلغها رسول الله ﷺ للناس .

لقد شرع الله تعالى خطبة الجمعة والعيدين ، ووضع لهما شروطا يتمكن بها الدعاة من إنجاح رسالتهم ، وتحقيق الأمانة التي وجبت عليهم ، ومن حكمة التشريع في هذا تكليف المسلمين بأن يذهبوا للمسجد مصلين . وفي نفس الوقت يتعلمون من خطبهم بعض قضايا دينهم وبخاصة ما يتصل بحياتهم اليومية . ولقد وقتت سعيدا أمام الحكمة من تقسيم الخطبة الواحدة إلى خطبتين ، لأنى أدركت أن الخطبة الأولى تتضمن موضوعا متكاملا ، وأن الخطبة الثانية تتضمن الإجابة على بعض التساؤلات التي يتسورها الخطيب دائرة في الإطار الذي حدده لموضوعه الأول .

لقد سعدت بهذا وقلت لنفسى أليس ذلك ما وصل إليه العلم الحديث مع الندوة المفتوحة ، حيث إياحة الأسئلة بعد الدرس والمحاضرة . إن يوم الجمعة مدرسة فيها الشمول . وفيها الموضوعية وفيها نصرة الإسلام والمسلمين في إطار عبادة مقروضة . قصدت الحديث المطول عن الجمعة بجوار الحديث عن قواعد الخطابة لما بينهما من صلة وتناصر .

وإني أقدم كتابي هذا راجيا له أن يحقق ما يلي : -

- ١- إبراز أهم قواعد علم الخطابة لتكون أساسا للدعاة يعلمونه ويتحركون به على أساس موضوعي متين ليحقق لهم ما يريدون .
- ٢- الاستفادة من الجوانب التطبيقية للخطبة بشكل عام ، ولخطبة الجمعة والعيدين بشكل خاص لتظهر بخصائصها ومزاياها .
- ٣- الوقوف على مزايا يوم الجمعة بمعرفة أهم ما ورد فيه من نصوص وأحكام لينال الاهتمام اللائق به .
- ٤- فقه خطبة الجمعة ، وفهم أركانها ، وشروطها ، وحكمة التشريع منها لسعة حاجة المسلمين لهذه المعرفة .
- ٥- فقه العيدين وبيان مدى ارتباط العبادة في الإسلام بالعلم .

إن الدعاة إلى الله تعالى طرف في الصراع المذهبي الحديث ، وعليهم أن يستعدوا بكل ما يستطيعون ، ولا يتم لهم الاستعداد إلى بالمعرفة الشاملة ، والوقوف على أسس العلوم المختلفة ، والاستفادة منها في القيام بدعوة الناس لله رب العالمين .

وعلى الدعاة أن يتأكدوا من نصر الله ، وأن يتقوا في أنفسهم وعملهم ، وأن يخلصوا لله بقدر الطاقة كلها .

واسأل الله تعالى أن يوفقني ويوفق كل مخلص لدينه للحق والخير .
ولسأله سبحانه أن يتقبل عملي هذا ويجعله لي ذخرا في الأرض وسورا في السماء . فهو سبحانه غايبي ، وما قصدت سواه ، وهو حسبي ونعم الوكيل .

أ.د / أحمد أحمد غلوش

أول المحرم سنة ١٣٩٤ هـ
مدينة نصر
أول ديسمبر سنة ١٩٧٨ م

الفصل التمهيدي

المدخل إلى قواعد الخطابة



تمهيد

التصور العام للعلم من مقدمات دراسة أى علم من العلوم ، وذلك احتياج الأمر ونحن في مجال تقديم دراسة عن علم الخطابة وقواعدها أن ندرس في هذا الفصل التمهيدى عددا من المسائل التي تساعد في تصور علم الخطابة ، وأهميته ، وصلته بالعلوم الأخرى ودوره في الحضارات القديمة والحديثة .

وهذا المدخل ضرورى لعلم الخطابة ، لأن كثيرا من الناس لا يعده علما ويتصوره تدريباً عملياً لفطرة مستعدة ، وممارسة حركية توجد المنااسبات ، والوقائع المختلفة .

وقد ساعد هذا التصور على البقاء ندرة الدراسة في علم الخطابة حين تقارنه بسانر العلوم الإنسانية والإسلامية كاللغسير والحديث . والتاريخ . والاجتماع .

ولهذا كانت ضرورة المدخل لتأكيد الحقيقة العلمية للخطابة لنقف من خلالها على تعريف العلماء للخطابة وندافعهم في تعريفاتهم لننتهى إلى تعريف صحيح للخطابة ، ونشرحه .

ولنعرف كذلك أهمية الخطابة للدعوة الإسلامية ، ودورها مع سائر الأساليب الأخرى .

ولنعلم صلة الخطابة بالعلوم الأخرى ، ودورها في الحضارات المختلفة . ولذا جاءت للدراسة مشتملة على المباحث التالية :

المبحث الأول : تعريف علم الخطابة

المبحث الثانى : أهمية علم الخطابة

المبحث الثالث : علاقة علم الخطابة بالعلوم الأخرى

المبحث الرابع : الخطابة في الحضارات المختلفة

والله ولى التوفيق ،،،

المبحث الأول

تعريف علم الخطابة

اللسان أداة القول كما أن القلم أداة الكتابة ، والقول فنون متعددة تتميز عن بعضها بخصائص معينة أحاطها العلماء بالفحص والدراسة ، تجلية لها ، وتحديدًا لكل نوع .

والخطابة أحد فنون القول ، بل هي أشهرها ، وأصقها بالحياة البشرية بصورة عامة .

وقد استعمل العرب الفعل خطب يخطب من باب قتل ، يتعدى بنفسه ، وبحرف الجر ، يقال خطبه ، وخطب له ، وخطب فيهم ، وهكذا .

ومصدر الفعل خطبة يضم الخاء على وزن فعلة ، وخطبة بفتح الخاء على وزن فعالة ، ومعنى خطب وعظ على المنبر ، وخطب الناس ، ومن مصادر الفعل أيضا خطبة بكسر الخاء ، ومعناه طلب المرأة للزواج .

وقد استعمل العرب الفعل بفتح الخاء وضم الطاء يقال خطب من باب ظرف ومعناه صار خطيباً^١ .

جاء في المصباح المنير أنه يقال في الموعظة خطب القوم ، وعليهم خطبة بالضم ، وهي فعلة بمعنى مفعولة ، وجمعها خطب ، مثل غرفة وغرف فهو خطيب ، والجمع خطباء وخطيب القوم هو المتكلم فيهم ، وأما خطبة بكسر الخاء فمعناه طلب المرأة للزواج ، وللرجال خاطب المرأة ، وخطاب مبالغة في هذا^٢ .

ويتبع اللفظ في المعاجم اللغوية نرى أن الخطبة بالضم تعنى البيان الشافي ، والموعظة المؤثرة ، والمقالة المؤدية إلى الإقناع والاستمالة ، بينما

١- مختار الصحاح - مادة خطب .

٢- المصباح المنير ، لسان العرب ، الصحاح مادة (خطب)

الخطبة بالكسر تعنى طلب المرأة للزواج كما تقدم .
وقد اهتم العلماء منذ العصور القديمة بالخطابة ، وأردوها بالتأليف
والدراسة .

وأول كتاب مؤلف فى الخطابة هو كتاب " الخطابة " لأرسطو الذى كتبه
باللغة الإغريقية ، وترجم حنيثا إلى العربية ، وقام بتلخيصه الفيلسوف " ابن
رشد " فى كتابه " تلخيص الخطابة " والمؤلفات المعاصرة عديدة لمواكبة أهمية
الخطابة وضرورة تخريج جيل من الدعاة الخطباء لتحقيق نهضة إسلامية .
وقد حاول العلماء وضع تعريف اصطلاحى للخطابة .

يقول أرسطو : الخطابة هى القدرة على النظر فى كل ما يوصل إلى
الإقناع فى أى مسألة من المسائل^١ .

ويعرفها ابن رشد بأنها : قوة تتكلف الإقناع الممكن فى كل واحد من
الأشياء المفردة^٢ .

وبالنظر فى هذين التعريفين نرى اتفاقهما فى تحديد معنى الخطابة كما
ارتأها كل منهما، ونلاحظ أن التعريفين يشتملان على عدد من العناصر المشتركة.
فالخطابة عندهما هى قدرة ، أو قوة أو طاقة تساعد من يتمتع بها على
أداء الخطبة انطلاقا من هذا الاستعداد الذاتى .

وهى عندهما تهدف إلى الإقناع ، ووسائله يقدر الإمكان ، وهى كذلك فى
رأيهما تدخل فى أى موضوع أو مسألة يراد الإقناع بها .

ويلاحظ على هذين التعريفين عدم الدقة فى تحديد المراد بالخطابة
اصطلاحا .

لأن القول بأنها قوة أو قدرة أو طاقة تساعد وتمكن لا يفيد شيئا لأن
الخطابة تتكون من كلام يقوم على القول واللفظ ، أما الاستعداد المعنوى فهو
مرحلة تسبق للخطبة ، وقد لا يستفاد بها أصلا ، فكم من إنسان يملك هذه القدرة

١- الخطابة لأرسطو ج١ ص٩٠

٢- تلخيص الخطابة لابن رشد ص١٥

ومع ذلك لم يخطب مرة في حياته .

وأيضاً فإن تحديد الخطابة بأنها قوة الإقناع فى أى مسألة ، وأى موضوع على أى كيفية كان ليس صحيحاً، لأن التقرير الذاتى، والتأمل الفردى يوصل إلى الإقناع وهو ليس خطبة أصلاً، كما إن إقناع الولد لوالده، والشيخ لتلميذه، والصدى لصديقه فى أى مسألة تنور بين الطرفين ليس بخطبة مع أن التعريف يشملها . ويخص ابن رشد الإقناع بأنه الممكن فى المسألة الممكن الإقناع بها مع أن الخطابة تكون فى الإقناع الممكن ، والواجب ، وفى المسائل الإرشادية العامة التى لا تحتاج إلا لمجرد التنبيه فقط .

وفى الكلمة متنوع ، وكل أنواعه تهدف الإقناع ، والتوجيه ، فالمقالة المنشورة البليغة ، والكتاب الرائع المطبوع ، والصورة الأخاذة ، والمحاضرة الدقيقة ، والصيحة المستغيثة كل ذلك وغيره يفيد الفهم ، والإقناع ، والمشاركة ومع ذلك لا يمكن أن نقول : إن أحداً من ذلك هو الخطبة .

ولهذا نقول بالعلمتان إن تعريفى أرسطو وابن رشد للخطابة تعريفان غير سديدين لأن كلا منهما غير جامع لكل ما هو خطبة ، وغير مانع لدخول غيرها فيها ، كما أنه يجعل الخطبة المستفادة من التعريف شيئاً بعيداً عن الخطبة الاصطلاحية .

ومن خلال نقد ابن سينا للحكام نرى أنه يضع تصوراً يعرف به الخطابة ويحدد معالمها يقول ابن سينا " إن الحكماء قد أدخلوا الخطابة والشعر فى أقسام المنطق ، لأن المقصود من المنطق أن يوصل إلى التصديق ، فإن أوقع للتصديق يقينا فهو البرهان ، وأن أوقع ظناً أو محمولاً على الصدق فهو الخطابة ، أما الشعر فلا يوقع تصديقاً ، لكنه لإقادة التخيل الجارى مجرى التصديق ، ومن حيث أنه يؤثر فى النفس قبضاً أو بسطاً عد فى الكلام الموصل إلى التصديق " . ومن هذه الكلام نرى أن الخطابة عند ابن سينا هى التصديقات التى توقع الظن أو تقرب من الصدق ، ويميزها عن المنطق الذى يراه موصلاً للبرهان

اليقيني ، كما يميزها عن الشعر الذي يراه مفيدا للتحويل ، مثيرا للإنفعالات النفسية .

ونحن نرى خطأ ما ذهب إليه ابن سينا ، لأن ثقته بالمنطق فيها غلو واضح ، فليس كل المنطق مفيدا لليقين فربما أوقع صاحبه في الخطأ إذا بنى قضاياه على تصورات خاطئة .

وأيضاً فإن حصر ابن سينا الخطابة في التصديقات المفيدة للظن غير سديد لأن الخطابة تعتمد على الحقائق المستمدة من الأدلة والمقدمات اليقينية ، كما تعتمد على القضايا الظنية المثيرة للإنفعالات النفسية ، المؤدية إلى التأثير والإقناع ، وأيضاً تعتمد على الخيال الواقعي لمخاطبة العواطف والوجدان .

إن الخطابة الدينية تعتمد على الحقائق الدينية ، وتقصد الوصول إلى اليقين التام ، ولا تعتمد على خيال وهوى .

وكم من خطيب جمع حوله العلماء المتخصصين ، وأقنعهم بالحقائق التي يخاطبهم بها ، وهو في نفس الوقت يقنع العامة ، وأصحاب العواطف المرهفة ، وأهل الثقافات المختلفين .

إن الإنسان عموماً يفتتح بعقله ، ويستثار بعواطفه ، وينجذب بوجدانه وروحه ، والخطيب مسئول عن التوجه إلى هذه الجوانب للمستمعين على تنوعهم .

إن من الحقيقة والواقع تبين خطأ ما ذهب إليه ابن سينا في تصويره للخطابة

وقد حاول العلماء المعاصرون أن يضعوا تعريفاً للخطابة يتلاقون فيه ، المأخذ الموجودة في تعريفات الأوائل فلم يجعلوا الخطابة مجرد قوة أو طاقة ولم يقصروها على الشيء المقنع ، ولم يجعلوها شاملة لكل فنون الكلمة المقنعة ولم يرتضوا لها أن تفيد الظن فقط نعم حاولوا تجنب هذه المأخذ ولذلك وضعوا تعريفات جديدة للخطابة .

يقول د/ أحمد الحوفي " الخطابة هي فن مشافهة الجمهور وإقناعه ،
واستمالته^١ .

ويعرفها آخر بأنها " خطاب يلقى من فرد على جماعة بقصد التأثير في
نفوسهم وإقناعهم بأمر من الأمور^٢ .

وهذان التعريفان يحددان الخطابة في فنها للكلامي الخاص بها ، ويميزاتها
عن بقية فنون الكلام ، وهذا حق .

كما أتتهما يجعلان الخطابة مشتملة على إقناع العقل ، واستمالة الوجدان ،
وإثارة النفس ، وهذا حق أيضا .

لكن التعريفين يقصران الخطابة على جانب التطبيق الخطابي ذلك أن أي
علم يشتمل على المواد الأولية للمكونات الذاتية للمعرفة الخاصة به ، كما
يشتمل على صياغة هذه المواد في قوالب معينة .

ويراد بالمواد الأولية أسس العلم ، ويراد بالصياغة فنية التطبيق لهذا العلم .
ويملاحظة هذين الجانبين في العلم يمكن القول أن تعريفات المحدثين
تنطبق على الجانب الفني للخطابة ، أما أسس العلم وقواعده فقد سكنت عنه ،
وهذا قصور . يجعل الخطابة فطرة ، ومهارة عملية ... ويحرمها من وضعيتها
العلمية التي جعلتها علما أساسيا له قواعده وموضوعه وهدفه .

صحيح أن التطبيق الصحيح يبنى على القواعد والأسس الصحيحة ، لكن
الأولى أن يكون التعريف مشتملا على الجانبين ، لأن الخطابة الفطرية تتضمن
الفن فقط مع الجهل بالأسس والقواعد .

وأیضا فإن تعريف الخطابة بالخطاب تعريف للشئ بنفسه وهذا لا يجوز ،
ولهذا سأحاول أن أصنع تعريفا لعلم الخطابة شاملا لكل أجزاء العلم ممیزا له
عن كل ما عداه مشتملا على الجانبين العلمي والعملی سائلا الله أن يوفقني فما
قصدت إلا الصواب ، والله يهدي إلى سواء السبيل .

١- فن الخطابة ص ٩ ، الدكتور الحوفي كان استاذاً للأدب والبلاغة في كلية دار العلوم .

٢- البلاغة والأدب ج ٢ ص ٩١

تعريف علم الخطابة اصطلاحاً :

الخطابة هي : علم يقتدر بتطبيق قواعده على تمكين شخص عالم به من مشافهة المستمعين ومواجهتهم بألوان متعددة من فنون القول لمحاولة التأثير فيهم ، وإقناعهم وترغيبهم بأمر ما ، وتنشيط الحركة بينهم .

وهذا التعريف للخطابة يتضمن المسائل التالية :

أولاً : بيان أن الخطابة علم كسائر العلوم له موضوعه ، وقواعده ، وأهدافه كما هو الشأن في سائر العلوم ...

ومن المعلوم أن علم الخطابة ليس علماً جديداً مستحدثاً ، بل إنه لازم البشرية من أول وجودها ، لأن الإنسان في بدايته وجد نفسه مضطراً للتعبير الصوتي عن مشاكله وقضاياها ، وخاطب الناس بها ، فيرز خطيباً بصورة تلقائية ، ونحن نعلم أن عديداً من الناس كانت له قضية اضطرروا لعرضها على الغير في صورة خطبة يلقونها على مسامع الآخرين ، بصورة عفوية ... وبالنسبة لتكوين العلوم كانت الخطابة قديمة أيضاً ، لأنها دونت علماً منذ نشأت الفلسفة في بلاد الإغريق .

ثانياً : يعتمد علم الخطابة على مجموعة من القواعد والمبادئ التي يمثل وجودها قوة دافعة لإيجاد الخطبة في عالم الواقع ، فليس وجود القواعد وجوداً للخطبة ، وإنما الخطبة هي مشافهة الناس على أساس هذه القواعد والمبادئ . وقواعد هذا العلم متنوعة منها ما يتعلق بالكلمة ، واختيارها ، وإعدادها ، ومنها ما يتعلق بالمتكلم وفطرته ، واستعداده ، ومنها ما يتعلق بالمستمعين ، وما يتأثرون به ، وما يؤثر فيهم ، ومنها ما يتصل بوسيلة الخطابة وطرقها ، وهكذا .

ثالثاً : تتضمن الخطبة على عدد من فنون القول ، فبعضها يكون نثراً أدبياً وبعضها يكون أسلوباً علمياً ، وبعضها يكون شعراً ، وبعضها يكون قصة وبعضها يكون خيراً أو إرشاداً ... وهكذا تتنوع الفنون بشرط أن تتلاقى مع اختلافها حول الموضوع المعين للخطبة ، ليساهم كل منها في عملية الإقناع ، والاستمالة ، والتوجيه .

رابعاً : تتحدد الخطابة في المقالة المعدة على نحو خاص ، الموجهة مباشرة للناس يلقيها الخطيب على جمع من المستمعين ، وليس منها الندوة التي يتحدث فيها أكثر من شخص ، وليس منها المحاضرة إذ يسمح فيها بالحوار ، والسؤال والتعليق ... وهكذا

خامساً : تهدف الخطابة إلى التأثير في المستمعين ، وتحاول توجيههم نحو موضوع مقصود ... وهي بذلك تخاطب العقل ، وتتاجى الوجدان ، وترضى العواطف ، وهي في بعض أهدافها قد تلتقى مع بعض فنون الكلمة المكتوبة أو المنطوقة لكنها تتميز بتوجيهها إلى العقل ، والعواطف والوجدان في الموضوع الواحد ، وفي وقت واحد .

سادساً : ترتبط الخطبة بالإلقاء الشفهي ، ولذلك فإن سائر ألوان الكتابة لا يعد خطبة ، إلا إذا تحولت إلى كلمات مسموعة يوجهها شخص ما لجمهور من المستمعين .

ولأهمية الخطابة كان لها الدور الرئيسي في صدور الإسلام، حيث خطب النبي ﷺ في يوم الجهر بالدعوة، وكان يخطب في الوفود القادمة، وفي الجيوش لداهية ، وكان عليه السلام يكلف القادر على الخطابة أن يقوم بواجبه تجاه إخوته وتجاه غيرهم بدعوتهم إلى الخير، ويأمرهم بالمعروف، ويناهم عن المنكر . وقد درج العلماء على تسمية الخطابة الدينية بالوعظ وتسمية القائم بها بالوعاظ ، وهذا تضييق لواسع ، لأن الدين يشمل سائر جوانب الحياة ، وكافة أمور الآخرة ، وكل ما تتخيل الخطب فيه من تجارة ، وزراعة ، وصناعة ، وسياسة . وتعلم ، وحرب . هو من أساسيات الدين ولولاه .

صحيح أن الدعاة إلى الله اليوم هم الأئمة والوعاظ الذين يباشرون بخطبتهم جانباً من الدين يكاد ينحصر في باب الأخلاقيات ، أو في تعليم بعض أصول العبادات والتشريعات ، وابتعدوا عن أنواع كثيرة من الخطب القضائية ، والسياسية والعسكرية . وتركوها للمحامين والوزراء والعسكريين ، وقد يكون

هذا من تسمية الخطابة الدينية بالوعظ ، إلا أن هذا ليس أصلاً علمياً ، وإنما يسمى لا حقيقة له .

إن أول خطبة خطبها النبي ﷺ كانت بصفته رائداً حيث قال عليه السلام :
 " إن الرائد لا يكذب أهله ، والله لو كذبت الناس جميعاً ما كذبتكم ، ولو غررت
 الناس جميعاً ما غررتكم . والله الذي لا إله إلا هو إني لرسول الله إليكم خاصة
 وإلى الناس كافة ، والله لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ،
 وتنجزون بالإحسان إحساناً ، وبالشر شراً ، وأنها للجنة أبداً أو النار أبداً ،
 وأنكم لأول من أنذر بين يدي عذاب شديد " . وواجب أن يتبوأ الخطيب مكان
 الريادة دائماً ، ويخوض كافة المجالات باسم الدين ، ليرهم عن حقيقة عوم
 الإسلام وشموله .

إن من ينظر في هذه الخطبة . وفي غيرها كخطبة الوداع مثلاً يرى
 الجوانب الكثيرة ، والشمول الواضح للخطابة الدينية ، مما يجعلنا نرى ضرورة
 شمولها للوعظ وغيره .

وعلى الجملة فإن الخطابة ضرورية للدعوة ، وما أجدرنا أن نقوم بها ،
 ونعد لها رجالاً قادرين على أدائها ، وأن نخلص النية لله ، ونقصد نشر الخير
 لأمتنا وللإنسانية كلها .

لقد تغير الزمان ويبدو أنه أثر في نفسية الناس ، فبعدوا عن التعليم الديني
 وتركوا شرائع الله لدرجة أن أعمالهم وسلوكهم صارت غريبة كل الغرابة عن
 العهد الناصع للإسلام .

إن شعبنا يريد أن يجدد نفسه على أساس " العلم والإيمان " وهما معاً من
 دعوة الله التي نادى بوجوب نشرها ، وتطبيق تعاليمها .
 وللخطابة نورها الهام في حركة التجديد . ويجب أن تتبوأه .

والخطيب الحكيم يستطيع بما وهبه الله عز وجل من نور الحكمة . وقاطع
 الحجة . وساطع البرهان . أن يصحح القلوب ، وينبه العقول . ويطهر النفوس

حتى ترجع عن غيرها . وتعود إلى الاعتدال وتتحدى بالفضائل والكمال ، وتعيش بنور العلم وحلاوة الإيمان .



إن علم الخطابة له ذاتيته الخاصة التي يتميز بها عن غيره من العلوم ، وهو من العلوم التي تحتاج إلى الممارسة الطويلة ، والتدريب المستمر ، ولا يكفي فيه العلم المجرد بالقواعد ، كما أنه يحتاج إلى فطرة مستعدة وقوة شخصية معينة .

ومن هنا كان اجتماع الفطرة الخطابية مع العلم بالقواعد العلمية ، ومصاحبة الخبرة التطبيقية من أعظم المناهج لتخريج خطباء أكفاء يملكون تنفيذ ما يوكل إليهم على وجه سديد .

إن الخطابة علم ينير لدراسة الطريق ولا يحمله على السلوك . هو يعطى المصباح . ولا يضمن لحامله أن يرى لجواز أن يعينه رمدا . وهو ليس هذا كسائر العلوم فليس كل متعلم للنحو ينطق بالفصحى ، ومتعلم المنطق قد لا يعصم ذهنه عن الخطأ — وهكذا سائر العلوم النظرية . تعطى لقانون فقط ولا يتمكن من التطبيق إلا من راض نفسه على قانون العلم وقواعده . يقول ابن رشد : وليس عمل هذا العلم " الخطابة " أن يقنع ولا يد . بل عمله أن يعرف جميع المقنعات في الشيء ويأتي بها في ذلك وإن لم يقع إقناع^١ .



١- تلخيص الخطابة ص ١٣ . ويلاحظ أن ابن رشد يطلق على العلم اسم الصناعة دائما .

المبحث الثاني

أهمية الخطابة للدعوة الإسلامية

الدعوة الإسلامية واجبة التبليغ ، لأنها نزلت من عند الخالق سبحانه وتعالى لإصلاح الحياة والأحياء بالمنهج الإلهي القويم .

والمنهج في حد ذاته لا بد أن يكون واضح المعالم ، معلوما في حركته ، وغايته ، وتناسقه . وتكامله ، وقد حقق الله تعالى لمنهجية الدعوة هذه الحقائق ... إلا أن المنهج يحتاج بعد ذلك إلى من يفهمه ، ويؤمن به ، ويخلص له ، ويوصله إلى الغاية التي تحقق هدفه ، من حيث الذبوع والانتشار ، والإيمان ... وهكذا ... وبدون ذلك يبقى المنهج مستورا في طيات الكتب ، وفي شايها صفحات التراث .

إن الدعوة إلى الإسلام منهج دقيق ، يهدف إلى نشر الإسلام ، وإيصاله إلى الناس جميعا في كل زمان ومكان .

والإسلام مجموعة من التعاليم الإلهية ، المشتملة على عدد من المفاهيم ، القابلة للتطبيق العملي ، المنتظمة في أفعال ، وأقوال ، وأحوال ، محققة بذلك سعادة الناس في الدنيا والآخرة .

وبهذا الفهم المعجل للإسلام ندرك أنه لا يتحرك بذاته شأنه شأن أي فكرة ولكنه يحتاج إلى من يؤمن به ، ويدرك أهميته ، وحاجة الناس إليه ، ويعمل على أن يكون داعية له ، يحمله إلى من يستطيع من الناس ، وبذلك يتحقق للإسلام ما أراد الله له من الانتشار والذبوع .

وليس كل إنسان مؤمن بالإسلام قادرا على تبليغه بالصورة الواجبة ، وفي إطار الشروط التي تجعل البلاغ عملية تربية سليمة ، تبين المفهوم الصحيح للإسلام ، وتوضح منهج التطبيق في أناة ، وتجعل الناس يقبلون أو يعرضون بعد معرفة دقيقة للإسلام ، وفهم صحيح لدين الله تعالى .

ومن هنا كانت ضرورة الدعوة للقيام بعملية الدعوة إلى دين الله تعالى ، وهذه الضرورة مسئولية الأمة المسلمة (أفراد أو جماعات) كل على قدر طاقته وعلى الأمة أن تختار من بينها من يتمتع بالاستعداد الفطرية لعملية الدعوة وتصل هذه الفطرة ، وتنميتها بالعلم ، والمعرفة ، والثقافة ، وبخاصة أن المعارف المعاصرة قدمت العديد المفيد في مجال التوجيه ، والتنقيف ، والتربية ، والقيادة . وبدون هؤلاء الدعوة تبقى الدعوة (الإسلام) كامنة في مصادرها ، بعيدة عن مجالها ، وحينئذ يصير للناس عذر في عدم إسلامهم ، يجيبون به الله حين يسألهم عن عدم إسلامهم قائلين له ما حكاة الله تعالى عنهم في قوله : ﴿ رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَىٰ ﴾^١ .

لقد أرسل الله تعالى محمدا ﷺ للناس وقال له سبحانه وتعالى ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٦﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُبِينٍ ﴿١٠٧﴾ .

وأبناء سبحانه يحمل رسالته ، وحصر وظيفته ﷺ معها في الدعوة والتبليغ فقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾^٢ . وقال سبحانه ﴿ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلِّغُ الْمُرْسَلِ ﴾^٣ . وبذلك وضحت أهمية الرسالة ، والرسول .

وقد قام النبي ﷺ بوظيفته خير قيام ، فبلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، وبذل كل ما أمكنه ليصل الإسلام صافيا نقيًا واضحا لمسائر الناس . وقد استن رسول الله ﷺ سنة حسنة في عملية تبليغ الإسلام فكان يتخير من

١- سورة طه الآية ١٣٤

٢- سورة الأحزاب الآية ٤٦

٣- سورة المائدة الآية ٦٧

٤- سورة النور الآية ٥٤

أصحابه من يقدر على التبليغ والدعوة ، ويكلفه بحمل الإسلام إلى مجموعة من الناس ، ويعلمهم ما نزل من القرآن ويفقههم في دين الله تعالى ، وبهذه السنة الحسنة وصل الإسلام إلى النسوة في بيوتهن ، وإلى القبائل في ديارهم ، وإلى الأمراء والخاصة في أماكنهم ، ووصل إلى المدينة بواسطة مصعب بن عمير ؓ ، وإلى اليمن بواسطة معاذ بن جبل ؓ ، وهذه السنة تشير إلى تكاتف كل أفراد الأمة في تحمل الأمانة ، ورعاية مسئولية الدعوة إلى الله تعالى .

وقد استفاد الرسول ﷺ من كل وسيلة ممكنة لتبليغ الإسلام ، ودعوة الناس إلى دين الله تعالى .

فدعا الناس أفراداً ، كل فرد على حدة ، يتخيره دون سواه لما يرى فيه من هدوء الطبع ، وندفة للنظر والتكبر فيما يرى ويسمع ووجهه للصواب والمفيد . ودعا ﷺ الناس بعد أن جمعهم في عدد قليل ، بينه وبينهم معرفة ، وقد فعل ذلك يوم أن جمع أعمامه وعماله وأولادهم ثم دعاهم إلى الدين الحنيف .

ودعا ﷺ باستقبال الوفود المرسله من القبائل والدول ليفسحوا الأجر ، ويقفوا على حقيقة الدعوة الجديدة فكان ﷺ يكرمهم ، ويسمع لهم ، ويسمعهم ، ويرجع إسلام أغلب القبائل العربية إلى هذه الوسيلة .

ودعا ﷺ بإرسال الكتب والرسائل إلى رؤساء الناس يدعوهم ومن خلفهم إلى الدخول في الإسلام .

ودعا ﷺ بإرسال الدعوة إلى الأماكن البعيدة للبلاغ والدعوة ، وكان ﷺ يدور بنفسه على بيوت القوم ، وأماكن إقامة القبائل في منى وعرفة ومزلفة حين يلتونها في موسم الحج ، وفي زمن إقامة الأسواق .

وكثيراً ما خطب رسول الله ﷺ للناس ، ودعاهم إلى الله بالكلمة الطيبة ، والبلاغة المؤثرة ، والبيان الموضح فلما فرضت الصلاة ، وشرعت الجمعة ، صار أمراً واجبا إن تشتمل للخطبة على الدعوة ، وأصبحت الخطبة الدينية إحدى وسائل البلاغ والدعوة .

إن هذه الطرق النبوية في الدعوة لتعليم للأمة ، لبأخذوا منها ويسيروا على

هداها ، وليعلموا أن واجب تبليغ الإسلام والدعوة إليه حقيقة مستمرة إلى يوم
القيامة ، وعمامة لكل الناس ، أينما كانوا ، وفي كل زمان كانوا .
وفي القرآن الكريم آيات واضحة توجب الحركة بالدعوة ، وتلزم المسلمين
بها ، وهذه بعض منها :

يقول الله تعالى :

﴿ وَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْعُرْفِ وَيُنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُقْبِلُونَ ﴾^١ .

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ
وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ
بِالْمُهْتَدِينَ ﴾^٢ .

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ
مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ
لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾^٣ .

ويقول سبحانه وتعالى : ﴿ وَأَوْحِيْ إِلَىٰ هَٰذَا الْقُرْآنِ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ
بَلَغَ ﴾^٤ .

والآيات كثيرة وهي في مجملها تبين بوضوح :

- الدعوة إلى دين الله تعالى فريضة واجبة لا بد منها لتحقيق الفلاح
والهداية .

١- سورة آل عمران الآية ١٠٤

٢- سورة النحل الآية ١٢٥

٣- سورة التوبة الآية ١٢٢

٤- سورة الأنعام الآية ١٩

- العلم بمنهجية الدعوة وخطوطها العامة مهم لنجاح الدعاة في تبليغ الإسلام.
- وضوح موضوع الدعوة فكرا ووسيلة من أساسيات الحركة الدعوية لأن الجهل بذلك يحرم الناس من فوائد الدعوة .
- مواصفات الداعية القائم بهذا الواجب تشمل الجوانب الإيمانية ، والنفسية والعلمية والاجتماعية حتى يتمكن من التعامل مع المدعوين ، وبحقق لدعوته الانتشار المطلوب .
- مسئولية الأمة جميعا تجاه دين الله تعالى فريضة ملزمة وبخاصة في العصر الحديث الذي تنوعت فيه الثقافات وتعدد الصراخ والتسابق .
- إن الأمة المسلمة هي أمة الخير ، به تتصف ، وعليه تعيش ، وانه تعمل ، وعلى قيمه تنشئ بنيتها وتربيتهم ، وإذا يكون الحق فيها أقوى من الباطل ، والعدل أعلى من الظلم والجوانب الإنسانية الراقية أظهر ، وأدوم ، وأكثر قبولا وتقديرا من أي شئ سواها .
- إنها باختصار هي أمة داعية وأمة بالمعروف ، ناهية عن المنكر ، وهي المسئولة عن الدعوة إلى الإسلام ، وفي إطار مسئوليتها نهى جماعية الدعاة ، وترعاها ، وتعلمهم ، وتدريبهم على فنون الدعوة ومخاطبة الناس .
- والخروج للدعوة جهاد في سبيل الله بالكلمة تحتاج لأناس ملاحب الإسلام قلوبهم ، وفقهوا تعاليمه وتوجيهاته وتحملوا المشاق في سبيل علو شأنه ، وسطوع أنواره ... هؤلاء الذين علموا وعملوا هم أولى الناس بفقهاء ، والدعوة له ، لأنهم يتقواهم بعلمهم الله ، وبإخلاصهم في العمل تتضح أمامهم الأسرار ، والخبائيا ، وبحيهم للدعوة تتولد فيهم طاقة ربانية تهديهم إلى الحق ، وتفسح أمامهم مغاليق القلوب والعواطف .
- والدعاة إلى الله الصادقون ، موضوعهم نشر الخير كله ، بين أفراد أمتهم ، وعند غير أمتهم ، والخير كله هو الإسلام بمنهجه المتميز بعقيدته الصافية ، وشريعته المنتظمة المفصلة ، وأخلاقه الكريمة الراقية ، وهذا المنهج لا ينتج

حين يطبق إلا للخير والمصلحة لمن يطبقه فردا أو جماعة ، وتطبيق الإسلام أمر ميسر لمن يقبل عليه حيث أن الله أنزل دينه محمدا في قلوب عملية ميسرة التطبيق ، تجمع بين مثالية الخير وواقعية الإنسان .

والدعاة وهم يشدون هذا الموضوع يتجهون إليه في إطار منهج معين ، فعليهم التزام الحكمة في حركتهم ومقالاتهم ، واتصالاتهم ، وسائر أعمالهم ولا تعنى الحكمة معهم إلا الهدوء ، والنظام ، والدقة ، والخلق ، والتخيل بعيدا عن المغالاة أو التقصير ، ناثين بسلوكلهم عن السوء والعدوان ﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾^١ .

والموعظة والجدل في إطار الحسن دائما ، وهذا يعنى التزام الخلق الكريم البادى في كلمة راقية ، أو توجيه سديد أو حوار هادف مفيد .

إن طرق الدعوة ووسائلها في إطار هذا المنهج مع تعددها وتنوعها لا تكون إلا خيرا ... تأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، وتحبب الناس في الإيمان ، وتأخذهم إلى الله في قناعة ورضى .

ورسول الله ﷺ هو قدوة المسلمين والدعاة في الإيمان وفي التطبيق العملى وفي الدعوة إلى الإسلام ، منهجا وحركة وأسلوبا وتلك كلها جوانب حية في الأمة التي اصطفاه الله تعالى بوحيه ، وجعل فيهم رسوله ﷺ . يقول الله تعالى ﴿ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ﴾^٢ .

إن طرق الدعوة عديدة ، وقد أضفى عليها العصر الحديث بمعارفه ومخترعاته الكثيرة وهي فرصة أمام المسلمين ليضاعفوا الجهود لخدمة دينهم مستفيدين من مستجدات العصر وعلومه في إطار الخيرية الإسلامية وتحت مظلة المنهج الإسلامى الصحيح .

وهنا ننظر إلى كافة الطرق والوسائل الممكنة في الدعوة لنعلم حقيقتها

١- سورة البقرة الآية ٢٦٩

٢- سورة آل عمران الآية ١٠١

وجدواها وتعرف أيها أكثر نفعا وإرشادا ، وأيها أنسب للموقف والشخص
والوقت لتصل الدعوة لغايتها ، وتحقق الهدف منها .

ومع النظر والتفحص تعلق الخطابة ، وتبقى أسلوبا مفيدا للدعوة أكثر من
أى أسلوب آخر ، وتستمر شاهدة على أهميتها وخطورتها في التأثير والفائدة ،
وهذا يدعونا إلى الاهتمام بها .

إن الإنسان يسيره وجدانه أكثر مما يسيره فكره ، والفرد مع الآخرين ينسى
خواصه الفكرية . ومواهبه الأصيلة، ويندرج في وجدان الجماعة . يقول لوبون:
"وأعظم الرجال لا يتفاوتون عن العامة في الأمور التي مرجعها إلى
الوجدان . كالدين . والأدب . والميل . والنفور . وهكذا إلا نادرا" ^١ وليس
هناك من هو أجدر من الخطبة في استمالة الوجدان ، وتهيج الشعور ، وتحقيق
الإنفعال المؤدى إلى الإندفاع والعمل .

والفرد الذي يسيره العقل وحده . لا تغفله الخطابة الدينية ، لأنها قائمة
على الحق بعيدة عن التغرير . تستعمل الأدلة البرهانية ، والأدلة الظلية حتى
تصل إلى أعلى درجات اليقين .

إن ارتباط الخطابة بالعاطفة الدينية دافع إلى الاهتمام والمتابعة ، وأرضا
فإن وجود الأمية ، وكثرة الأعمال وضيق الوقت دوافع رئيسية إلى ضرورة
الخطابة . لأنها تخاطب الأمي على قدر طاقته ، تقرب له البعيد ، وتذلل أمامه
الصعب ، وتوجز الزمن لمن لا يجده من أصحاب الأعمال ، وتركز المعاني
الكثيرة في كلمات قليلة وتقدمها لمن ترجمه مشاغل الحياة .

إن الأسس العلمية للخطبة تشمل كافة جوانبها من ناحية اختيار الموضوع
المناسب ، وتحديد الفكرة بدقة ، ووضع هذه الفكرة في قالب بيانية بليغة ،
وتأييدها بالبراهين السهلة المقنعة التي يعيشها الناس ، ولا يجادلون في شأنها
مع الاستفادة بكل الوسائل ، والطرق التي تساعد على تواصل المستمعين مع
الحديث .

هذه الأسس العملية والعلمية يحتاجها الدعاة في مقولاتهم المتنوعة ، وكلماتهم العديدة ، ولذلك كان عملهم بالخطابة ، دعامة لهم في حركتهم للإسلام.

إن الإلقاء بما فيه من لناة وهذوء ، وخفض ورفع للصوت عند الحاجة ، والتعبير بالصوت استقهما ، وتعجبا وسرورا ، وحزنا فن يحتاج للتحرس والبحث لأهميته في قيام الخطيب بدوره ...

هذه كلها أمور يحتاجها أي متحدث موجه في أي موضوع يكون توجيهه. والخطابة أسلوب للدعوة بوجز للناس للمعارف المطلوبة ، وبيسر لهم الحصول عليها بلا عناء ، والإنسان المشغول بأعباء الحياة ، ورجل الأعمال المنهمك في عمله ، والموظف وأهل التخصصات المختلفة يجدون في الخطبة الفكرة موجزة ، دقيقة ، مؤيدة بأدلتها ، يأخونها في وقت قصير ، تغنيهم عن قراءة كتاب ، أو الرجوع لعند من المصادر لو أرادوا بأنفسهم .

والخطابة تتجه إلى جميع الناس ، إذ تراها تخاطب العالم المتخصص ، وللشخص العادي والمتقف البسيط ، كبارا أم صغارا ، رجالا أم نساء ، سادة أم عبيدا ، أغنياء أم فقراء ، ولعل ما يساعد الخطابة على هذا ما تراه معها من تنوع الأسلوب ، وتعدد الأدلة ، وتلويح الخطاب والتوجيه .

والخطابة الدينية هي أساس الخطابة ودعامتها ، وهي الهدف الرئيسي لهذه الدراسة ، وهي أقوى الأساليب الدعوية وأكثرها فائدة ، لأنها تقدم للناس في أطر منتظمة ، وبصورة دورية ، وبأنتها المستمعون طائعين لنداء الله رب العالمين وهو يقول لهم ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾^١ .

إن الاستماع لخطبة الجمعة عبادة ، ولا يجوز لمستمعها أن يستكلم ولو كانت الكلمة نصيحة لصاحبه ، يقول النبي ﷺ " إذا قلت لصاحبك والإمام يخطب

يوم الجمعة أتصت فقد لغوت ومن لغا فلا جمعة له^١ .

في هذا الجو الديني تكون الخطبة ، ويكون النفع .

فالمستمع مصل مسلم جاء يعبد ربه ساعيا لسماع الخطبة ، طاردا عن نفسه كل شواغل الدنيا ، يجاهد نفسه ليفهم ما يسمع ، ويعى ما يقال .

والخطيب إمام داعية يعي جيدا رسالته ، ويعد خطبته إعدادا جيدا وفق الأصول الفنية ، وتبعا للمبادئ الشرعية وبذا تتم الفائدة وتكون خطبة الجمعة كما أريد منها في مجال الدعوة .

إن الخطيب في مسجده يقدم كل أسبوع موضوعا دينيا كاملا ، يخدمه بعمله ، ويأخذه من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ، وبذا يقدم الإسلام من خلال الخطابة .

إن العام يتكون من اثنين وخمسين أسبوعا فلو تصورنا داعية يتقن خطبته ويقدم من خلالها الإسلام ، فإنه بذلك يعد جامعة متخصصة في تفهيم الإسلام ، وتعليمه لكافة الناس ، إنه في عام واحد يدرس هذه الموضوعات العديدة ، فما بالك بعشرات السنين والأعوام .

ولو تصورنا مسلما يقبل على المسجد كما هو الواجب ، ويتقن ما يسمع فإنه سوف يتلقى من المعارف الإسلامية ، وعلوم الدين أكثر مما يتلقاه طالب الجامعة المتخصص مهما كان مستواه .

إن الخطبة الدينية جاسعة ضخمة خرجت الأجيال الإسلامية العديدة منذ العصور الأولى ، ويكفي أن نعلم أن السلف الصالح تعلموا الإسلام من المسجد وفهموا القيام بالمسئولية من خلاله فقدموا الإسلام صافيا للناس .. وأمن الناس بالله واتجهوا إلى المسجد يعيدون ويتعلمون ، ففهموا الإسلام .

إن الخطبة الدينية حركة معرفية رائعة ، ولذلك كانت محل اهتمام رسول الله ﷺ واهتم بها أصحابه ، ويجب أن تكون محل اهتمام المسلمين في العصر الحديث .

١- فيض القدير . شرح الجامع الصغير ج١ ص٤١٨

والخطيب الداعية يستطيع بما وهبه الله عز وجل من نور الحكمة ،
وقاطع للحجة وساطع للبرهان ، أن ينبه العقول ، ويفتح القلوب ، ويطهر
النفوس ، ويأخذ الناس بعيدا عن متهافت الممارسة ، وغياهب الظلمات ،
وينفرهم من مزاعم الأعداء ، ووساوس الشياطين ، والله لهؤلاء القوم خير
معين .

المبحث الثالث

علاقة علم الخطابة بالعلوم الأخرى

تتماسك العلوم الإنسانية ، وتترابط لتحقيق هدف عام وهو إفادة الإنسان والترقي به . ولذلك يستفيد كل منها بغيره ، والخطابة في مقدمه العلوم التي تحتاج إلى غيرها من العلوم ، لأن هدفها الإقناع والاستمالة ، ولا نستطيع ذلك إلا إذا أحاطت بالأدلة وأنواعها . والبشر ونفوسهم ، والمجتمع وطريقة تغييره ، ولهذا الصلة الوثيقة بين الخطابة والعلوم قال ابن رشد : " إن كل صناعة إنسانية هي معلمة أي مبرهنة ومقنعة في الجنس الذي تنظر فيه لا في جميع الأجناس ، وأما الخطابة فهي تتكلف الإقناع في جميع الأشياء ، وفي أي مقولة كانت ، وأي جنس كان ، ولذلك لا تنسب الخطابة إلى جنس خاص أو جانب ما . ورأى ابن رشد يشير إلى أن الخطابة تكون في سائر المجالات وجميع الأنشطة الإنسانية ، وإنما كان لها موضوعها الخاص لأنها تضع قواعد تنظيم القول ، وتحدد عوامل تأثير القائل ، ومراعاة خصائص المستمعين . أيا كان القول لو كان قائله ، أو كان مستمعه .

وسوف نذكر هنا العلاقة بين الخطابة وأهم العلوم الإنسانية .

أولاً : علاقة علم الخطابة بعلم الاجتماع

اتسع نطاق علم الاجتماع العام وأصبح يتناول فروعاً كثيرة ، صارت علوماً اجتماعية خاصة ، وهي دائماً في زيادة ، ومنها :

أ - علم دراسة بيئة المجتمع ، وقيام القرى ، والمدن ، ووظائفها .

ب - علم الإنسان من حيث أصوله البشرية ، وتفاعله مع المجتمع وانقسامه إلى طبقات مختلفة ، وقبائل متعددة .

ج - علم السكان وهو علم يدرس تركيب السكان ، والكثافة ، والهجرة ، والموليد ، والوفيات .

د - علم الاجتماع الثقافي وهو علم يدرس الثقافات ، ومدى انتشارها ، وتخلفها . والصراع فيما بينها .

هـ - وهناك علوم أخرى كعلم الاجتماع الأسرى ، والاقتصادي ، والسياسي ، والتربوي ، واللغوي ، والسديني ، والأخلاقي ، والجمالي ، والعمالي ، والعسكري ، والنموي ... ألخ وكل منها يدرس للظواهر ، والنظم التي تقع في مجاله .

والظاهرة الاجتماعية هي لساليب وقوالب التفكير والعمل الانساني التي يزاولها الأفراد ويصيون فيها أعمالهم في كل مجالات حياتهم الاجتماعية . ولا تكون ظاهرة إلا بعمومها ، وشمولها .

وتتميز الظاهرة بأنها عامة ، ومتربطة ، وملزمة ، ومستقلة ، ومصدرها العقل الجمعي لا الفردي .

وعلم الاجتماع بفروعه المختلفة يهتم بالظواهر التي توجد في المجتمع على تنوعها ، ويدرسها دراسة نظرية وعملية . بمعنى أنه يدرس الحقائق المحيطة بنشأة الظاهرة وتطورها وأنماطها ويدرس العلاقة بين سائر الظواهر . واكتشاف وظائفها . والقوانين الاجتماعية التي تحكمها ، وذلك لينتفع بهذه القوانين في عملية الارتقاء بأحوال المجتمعات . وحل مشكلاتها . وتحسين مستويات الجنس الإنساني بصفة عامة .

إن العمليات الاجتماعية تتفاعل فيما بينها توافقاً أو تناقضاً وتحديث في مجتمعنا ظواهر جديدة مؤثرة .

ولما كان علم الاجتماع هكذا فإننا نرى حاجة علم الخطابة إليه ، لأن الخطبة الجيدة هي تلك التي تهتم بالواقع ، وتتناول ظاهرة موجودة لها أهميتها في الناس ، وتحتاج إلى إصلاح وعلاج . والخطبة لا تستطيع للعلاج الناجح إلا

إذا أمت بكل ما قدمه علم الاجتماع في شأن هذه الظاهرة من البداية إلى النهاية.

إن دراسة البنیان الاجتماعي والعمليات الاجتماعية ، والتكشنة الاجتماعية والتغيير الاجتماعي . من الضرورات الهامة للخطيب . لأنها هي التي تمكنه من الإحاطة بواقعية المجتمع الذي يخاطبه ، ومن ثم يقدم للدواء الملائم للقضية التي يتناولها .

يقول الفارابي : " إن الخطيب إذا أراد بلوغ غايته ، وحسن سياسة نفسه في أموره فليتوخ طبايع الناس ، وتلون أخلاقهم . وتباين أحوالهم " ^١ .
ويقول لقلاطون : لكل أمر حقيقة ، ولكل زمان طريقة ، ولكل إنسان خليقة فعامل الناس على خلاتهم ، والتمس من الأمور حقائقها ، وأجر مع الزمان على طرائقه ^٢ .

وهذا يدل على تأكيد الصلة بين علم الاجتماع وعلم الخطابة ، وضرورة الاستفادة بقوانين الاجتماع في الخطابة ، بل أن الدراسة الميدانية الحديثة لعلم الاجتماع تحتاج إلى الخطابة أيضا .

إن التوعية الاجتماعية تعترف بدور الخطابة الرئيسي في مجال التوعية ، وبخاصة في المجتمعات التي تشيع فيها الأمية ، حيث لا يستطيع الناس قراءة الكتب ، أو الصحف ، أو النشرات التي تستهدف التوعية ، وينادي علماء الاجتماع بضرورة الاستفادة بدور العبادة في التوعية لأن الناس يأتون إليها طواعية . وبشكل منظم ، بخلاف الحال إذا وجهت إليهم دعوة للحضور في مكان عام فإنهم لا يأتون إلا نادرا ، وأيضا فإن طاعة الناس لما يسمعون من إمام المسجد وخطيبه سهلة لتأييدها بالأدلة الشرعية ، ووضعها في الإطار الإيماني ، بخلاف ما يأتيه من غير هذا الطريق فإنه يثير التساؤل ، والنقاش ، ولا تتحقق الاستجابة إلا بعد تردد طويل ...

١- تلخيص أصول الخطابة ص ١٨ .

٢- المصدر السابق ص ١٩ .

ثانيا : علاقة علم الخطابة بعلم النفس

يهتم علم النفس بدراسة الجانب الباطني في الإنسان ، فيعرف بالغرناز ، والدوافع ، ورد الفعل ، وطرق الترقى بالخلق ، والسلوك ، والشماسي في الفكر والعمل ، ابتداء من الضمير والقلب ، لأن الإنسان يقاد من داخله في الحقيقة ، ولا يعمل شيئا بإخلاص إلا إذا لقتع به عقله ، ورضيت به نفسه . ومادامت الخطابة تهدف إلى التأثير في الناس لحملهم على ما يرك . فيجب على القائم بها لكي يحقق هدفه . أن يعرف كيف يصل إلى قلوب الناس ، ويؤثر فيهم ، ويحملهم على الانقياد له . ولن يستطيع أن يصل إلى هذا إلا بعد دراسة نفسية الجمهور الذي يخاطبه . ومعرفة خصائصه ، وعناصر تكوينه ، والعوامل التي تؤثر فيه . والدوافع التي تحركه ، وتلك كلها من موضوعات علم النفس .

إن الإنسان بحركة وجدانه ، خاصة وهو في جماعة ، فلو فهمت دوافع نفسه . ومصدر سلوكه . لتمكن الخطيب بسهولة من الوصول إلى وجدانه ومصدر انفعالاته ، واستمطاع حينئذ أن يعلو بالغرناز ، وأن يغير أنماط السلوك إلى ما هو أفضل ، وأن يقود الجماعة إلى ما يريد .

وحيث يتمكن الخطيب من مخاطبة النفسية البشرية ، والوصول إلى أغوارها تعتبر عملية التغيير سهلة وممكنة .

وعلى الخطيب أن يعرف أن الجماعة تتقاد بالاستمالة كما تقاد بالإقناع ، وواجب عليه أن يركز على الغرناز البشرية ويخاطبها بالطريقة التي تصلحها ولذلك لزمه الإحاطة بعلم النفس بسائر فروعها .

ثالثا : صلة علم الخطابة بعلم المنطق :

لا تخلو الخطابة من المنطق أبدا ، فهي تعتمد على تصورات ، وتصديقات ، وأدلة ، وبراهين ، ففيها القياس بأنواعه ، وفيها قواعد الجدل ، والبرهان ، والحد ، والرسم . وهذا ما حدا بالآقتمين من عظماء الإغريق والعرب أن جعلوا الخطابة جزءا من المنطق .

وبعد استقلال الخطابة عن المنطق تراها تستخدم المنطق حين أداؤها لنورها ، حتى اشتهر في الخطبة القياس الخطابي ، والقصاص الجدلي . والأقيسة الاضمرارية ، وغيرها ، وكل ذلك أخذته الخطبة من المنطق . وصاغته بصورة ثلاثم مقامها لأنها تسوق القياس بذكر إحدى مقدمتيه مكسوة بالطلاء الجمالي الذي يجعله مقبولا من النفس والعاطفة ، وتحذف الكبرى غالبا مكتفية بالنتيجة التي تتجلى بعد توضيح المقدمات بأساليب مختلفة .

والقصص الجدلي نوع من البراهين المنطقية التي ترد في صورة حوار بين طرفين يقصد كلاهما الانتصار لما يرى ، وينتهي هذا النوع من الجدل بانتصار الجانب الذي يقصده الخطيب ، وبذلك يصل إلى ما يريد من خلال الجدل المذكور .

والجدل العقلي يرد في شكل حوار بين لشخاص القصة التي يستغلها الخطيب للتأثير والتليل ويختلف عن النوع السابق في أنه يعيش مع كافة عناصر القصة ، ولا يظهر المقصود بصورة مباشرة ، ولكنه يبدو متخفيا خلال أطراف القصة ، ويصل إلى المقصود في النهاية .

والقياس الإضمراري هو القياس الذي تظهر نتيجته من غير ذكر مقدماته لأنها مفهومة من فحوى الكلام ، ويبنى الخطيب كلامه على تفهيم المقدمات من غير نص عليها ، وكأنه يطلب من المستمع أن يجتهد بعقله لاكتشاف المقدمات المطلوبة .

هذا

ويجب على الخطيب أن يجعل خطبته متماسكة يأخذ بعضها بحجز بعض وهذا لا يكون إلا بتسلسل الأفكار ، وتتابعها . مع قوة الأسلوب ، وحسن العبارة وجمال الألفاظ .

وهكذا فعلم المنطق خادم لعلم الخطابة لأن المنطق كما يعصم الذهن عن الخطأ في التفكير . يستنبط أيضا ما يرشد الذهن إلى الأخذ بقوانينه . وكل ذلك يخدم الخطابة والخطيب .

رابعاً : صلة علم الخطابة بالدراسات الإسلامية

في البيئة الإسلامية ، وعلى أسنة الدعاة يظهر الارتباط الوثيق بين الخطابة وسائر المعارف الإسلامية لأن الخطابة حينئذ تتناول قضايا إسلامية . تعرف بها . وتحاول نشرها في المستمعين مستعملة كافة طرق الإقناع والجدب والوضوح . وهذا غير ممكن إلا باللجوء إلى المصادر الإسلامية للاستشهاد بها والاستفادة منها في عملية التأثير .

إن إيراد الآية القرآنية في موضعها . وتفسيرها . وبيان وجه الاعتبار بها وسر الإعجاز فيها ضرورة في المجال الإسلامي . كما أن الحديث النبوي له دوره الكبير في هذه العملية التوجيهية الخطيرة . ولذا يجب أن يكون صحيحاً مخرجاً بعيداً عن الضعف والعلل .

ومن هنا اشترط للفقهاء والعلماء لمن يتصدى للخطبة الدينية أن يكون فاقها لدينه . عالماً بمصادره ، فاهماً لجملته الدراسات الإسلامية بمختلف أنواعها لدرجة أنهم يمنعون الخطبة تعتمد على الأحاديث الموضوعية والضعيفة أو التي لا يعرف الخطيب الحكم عليها .

إن الخطيب المسلم يعطى لجمهوره علماً ، وديناً ، ويؤمل في التأثير فيهم وتوجيههم إلى الخط الذي يعمل له ، وهذه لا تكون له إلا بإحاطته الدقيقة بالدراسات الإسلامية وبخاصة في القضايا التي يخطب فيها لأن الظل لا يستقيم والعود أعوج ، وفائد الشيء لا يعطيه .

— وكيف ينشر الإنسان علماً . وهو يجهله ؟!

— وماذا يقول فيه . وهو غير فاهم له ؟!

— وهل يسمعه جمهوره وهو لا يبين ؟!

إن المتأمل للواقع يلتمس مدى حاجة الخطيب في المجال الإسلامي للمعارف والدراسات الإسلامية المختلفة ، فكم من خطيب رفعه الناس على الأعناق تقديراً له ، وإعجاباً به ، وكم من خطيب لتصرف عنه الناس لجهله بالإسلام ومصادره ، وتخلفه في مختلف الدراسات الإسلامية .

وأهم العلوم الإسلامية التي يحتاج إليها الخطباء :

أ - القرآن الكريم - حفظاً للفظه ، وفهماً لمعناه ، واستنباطاً لعلومه وإحاطةً للموضوعات التي أشار إليها .

ب - السنة النبوية رواية ، ودراية مع الإحاطة والمعرفة بجوانبها المختلفة ، والفهم الواعي للسيرة النبوية الشريفة .

ج - الأحكام الفقهية مع معرفة طريقة إستنباطها من مصادر الإسلام .

د - العلم بالتاريخ الإسلامي وأهم التغيرات التي طرأت على المجتمع المسلم وبخاصة في عصر الخلفاء الراشدين ، وزمن السلف الصالح .

هـ - العلم بالأديان والمذاهب المعاصرة ودرستها دراسة مقارنة ليتمكن من عرض الإسلام ، والدفاع عنه ، ورد الزيف الذي يتقوه به الأفاكون .

وبهذا يتمكن الخطيب أن يقوم بدوره الإسلامي الصحيح .

خامساً : الخطابة وسائر العلوم الإنسانية

والعلوم الإنسانية عديدة - كعلم الأخلاق ، والجمال ، والتاريخ ، وغيرها وكلها تنور مع الإنسان - من ناحية ما يجب أن يكون عليه ، أو من ناحية إحسانه تجاه الحسن الجميل ، أو من ناحية علاقته قديماً بغيره . وهكذا . ولذلك ترتبط كلها بالخطابة ارتباطاً وثيقاً .

إن الخطيب الناجح هو الذي يحيط بسائر العلوم الإنسانية ليستمكن بهذه الإحاطة من مخاطبة الإنسان بشكل ناجح ومفيد ، ويقصد الداء وهو يعرف دواءه ، وينادي وهو يعرف كيف يستجاب له ، ويأخذ بالألباب لأنه يناجيها ويجذبها إليه .

إن الإنسان هذا المجهول قد أحاطته دراسات عدة من أجل فهمه ، ومعرفة حقيقة مظهره ومخبره ، ويجب أن توضع هذه الدراسات في خدمة الإنسان نفسه

بعد ذلك .

إن دراسة التاريخ يجب أن تؤدي إلى فهم قوانين الحركة وال عمران .
 ودراسة علم الأخلاق يجب أن تؤدي إلى أن يتحلى الإنسان بالفحائل .
 ويبتعد عن الرذائل .
 ودراسة علم الجمال يجب أن تملأ حياة الإنسان باللذة والبهجة .
 وهكذا يجب أن تؤدي دراسة العلوم الإنسانية إلى هدفها التطبيقي الذي
 يظهر في الإنسان ولمصلحته .
 وعلم الخطابة بعد ذلك كله يستفرد من قوانين سائر العلوم الإنسانية ونتائج
 دراستها ، ليؤدي دوره بوفاء وقوة .



إن التأمل في صلة الخطابة بالعلوم الإسلامية والإنسانية يرى أهمية
 إحاطة لداعية الخطيب بهذه العلوم لتستمر خاصية انتشار الإسلام بالإقناع
 والحجة بين المسلمين ، ومع الناس أجمعين .
ومن هنا

فإن الواجب الديني يحتم الاهتمام بهذا الجانب الذي لا يهتم به كثير من
 الخطباء ... الأمر الذي أنتج فراغا جعل الكثير من الخطباء لا يفيد .

المبحث الرابع

نشأة الخطابة وتطورها

نشأت الخطابة بصورة تلقائية ، ولازمت الإنسان منذ وجوده . معتمدة على الفطرة ، وكان ينميها لدى الإنسان حاجته إليها . بسبب انتشار الأمية . وبعد البلدان . وصعوبة المواصلات ، وبعد ذلك أخذت تتفصل شيئا فشيئا حتى نالت استقلالها بصورة تامة ، وخاصة في العصر الحديث وصارت تدرس في الجامعات مستقلة كعلم متميز بموضوعه وهدفه .

ولقد ظهرت الخطابة واضحة في دول الحضارة المتقدمة .

الخطابة في مصر القديمة :

ظهرت الخطابة بشكل تلقائي بين الجماهير في مصر القديمة ، وكانت خطبهم توجه إلى الآلهة . والكهنة . والأمراء ، وكان حكماء الدولة وكهاتها يوجهون نصائحهم إلى الشعب على شكل مواعظ وخطب ، وقد حفظت لنا نصوص الأهرام أنشودة للشمس تخاطب مصر في تعداد طويل . ورائع . للمنافع التي تستمتع بها تحت حماية وسيادة إله الشمس "رع" .

وأىضا كان الكهان يوجهون خطبهم إلى الملك ، شارحين له أوضاع الشعب الاجتماعية والاقتصادية ، وكان الملك أيضا يوجه خطبة تقليدية إلى الوزراء حين تقلدهم أو إقالتهم .

ولقد كان أفراد الشعب في أحيان قليلة يوجهون خطبهم إلى الملك نفسه يشكون له أحوالهم ، ويستعطفونه في حل مشاكلهم .

وقصة الفلاح القصيح توضح لنا منزلة الخطابة في شعب مصر القديم ، فلقد أطال الرجل وأفصح عن مظلمته ، وطالب بالعدل في شكل جميل ومؤثر .

لدرجة أن الملك استجاب له بعد تأثره^١.

ويظهر لنا من تتبعنا لنصوص الأهرام . والنصوص البردية . أن الخطابة المصرية كانت فطرية ، وأنها كانت تراعى الأسلوب النفسى المؤثر ، وفى طياتها نجد روعة البلاغة . ودقة المعنى ، وكانت تختلط دائما بأفكار المصريين عن الآلهة والدار الآخرة .

ويبدو أن الملك والأمراء والكهنة كانوا يتعلمون فن الإلقاء الخطابى ، بينما باثروه الشعب بصورة فطرية .

الخطابة فى بلاد اليونان :

وجدت الفلسفة فى بلاد الإغريق ، وكثر الجدل ، وقد لى ذلك إلى اهتمام اليونانيين بتعلم فنون القول ، وطريقة الخطابة . وأسلوب التأثير المؤدى إلى استمالة الجماهير نحو الفكر المراد حملهم عليه ، وقد ساعدت فطرة اليونان الخطابية على الامتياز فى الخطابة بعد تعلم أصولها .

يقول شارل سنيوبوس : " امتازت أثينا أولاً ببلاغة خطبائها فكانت حقاً بلد الأدب ، وحسن الإلقاء . فبالخطب فى مجلس الأمة تقرر الحروب ، وعقد الصلح ، ووضع القطائع والضرائب ، وتمت المناقشة فى كل الشؤون العظيمة للخطباء كانت السلطة ، وعلى الأمة أن تعمل بنصائحهم ومواعظهم " .

وقد وصل بالخطابة عند اليونان أن تولى للخطباء قيادة الجيش أثناء الحرب ، فقد عين " كلليون " قائداً ، وعين " ديموستين " فى قيادة حرب فيليب . وقد أصبحت الخطابة سلعة رائجة فى بلاد اليونان القديمة وخاصة بعد التأهيل المدرسى لها ، حيث نجد الخطباء ينشئون خطباً . ويبيعونها لمن يقوم بخطبتها ، يخطبونها لهم لقاء أجر يأخذونه ، وقد ثبت أن " أثيل " أخذ مالا من ملك مقدونيا ، وأن " ديموستين " أخذ مالا من ملك القرس^٢ .

١- تطور الفكر والدين فى مصر القديمة ص ١٧٩ ، ٣٠٨ ، ٣٤١ .

٢- الخطابة : ص ٥ .

٣- أصول الخطابة : ص ٥ .

وهكذا يبرز الخطاب في بلاد اليونان مما دفع الكثير إلى تعلم أصولها ، وإثبات أدلتها ، طمعا في المزايا التي تعود عليهم من ورائها .
 ويعتبر السوفسطائيون أول من اعتمد على الخطابة بصورة أساسية لنشر أفكارهم وذبوع مذهبهم ، ذلك لأنهم لا يقرون بثبات حقيقة ما ، ويقولون : إن الأشياء وهم وخيال ، ويدعون الجزم بعدم تحقق شيء من الأشياء ، إلا أنهم انقسموا في تقرير قولهم هذا .
 حيث نرى بعضهم يثبت بالعدا والمعارضة . ويزعم آخرون أن الحقائق تابعة للاعتقاد . فالشيء صدق عند من يعتقد صدقه ، وكذب عند من يعتقد كذبا .
وهكذا ...

وينادى فريق ثالث منهم بالشك في ثبات الحقائق . فلا ينفون ولا يثبتون . ولعل أفكار السوفسطائيين هذه هي التي دفعتهم إلى الفن الخطابي ، والبيان الأخاذ ، يتقنونه ، ويعلمونه لأبنائهم لينتصروا به لمذهبهم .
 وقد قام كل من "برويكوس" القوسي ، "وبروتاغوراس" و "جورجياس" بفتح مدارس للخطابة يعلمون فيها قوانين الخطابة التي توصلوا إليها بأجر باهظ كي يتمكنوا هم وتلامذتهم من سبق الكلامي ، وتلبس القول من غير اهتمام بالحقيقة لأنه لا حقيقة لديهم .

١- السوفسطائيون : هم جماعة من مفكري اليونان وجنوا في القرن السادس قبل الميلاد يقولون بتغير العالم . وعدم ثبوت الحقائق ، وقد هيأت الظروف لوجودهم . لأن فلاسفة اليونان الأول كانوا يبحثون عن أصل العالم وهم الفلاسفة الطبيعيون وعلى رأسهم " طاليس " .
 وجاء بعده " الفيثاغوريون " ليقولوا إن العالم عدد ونغم وكان على رأسهم " فيثاغورس " .
 ثم جاء بعد هؤلاء السوفسطائيون ليجنوا أنفسهم أمام حلول متضاربة قدمها الفلاسفة ، الأمر الذي جعلهم يقولون بمذهبهم ويدلون عليه .
 والسوفسطائيون فرق ثلاثة هي العنادية ، والعندية واللا أدرية .
 والعنادية يعارضون لمجرد المعارضة ولا يعنيهم الحق ، وقصدهم الجدل والمعارضة فقط .
 والعندية قوم بتسكون بما لديهم ، ويتحسسون له وأن كان باطلا .
 واللا أدرية قوم ينفون كل شيء ولا يعلمون شيئا ولا يثبتون حقيقة لأمر ما .

وقد ارتبطت الخطابة السوفسطائية بالفلسفة العقلية ، واعتمدت على الصور الفنية الخيالية ، ولم يكن لها حقائق معينة تهدف إليها .
وبعد السوفسطائيين ، جاء "سقراط" الذي عاشر السوفسطائيين .
وخبر مذهبهم . واستمع لخطبهم . ورأى كيفية تلاعبهم بالأفكار . وتلويبهم للحقائق فيها له ذلك الحال وأخذ على نفسه أن يدل على ثبات الحقائق ، ويبطل دعاوى هؤلاء ومن أجل ذلك نجد "سقراط" يدرس الخطابة . وقوانين الجدل . وينادي بدراسة النفس الإنسانية ، وكان له في مجال مدافعة السوفسطائيين دور بارز ، حيث جعل للخطبة حقيقة ثابتة مع اعتمادها على الأسلوب البياني ، والفلسفة العقلية ، وكان يجاري خصمه حتى يوقعه في التناقض ، ثم يقتعه بالفكرة مستعملا الاستقراء والتعميل .

ثم جاء "أفلاطون" فسار على نمط أستاذه "سقراط" ونادى بنظريته في المثل ، ووضع قوانين جمهوريته . وفيها يبرز دور الخطباء في نشر الحق والخير . وغرس الأخلاق الفاضلة .

ويلاحظ أن جدل أفلاطون صاعد ونازل ، فهو في صاعده يسلك طريق الاستقراء فيتبع الجزئيات المحسوسة ليتوصل بها إلى المهاب الكليّة ثمسماء بالمثل ، ومنها يتوصل إلى مثال المثل ، وهو مثال الخير ، الذي بلغ نهاية الثبات والاستقرار والخلود .

وفي نازله يستدل على وجود الأشياء بالمثل ، فيحكم على الشيء بحسب قربه أو بعده من المثال . وهذا الجدل شبيه بالقياس المنطقي لأنه استدلال بالكلّي على الجزئي .

وهكذا نجد أفلاطون يستعمل الجدل في إثبات الحقائق . ورد دعاوى السوفسطائية . ومن المعلوم أن الأدلة الجيدة هي التي تضم إلى دقة المعنى حلاوة الأسلوب ، مما يجعلنا نعرف خصائص الخطابة عند أفلاطون ، ونعلم أنها تنور على التليل الجدلي بنوعية ، والاهتمام بالأسلوب البياني الجميل ، مع تركيزها على حقائق الخير للوصول بالإنسان إلى الارتباط بعالم المثال ،

ويلاحظ أيضا أن الخطابة الأفلاطونية ظهرت مرتبطة بفلسفته ونظريته في المثال .

ثم جاء " أرسطو " الذي عرف بالمعلم الأول . ووضع الأسس لعلم كثرية كعلم المنطق بما فيه من برهان وجدل . وناقش السفسطة ، وتعقب مبادئها . وسلم بالمظنونات والمحتملات ليكون منها أدلة لها قوة البراهين المنطقية المؤسسة على التديهات والقواعد العلمية الثابتة .

وأخيرا أخرج أرسطو أول كتاب مدون في الخطابة حيث عرفها كعلم ، وبين أقسامها ، وفصل في أسلوبها وحدد جزئياتها ، وتكلم عن الخطيب ونبرته وأشار إلى بعض الموضوعات التي تبرزها الخطابة .

وبعد كتاب أرسطو أول كتاب وضع في علم الخطابة ، وقد ترجم إلى العربية أكثر من مرة ، وشرحه ملخصا ابن رشد .

ومن " أرسطو " بدأت الخطابة في استقلالها ، لأنه وإن ساواها بالجدل وعرفها بقوة الإقناع ، فقد تمثل البلاغة في الخطابة . ووضع شروطا للخطيب وحدد لها المجال الذي تفيد فيه . وضرب أمثله لعناصر الخطب الجيدة في مناسبات عدة .

وهكذا ...

أخذت الخطابة دورها الممتاز في بلاد اليونان . وخاصة في عصرهم

الذهبي .

الخطابة في دولتي فارس والهند :

لم يبرز دور تنظيمي للخطابة عند فارس والهند ، ويبدو أن السبب في ذلك هو النظام الطبقي المقدس الذي يحدد لكل إنسان وظيفته من يوم مولده ، ومع ذلك فقد كان الأمراء يحتاجون إلى الخطابة في بعض الأحيان ، وكانوا يستأجرون خطباء من بلاد اليونان ، كما حدث لـ " ديموستين " الذي عمل في بلاط فارس فترة من الزمن ، ويبدو أن ذلك هو السبب في أن في الهند كتبوا مدونة في الخطابة مع عدم معرفة مؤلفيها ، وفي أن للفرس حرصا على

التخصير الطويل - فكرا وزمنا - قبل الخطبة . كما علمنا من الجاحظ حيث يقول : " في الهند معان مدونة وكتب مجلدة لا تضاف إلى رجل معروف ، وفي الفرس خطباء إلى كلامهم عن طول فكرة وعن اجتهاد وخلصوة ، وعن معاونة ودراسة "١ .

الخطابة عند الرومان :

إذا جئنا إلى دولة الرومان فإننا نجد أنها تبدأ في حركتها العلمية متأخرة عن بلاد اليونان ، وتبدأها مركزة على القانون لا الفلسفة ، ومن هنا لم يجدوا معلم الخطابة في بلادهم ، فاستقدموه من بلاد الإغريق . يعلمهم هذا الفن في مدارسهم الرومانية التي أنشأوها بكثرة بعد ما علموا منزلة الخطابة في الإقناع والاستمالة . واحصوا بحاجتهم إليها .

ولقد كان الرومان في أشد الحاجة إلى الخطابة بسبب الصراعات الكثيرة . والمناقشات الحادة التي وجدت بين طوائف الشعب ، حيث حاولت كل طائفة أن تتغلب على غيرها ، ولذلك اندفعوا جميعا إلى تعليم الخطابة . وتعليمها لأولادهم بعدما كانوا يعتمدون على الجدل القانوني قبل ذلك .

وبالفعل وصل للرومان إلى كامل بغيتهم يوم أن تمكنوا من الاستيلاء على بلاد اليونان في أواخر عصر الجمهورية سنة ١٤٦ ق.م فقاموا على الفوز بإحضار العديد من المثقفين اليونانيين الذين امتازوا بالإلقاء الخطابي ، وتمكنوا بذلك من تأسيس الفن الخطابي الروماني المتميز بالفكر المنظم ، والمعاني المنسقة ، والأسلوب الرائع المتميز عن اليونان بتأثير الثقافة القانونية والثقافة الموسيقية من حيث التفصيل ، والترتيب ، والاستنباط ، ومن حيث إجادة الإلقاء وفن التأثير .

ويبدو أن الرومان كانوا يملكون فطرة الخطيب الممتاز لأنهم أقبلوا على قواعد العلم فانتقوها ، وبزوا الكثير في هذا المجال ، ويعتبر " شيشرون " مثلا

١- البيان والتبيين ج٢ ص٣٧

واضحاً على تقدم الرومان في الخطابة .

وقد وصل تعلق الرومان بهذا الفن أن حصروا التربية العالية فيه ، وقصروا للوصول إلى عضوية مجلس الشيوخ على الخطباء وحدهم ، وكان الخطباء هم المحامون ، ومنهم يؤخذ القضاء .
إن الأغنياء كانوا ينفقون الأموال الكثيرة من أجل أن يستقن أولادهم الخطابة حبا للعلم . وضمائنا للمستقبل . وبذلك كثرت الخطباء في روما .

الخطابة عند العرب :

ولما للعرب فقد هيأتهم ظروفهم ليكونوا خطباء مبرزين ، ذلك أن تباعد الديار ، ووجود التفرق ، والإحساس بالسيادة عند كل قبيلة ، مع إيمانهم بشعور قومي عام لاسمه اللغة والدين والجنس ، كل هذا جعل العرب يهتمون بالخطابة حيث كانوا يقدمون الخطيب إلى جيرانهم ، يجمع صوتهم . ويفخر بهم ، وفي الحروب يهجو ويدفع ، وفي المناسبات يهنئ ويحمل البشرى .
ولقد توجه العرب إلى الخطابة بفطرتهم . من غير تأثر بسواهم من الأمم الأخرى ، وكان استعدادهم الفطري واضحاً يقول الجاحظ : " وكل شئ للعرب فإنما هو بذية وارتجال . وكأنه الهام ، وكانوا أميين مطبوعين لا يتكلمون ، وكان الكلام الجيد عندهم اظهر وأكثر ، وهم عليه أقدر وأقهر " .
وقد نظر العرب إلى حالهم ومنازعاتهم فوضعوا نظاماً يكفل الأمن . ويقفل للصراع وكان هذا النظام نفسه سبباً لإزدهار الخطابة العربية وتوسع أغراضها .

وفحوى هذا النظام أنهم أقاموا أسواقاً تدور مع أيام السنة ، وفي جميع أماكن الجزيرة ، وحتى يحققوا أكبر فائدة من هذه الأسواق جعلوها مكاناً للكسب المادي ، وتقوية للشعور القومي ، ودفعاً للتسابق الأدبي واللغوي والعقلي .
وقد اختاروا لهذه الأسواق الأشهر الحرم حتى يضمنوا لأنفسهم الحركة

الأمنة ، والقول الجري ، والنقد الحر ، وأقاموها في سائر أنحاء الجزيرة العربية لكي يشترك الجميع فيها حتى يحققوا أكبر الفائدة منها .
وقد تميزت الخطابة العربية بالقصر ، والارتجال ، والسجع ، وإشتمالها على الحكمة . وبعدها عن الجدل والفلسفة . ودورانها غالباً حول الفخر والمنافرة والمدح والتهنئة والتأمل ، وكانت تخلو أحياناً من التسلسل والترتيب . وظل العرب في الجاهلية يعتمدون على الفطرة ، فلم يؤسسوا داراً لتعليم الخطابة ، أو يعينوا أستاذاً لها ، وإنما اكتفوا بدار الندوة والأسواق . لأنها منابر القول . وفيها يتبارى الخطباء . ويقدمون من ولقهم مدرسة تطبيقية ونظرية في نفس الوقت .

إن العرب في هذا الزمن السحيق كانوا يعجبون بالنشامط ، ويقومون بالمهجرات إلى بلاد الأنهار في حرية مطلقة بعيداً عن سلطان الكهنة أو سيطرة الحكام . وكل ذلك ينمي الخطابة التي اشتهر بها العرب بقول الجاحظ عنها : " جملة القول أنا لا نعرف الخطب إلا للعرب " ومراده أن للعرب أجادوا بفطرتهم هذه الصناعة . وسبقوا غيرهم إلى كثير من أنواعها .

واستمر العرب هكذا حتى جاءهم الإسلام ، وأمنوا به ديناً قوياً - ومع إيمانهم هذا علموا أن عليهم واجب تبليغه إلى العالم كله ، فقاموا بالواجب بكل ما أمكنهم من وسائل ، وهنا ساعدتهم موهبتهم الخطابية على أداء هذا الواجب . لقد كان العربي يخاطب الملوك والقواد شارحاً لهم دينه ، طالباً منهم أن يدخلوا فيه . وقد ازدهرت الخطابة لديهم خاصة بعد استقامتهم مع القرآن الكريم والسنة النبوية وقد استفادوا كثيراً بهما وظهرت هذه الفوائد في أساليب الخطابة ومعانيها وأغراضها .

أما استفادتهم في الأساليب فقد تهذب ألفاظهم ، وترقت أساليبهم ، وهجروا كثيراً من الألفاظ المعيبة ، واستبدلوها بألفاظ القرآن الكريم والسنة

النبوية ، وعدلوا عن الأساليب القديمة إلى الأساليب السهلة الممتعة ، كما أدى ذلك إلى توسيع معاني بعض الألفاظ . واشتقاق بعضها من بعض ، وقد كثرت محاكاة الخطباء لعبارات القرآن الكريم والسنة النبوية واستشهدوا بهما . واقتبسوا من نصوصهما وامتثلوا كثيرا من بيانهما .

وأما استفادتهم في المعاني ، فقد شاعت الدقة والعمق والسمو في معاني الخطابة واستعملوا المعاني الإسلامية بدلا من المعاني القديمة ، والتزموا الصدق والأخلاق في خطبهم وكانوا دعاة الخير دائما .

وأما استفادتهم في الأغراض فقد هجروا الأغراض الجاهلية كالمناظرة والهجاء والعصبية . ودعوا إلى المحبة والعفة والمساواة ، ودارت خطبهم على الأغراض النبيلة كالدعوة إلى الخير ، والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والحث على الإيمان ، والجهاد في سبيل الله ، وتحسين الجوارح والأرواح ، والتمسك بتعاليم الله تعالى ، ومداومة النصح والتوجيه .

وقد استمر العرب يعمون خطبهم ملتزمين بروح الدين . حتى جاءت الدولة الأموية ، وظهرت العصبية من جديد ، ووجدت الفرق من شيعية ، وخوارج ، ومرجئة ، وأمويين . واستتبع ذلك كثرة الفتن . في العراق ، وفي الأمصار الأخرى ، فأدى كل هذا إلى اهتمام العرب بفن الجدل ، حيث حاول كل فريق أن ينتصر لرأيه وجماعته ، مما أدى إلى نمو الخطابة ، وتوسعها وزدها ، مع عدم خروجها عن صورتها الإسلامية ، لأن كل خطيب كان يعتز بنسبته الإسلامية ، وفوميته النبوية ، ولقرب عهدهم برسول الله ﷺ .

ولم تكن الخطبة في ذلك العصر وقفا على طائفة خاصة ، بل كان من المتكلمين والمحدثين والمفسرين خطباء كالحسن البصري وواصل بين عطاء ، واشتهر لكل فريق خطباء وشعراء وعلماء .

وقد ظهر في العصر الأموي للحن على بعض الأئمة لاتساع الدولة ، واختلاط المسلمين بغيرهم ، كما ظهر في لسان عبيد الله بن زياد ويوسف بن

خالد وزيادة النبطي^١ .

وذلك ليس أمراً عادياً ، لأن عهد العرب بجاهليتهم قريب ، والنصوص الدينية فيهم عربية اللفظ والمضمون ، ولذلك كان اللحن نادراً .

وفي العصر العباسي : كثرت العلوم الفلسفية في بلاد العرب ، بعد ترجمة العلوم إلى العربية ، ووجد فن الكتابة ، وفن المقال ، مما أدى إلى ركود الخطابة ، وضعفها ، إلا أن الخطابة الدينية استمرت في قوتها ، وأخذت دورها في الوعظ والإرشاد ، وكان القراء يقومون بالقراءة في المساجد ، ويخطبون الناس في سكون ووقار .

وقد استفادت الخطابة العربية بصورة عامة من المؤلفات التي كتبت أو ترجمت في علم الخطابة ، حيث ترجم ابن سينا وابن رشد كتاب الخطابة لأرسطو ، وألف الأب لويس شيخو كتابي " الخطابة " وظهرت مؤلفات للخطابة في كل مكان أدت إلى ازدهارها ، ونموها ، وتنوعها ، وحافظت على قواعدها وأركانها .

وما زالت الخطابة تنمو ، وسوف تغلظ تنمو مع تطور الأجيال وتقدم الأمم شأنها شأن سائر العلوم لتؤثر في المستمعين وتحملهم على الخير والمعروف .

ويمكننا أن نقسم المؤلفات الحديثة في الخطابة إلى نوعين رئيسيين :

الأول : المؤلفات التي تتناول أصول الفن وقواعده وأركانه وتاريخه ، وهي مؤلفات نادرة وقليلة ، ومتأثرة بغموض الفلسفة الإغريقية التي أخذت منها مصادرها الأولى ، وأرى أنها في حاجة ماسة إلى الاستفادة من الدراسات الإنسانية الحديثة فهناك علم الإعلام الذي وضع للإعلام نظرية يمكن الاستفادة منها في توضيح قواعد علم الخطابة ، وطرق الإعداد والتهيئة ، والاستعانة بما وضعه الإعلاميون للتأثير الصوتي ، والحركي ، واللفني ... وهكذا .

كما يحتاج علم الخطابة إلى وضع ضوابط لمعرفة آراء الجمهور والمستمعين ، فبرغم أن اتصال الخطيب بالناس اتصالا مباشرا إلا أنه لا يمكنه معرفة رأى المستمعين ، ومدى تأثيرهم بقوله ، ومقدار طاعتهم لما أثار عليهم به ، ولذلك كان معرفة رد الفعل ، ومعرفة الأثر بالطرق التي وضعها الإعلاميون أمر هام للخطيب

وهكذا يمكن الاستفادة بالعلوم الحديثة لإثراء الخطبة ، وإجادة الخطيب. **الثاني:** المؤلفات التي تكون نصوص الخطب في المواضيع والمناسبات المختلفة وهذا النوع قد يحلل عناصر بعض الخطب ، وقد يكفي بإيراد شواهد الخطبة فقط ، وهذا النوع من المؤلفات الخطابية تعد مؤلفات وعظية يرجع إليها الدعاة كثيرا .

وإني هنا أتفصح بعدم الاعتماد الكلي على هذه المؤلفات لأنها وإن كانت تهتم بمناسبة متكررة إلا أن الجمهور بنفسياته وعقليته لا يتكرر ، ولذلك وجب على الخطيب أن يجعل هذه الخطب مرجعا يضيف إليه من ثقافته وتجربته .
ويا ليت الخطيب يتعلم فن الكتابة فيكتب خطبته كاملة ويضع العناوين لعناصرها ، ويدون في نهايتها الملاحظات الإيجابية والسلبية التي توصل إليها بعد إلقائها ... إن ذلك نوع من النقد الذاتي البناء الذي يفيد في حالات كثيرة .



وعلى الجملة فإن الخطابة اليوم تتميز بالتنوع الموضوعي ، والشمول الفكري ، والأساليب الدقيقة الأخاذة ، وقد نالت كثيرا من الاهتمام حيث أصبحت تدرس في تخصصها المستقل على مستوى الجامعة ، وفي الدراسات العليا ، في الوقت الذي تدرس فيه من خلال الأئمة ، والبلاغة ، وفي التوعية ، والإلقاء الإذاعي ، وغير ذلك .

وقد اهتمت مؤسسات الدعوة بالتطبيق العملي لقواعد الخطابة ولذلك جعلوا جزءا من الدراسة تريبيا عمليا تحت إشراف أساتذة متخصصين .



الباب الأول

قواعد علم الخطابة



قواعد علم الخطابة

تمهيد :

علم الخطابة له موضوعه الذي يتخذه مجالات للدراسة والبحث ، وله هدفه الذي يعمل لتحقيقه والوصول إليه .

وفي العصر الحديث لم يعد الأمر قابلاً للصدفة والتلقائية بالنسبة للخطابة لما لها من أهمية في حركة المجتمع والناس .

إن العالم مليء بالمساجد التي تحتاج لخطباء علماء يجيدون فن التأثير ، ويعرفون قواعد الإقناع والخطاب . والجمعيات على تنوعها ، وتوجهاتها تحتاج للخطباء المجيدين لتحقيق غاياتهم وأربهم .

وقد اهتمت جامعه الأزهر بإنشاء كلية الدعوة الإسلامية وأقسام الدعوة في الكليات الأخرى لتتحرك الدعوة إلى الناس بمنهجية عالمية ، وقواعد ثابتة وبذلك يخدم العلم العمل ، ويساعد الفكر التطبيق والأمل .

وفي هذا الباب سيكون الحديث عن قواعد العلم وألسياته .

إن الخطابة في جملتها أقوال هادفة رتب وفق منهج علمي معين ، يتحدث بها شخص عالم بما يقول ، ويوجهها لجمهور من الناس ، بهدف التأثير فيهم وإقناعهم بما يراد منهم ...

وعلى هذا فالأقوال هي الخطبة .

والقائل هو الخطيب .

والجمهور هم المستمعون وتلك هي قواعد علم الخطابة الرئيسية ...

يقول ابن رشد : " إن الكلام مركب من ثلاثة جوانب .

من قائل وهو الخطيب .

ومن مقول فيه وهو الذي يعمل للقول فيه وهو الخطبة في حد ذاتها .

ومن الذين يوجه القول إليهم وهم المستمعون^١ فأكد بذلك أركان علم الخطابة وقواعده *

إن علم الخطابة يتناول كل ركن من هذه الأركان الثلاثة . فيعرف به ، ويقسمه أقساما معينة من أجل تفهمه ، ودراسة أبعاده المتعددة وفق المنهج العلمي . وبعد ذلك تكون دراسة قواعد العلم وقوانينه ببنه واضحة ، أمام الخطباء وكل من يتصدى لهذه العملية التوجيهية الهامة .

إن علم الخطابة يتصل بسائر العلوم كما ذكرنا يفديها . ويستفيد منها في إطاره الموضوعي . وواجب على المشتغلين به أن يوجهوه إلى النافع المفيد ، ويبعدوا به عن الأغراض السيئة المرذولة حتى يتضح للعلماء ولغيرهم الوجه الحقيقي لهذا العلم ، فما وضعه واضعوه إلا لخدمة الإنسان والترقي به حياته الخاصة والعامة .

وستحدد دراستي لهذا العلم في أركانه للثلاثة المذكورة . في فصول ثلاثة حيث يرد كل ركن في فصل خاص وذلك على النحو التالي :

الفصل الأول : في الخطبة

الفصل الثاني : في الخطيب

الفصل الثالث : في المستمعين .

والله موفق ،،،

١- تلخيص الخطابة ج-٢٨ ، الخطابة لارسطو ص-١٦ .

الفصل الأول

الخطبة

تمهيد :

الخطبة بصورة عامة ليست أمرا سهلا ، ولا تأتي لخطيب إلا بالجهد والدراسة والتعب ،

إنها تخاطب عقولا فاهمة ، ومتنوعة ... وتحاول أن تقنع الوجدان ، وترضى الأرواح ولذلك لا بد لها من التركيز على عناصر معينة لتكون مقبولة وناقعة .

إن الخطيب حين يقصد الخطابة لا بد له أن يعرف الموضوع الذي سيتكلم فيه بشرط أن يكون المستمع في حاجة إليه ، وأن يقسمه تقسيما علميا عقليا حتى يستكمل كافة عناصره .

وإن يرجع إلى المراجع والمصادر المتعلقة بالموضوع ليستخرج منها ما يحتاج إليه في موضوعه ، وفق العناصر التي حددها ، وأن يتحلى بأسلوب ملائم للمناسبة ، أخاذ للعقول ، مبين للمراد بوضوح لأن من المعلوم أن البيان البليغ من الحكمة ، وأن الإنسان مولع بتتبع الجمال في كل مواطنه ، وبخاصة مع اللفظ والعبارة ... وعلى الخطبة أن تكون مرتبة منسقة ، وأن تكون في جملتها متلائمة مع الظروف والمناسبة التي ستلقى فيها .

وذلك كله يحتاج إلى دراسة الخطبة من جوانبها المتعددة ، وأهم الجوانب التي سندرسها حول الخطبة في المباحث التالية هي :

المبحث الأول : إعداد الخطبة

المبحث الثاني : محتويات الخطبة

المبحث الثالث : أنواع الخطبة عند أرسطو

المبحث الرابع : الأنواع الحديثة للخطبة

المبحث الخامس : بين الخطبة وأشباهاها من فنون القول

وستأتي الدراسة بنفس الترتيب فيما يلي :

المبحث الأول

إعداد الخطبة

الأمر العظيم يحتاج إلى تخطيط وإعداد ، حتى يكون على قدر المقام الذي وضع له ، ألا ترى رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم كانوا يستعدون لدورهم بكل ما أوتوا من قوة . فهذا سيدنا موسى عليه السلام حينما قال الله ﴿ آذَعَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴾ ١ ﴿ كَانَ رَدَهُ ﴾ قَالَ رَبِّ أَسْرِخْ لِي صَدْرِي ﴾ وَيَبْتَزْ لِي أَمْرِي ﴾ وَأَحْلَلْ عَقْدَةَ مِن لِّسَانِي ﴾ تَفَقَّهُوْا قَوْلِي ﴾ وَأَجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴾ فَهَرُونَ أَخِي ﴾ ٢ ﴿ فَجَدَّه عَلَيْهِ السَّلَامُ يَطْلُبُ مِنْ رَبِّهِ أَنَّهُ يُلْهِمُهُ الْإِسْتِعْدَادَ لِنُورِهِ بَعْدَ فُهْمِهِ لَهُ ، وَتَخْطِيطَهُ لِمَا يَحْتَاجُهُ هَذَا الدُّورُ .

فبرغم أن الله سبحانه وتعالى أمدّه في بداية التكليف بمعجزات العصا واليد من أجل أن يصهره ويحوّله إلى عبد متوكل موثّق بنصر الله . رغم تحقق ذلك له نجدّه عليه السلام يطلب من ربه إعداد خاصا قبل لقاء فرعون ، لأنه يطلب من الله أن يشرح له صدره ، وأن يسهل له أمره . ليقل على البلاغ وهو متيسر النفس ، مستسهل تنفيذ الأمر . ونجدّه أيضا يطلب أن يحل الله عقدة لسانه لئلا يقع منه خلل البتة في رسالته ، ويطلب كذلك أن يشركه هارون في التبليغ ليشد أزره ، وقد استجاب الله له كل ما طلب .

وهذا رسولنا ﷺ ينرك خطورة دوره فيبذل الجهد في المحافظة على وحى الله إليه ، ويحاول أن يصونه بكل الوسائل الممكنة وهو ينزل إليه فقال الله له : ﴿ لَا تَحْزَنْ بِمَوْتِ لِسَانِكَ لِيَتَعَجَّلَ بِمَوْتِ ﴾ ٣ ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴾ ٤ ﴿ فَإِذَا قَرَأَهُ فَأَتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴾ ٥ ﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ ٦ ﴿ .

١-سورة طه آية ٢٤

٢-سورة طه الآيات ٢٥ : ٣٠

٣-سورة القيامة الآية ١٦ : ١٩

والخطبة من المسائل الصعبة الخطيرة ، يستشعر ذلك كل من مارسها عمليا ، وواجه جمهورا من الناس في يوم ما .
يقول عمر بن الخطاب "ما يتصدنى كلام كما يتصدنى خطبة النكاح"^١ .
وقيل لعبد الملك بن مروان : عجل عليك الشيب يا أمير المؤمنين .
فقال : كيف لا يعجل عني . وأنا أعرض عقلى على الناس فسي كسل جمعه مرة أو مرتين^٢ .

والصعوبة الخطبة وجب الإعداد لها .

والإعداد هو التهيئة والتحضير ولا بد منه للخطبة ليرز المعنى في ثوب قشيب مؤثر . يقول الجاحظ : " إن المعنى إذا اكتسى لفظا حسنا . وأعاره البليغ مخرجا سهلا . ومنحه المتكلم فولا متعشقا صار في قلبك أحلى . ولصدرك أملا . والمعنى إذا كسيت حسن الألفاظ الكريمة . وأهبت الأوصاف الرفيعة تحولت في العيون عن مقادير صورها . وأرابت على حقائق أقدارها بقدر ما زينت . وعلى حسب ما زخرقت . فانكر هذا الباب ولا تفرط فيه"^٣ .
وإعداد الفكرة والمعنى وإظهارها بصورتها اللائقة يمر بمراحل متعددة لأن تغير الموضوع وتحديده في العقل والرضى به يمثل مرحلة .

كما أن تحليل الموضوع لعناصره الأساسية واختيار أدلته وتنسيقها يمثل مرحلة ثانية .

وأیضا فإن صياغة المعانى والأدلة في قالب بيانى فصیح ، وأسلوب بليغ يتناسب مع المستمعين يمثل مرحلة ثالثة .

ولا تفضل مرحلة غيرها في الأهمية فجميعها يتصاهر في تقديم خطبة جميلة متماسكة تصل لهدفها وتأثيرها .

يقول ابن المعتز : "إن البلاغة بثلاثة أمور . أن تغوص لحظة القلب في

١- البيان والتبيين ج١ ص١٠١

٢- الخطابة ص٢٣

٣- البيان والتبيين ج١ ص١١٧

أعماق الفكر ، وتتأمل لوجوه العواقب . وتجمع بين ما غاب وما حضر . ثم يعود القلب على ما أعمل الفكر . فيحكم سياق المعاني والأدلة . ويحسن تنفيذها . ثم تبديه بألفاظ رشيقة مع تزيين معارضها واستعمال محاسنها^١ .
 إن غوص العقل في البحث والنظر يوصل إلى تحقيق المرحلة الأولى ، كما أن إحكام السياق يمثل المرحلة الثانية واختيار الألفاظ الرشيقة يمثل المرحلة الثالثة .

وهكذا تحتاج الخطابة إلى كافة جوانب البلاغة .

ويقول الشيخ على محفوظ^٢ من أراد العظة البليغة والقول الموثرة فليعد إلى المنكرات الفاشية . ولا سيما ما كان منها قريب العهد ، وحديثه على السنة الناس ثم يقدم أكبرها وأخطرها فيجعله محور خطبته ، وموضع عظته ، ثم يفكر فيما ينشأ عن هذا الحادث من آثار يحرصها . ثم يستحضر الأدلة من الآيات والأحاديث والآثار . ثم يأخذ في كتابة الموضوع بعد ذلك إن شاء^٣ .
 فنجد أن من قال في البلاغة ، ومن قال في الخطابة يقسمون الإعداد للخطبة إلى مراحل أربع :

- المرحلة الأولى : تعرف بمرحلة اختيار موضوع الخطبة .
 - والمرحلة الثانية : تعرف بمرحلة تحديد عناصر الخطب .
 - والمرحلة الثالثة : تعرف بمرحلة اختيار الأدلة والنصوص .
 - والمرحلة الرابعة : تعرف بمرحلة التعبير البياني والتركييب البلاغي .
- وبعد هذه المراحل يتسلم الأمر الخطيب بصفاته وخصائصه ، وهذا ما سوف ندرسه في الباب الثاني .

١- البيان والتبيين ج١ ص١٣٥

٢- هداية المرشدين ص١٣٧

المرحلة الأولى اختيار موضوع الخطبة

حينما يحتاج أمر ما إلى إلقاء خطبة ، فإن على الخطيب أن يبحث أولاً عن الموضوع الذي يناسب هذا الأمر ، ويتفق مع رغبات المستمعين ، ذلك أن الموضوعات كثيرة . ومناسباتها عديدة ، فما يناب التهنئة لا يناسب العزاء ، وما يقال في الصلح غير ما يقال في الجهاد ، وخطبة الأعياد والمناسبات الدينية غير ما في الأيام العادية سواها ، والخطبة في جمهور العلماء تختلف عن الخطبة في العامة ، وهي في الحضر تختلف عن الريف والبادية والمناسبة دائماً تتأثر بالبيئة ، والثقافات وطبيعة الجماعة .

وأيضاً فإن الموضوع الواحد قد يلقي بأوجه متنوعة ، وما يثير اليوم قد لا يثير غدا تبعاً لتغير الموقف والحال ، وهناك من يناسبه الإيجاز ومن لا يفيد إلا الإطناب .

ثم إن الناس يتأثرون بفكرهم ودينهم ولا بد أن تتناسب الخطبة معهم ، ومن هنا كانت أهمية اختيار موضوع الخطبة . وتحديدده وفق اعتبارات موضوعية معينة ، واختيار الموضوع هو المرحلة الأولى في الإعداد ، وحتى يكون إيجاد الموضوع في إطاره العلمي وجب أن يبنى على الاعتبارات التالية:

أ - نفسية المخاطبين :

يتأثر الإنسان بعدد من المؤثرات بعضها فطري . والآخر مكتسب ، ولا ينجو إنسان ما من هذه العوامل الموجهة ، فهي تلازمه وتعيش معه وتنفعه إلى سلوك معين . وتجذبه نحو غاية خاصة ، بل إنها تساعد على التعامل مع كافة المواقف النفسية والاجتماعية ، وتعيده على بلوغ أهدافه ، وتمكنه من الدفاع عن فكرته ، ورد انتقادات الناس الموجهة إليه .

والاتجاهات الفردية صورة لاتجاه الجماعة بشكل عام . وكلاهما إما

أصلى أو طارئاً^١ .

والخطيب يمكنه معرفة اتجاه الأفراد والجماعات إذا لاحظ العوامل التي تحدث الاتجاهات العامة ، وتؤثر في نفس الأفراد . وتنميتها . وقد أشار علماء النفس الاجتماعى إلى انحصار هذه العوامل في البيئة . والوراثة . وإمكانية الشخص ذاته .

لأن البيئة تعطى للناشئة فيها تقاليدها وعاداتها ، فأبناء التجار يأخذون طبع آبائهم . وأبناء العلماء يتجهون نحو البحث والمعرفة ، وأبناء العمال والمزارعين يتقنون ما رلوا آباءهم يعلمونه .

وعن طريق الوراثة يرث الابن الخلق ، والطبع ، وصورة السلوك . وتقوم الثقافة الشخصية للإنسان بتوجيهه ، لأنه يفهمها ، ويعمل بها عن الفتتاح ورضى .

ومن المؤكد أن هذه العوامل تساعد أيضا في ذبوع الاتجاهات الطارئة وتوصيلها . وملاحظة الاتجاهات الفردية على النحو المذكور يمكن الخطيب من التركيز على القضايا المؤثرة في المستمعين ، وعدم التصادم المباشر مع الاتجاهات السائدة ومن هنا تأتي أهمية اختيار موضوع الخطبة ليكون متفقا مع نفسية المستمع .

ومن هنا يختلف الموضوع في القرية عن المدينة ، والخطبة للعمال تغاير الخطبة للمثقفين ، كما أن ملاحظة هذا الجانب النفسى يؤدى إلى اختيار الطريقة الصحيحة للموضوع ، وتقديمه بطريقة معينة لأن الطريقة التي تقدم بها المعلومات إلى الأفراد ذات أثر بالغ في التأثير وتعديل الاتجاه .

ومن التجارب الطريفة في هذا الباب أن * هو فلاند * قدم لمجموعة من طلاب الجامعات في أمريكا عددا من قصاصات الصحف .

وقال لنصف الطلبة : إن أمريكيين هم الذين كتبوا ما في القصاصات .

١ - المقصود بالاتجاهات الأصيلة تلك المؤثرات الثابتة مع الإنسان منذ مولده بسبب الوراثة ، والمقصود بالاتجاهات الطارئة تلك المؤثرات التي تأتي وتذهب تبعا للمواقف والأحداث البيئية .

وقال للنصف الآخر : إن القصصات هي أجزاء من جريدة " البرافدا " الروسية وبأقلام روس .
ولاحظ أخيراً أن النصف الأول وافقوا على ما جاء في القصصات .
والنصف الآخر وقف ضده^١ .

والسبب في هذا التغير أن الاتجاهات النفسية الفردية لها أثر قوى في الاستفادة مما يسمع أو يقرأ ، ولو تصورنا خطيباً يخطب الطلبة في وسائل النجاح . وطريقة الامتحان ، فإنه يلقى ترحيباً ، وقبولاً لأنه خاطب الطلبة فيما يشغلهم نفسياً .

ولو تصورنا خطيباً آخر يخطب أهل المدينة بطريقة مقاومة الآفات الزراعية فإنه يقابل بالظن والنفور .

إن الخطيب الأول ينجح في عرضه لأنه لامس حاجة الجمهور وركز على اتجاهاتهم ، والخطيب الثاني لا ينجح في شأ لأنه في جانب والمستمعون في جانب آخر بعيد .

ويمكن للخطيب أن يعرف الاتجاهات النفسية للجمهور بواسطة اختلاطه بالناس ، وسعة قراءاته ، وسؤاله للمختصين العاملين مع الجماعة كالأخصائي الاجتماعي ، والمرشد الديني ، ومهندس الزراعة وغيرهم ...

أ - عقلية المخاطبين :

الإنسان مخلوق عاقل ، وعلى قدر تعقله يكون مستواه ونشاطه مع الناس .

والبشر ليسوا على عقل واحد ، فمنهم العبقري الذاهب الذي يفهم بالإشارة ويدرك باللمحة ، ويعيش قضايا مجتمعه بفكر راق ، ولب حكيم ... ومنهم متوسطو الثقافة ، متوسطو الإدراك ، يفهمون مبادئ الحياة ، وتعجز عقولهم عن التجديد ، والتخيل ... ومنهم قوم هم أشبه بالسوفسطائيين الإغريق ، يحبون الجدل ، ويميلون إلى المعارضة . ومواصلة الحوار والتفكير مع الناس .

١ - علم النفس الاجتماعي ص ٨

ومن هنا وجب على الخطيب أن يدرك المستوى العقلي والفكري للمجتمع الذي سيخاطبه ليتمكن من إفادته .
 وإدراك المستوى العقلي للمخاطبين ليس من الوقوف على نفسياتهم لأن ظهور العقل أثناء الفكر والحديث أمر ممكن ، وأيضاً فإن الوقوف على عدد المتقنين ، ومعرفة تخصصاتهم ، والإحاطة بنشاطهم في المجتمع أمر ليس خافياً على من يريد الوقوف عليه .
 وعلى ضوء المستوى العقلي للمخاطبين يمكن اختيار الموضوع حتى لا يعلو فلا يفهم ، ولا يسفل فينصرف المستمعون .
 وقد تحدث العلماء عن تنوع المستوى العقلي للناس ، وضرورة التعامل الملائم لكل صنف .

يقول الأوسى : إن الناس ذو عقليات ثلاثة :

فطائفة : منهم أصحاب نفوس مشرقة . قوية الاستعداد لإدراك المعاني قوية الانجذاب نحو المبادئ العالية . مائلة إلى تحصيل اليقين على اختلاف مراتبه ، وهؤلاء هم أصحاب العقل الراقى في الناس ولا بد لهؤلاء من موضوعات تناسب نفوسهم وفكرهم .

وظائفة ثانية : هي عوام الناس الذين يملكون نفوساً كدرة ، ضعيفة الاستعداد للمعاني شديدة الإلف بالمحسوسات ، قوية التعلق بالرسوم والعادات ، قاصرة عن درجة البرهان ، وهؤلاء قوم يستتارون بسهولة ولا عناد عندهم وهؤلاء يناسبهم الموضوع البسيط الملائم لبساطتهم ، التابع من واقعهم بعيداً عن الإغراب والتفلسف .

وظائفة ثالثة : معاندة مجادلة بالباطل ، تقصد دحض الحق لما غلب عليها من تقليد الأسلاف ، ورسخ فيها من العقائد الباطلة وهؤلاء يناسبهم الموضوع الذي يجادلون فيه على أن يكون في شكل استفهام واستفسار .

ويقول ابن رشد : " والناس على ثلاثة أصناف ، صنف ليس هو أهل التأويل وهم الخطابيون الذين هم الجمهور الغالب ، وذلك أنه ليس يوجد أحد سليم العقل يعرى عن هذا النوع من التصديق ، وصنف هو من أهل التأويل الجدلي وهم الجدليون بالطبع أو بالطبع والعادة ، وصنف هو من أهل التأويل اللفظي ، وهؤلاء هم البرهانيون بالطبع والصناعة "١ .

وقد ارتضى الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره هذا التقسيم ، وذكر أن البشر بالنسبة لكمال لطبع طرفان وواسطة .

فالتأنيف الأولى التي تتجه إليها الحكمة هي طرف الكمال والسيق ، وهي التي تتميز باللب والعقل ، والعبقرية والفهم .

والتأنيف الثانية صاحبة الموعظة وهي متوسطة العقل والفهم ، يثيرها الجديد ، وبحركها الانفعال والعاطفة وهي الواسطة^٢ .

والتأنيف الثالثة هي المجادلة وهي التي تتوهم مع الحوار والنقاش وهي طرف النقصان .

إن الوقوف على المستوى العقلي يساعد على اختيار الموضوع وعلى تحديد العناصر ، ووضع الأساليب المختلفة .

إن الدليل في الخطبة يجب أن يتفق مع عقلية المستمعين ، كما أن تسلسل العناصر يحتاج إلى عقل معين لمتابعته .

إن الرجل الأمي لا يمكنه أن يجمع في ذهنه الكليات المركبة ، والدليل معه يجب أن يكون مبسطاً ، والتعاريف إليه لابد أن تكون بالعرض المحسوس والتشبيهات ، والأمثال يجب أن تكون من واقع بيئته ، وهذا بخلاف الرجل المثقف ، لأن متابعة التسلسل سهل لديه ، والقوص في المعاني دأبه ودينه ، وكثيراً ما يسعد بأسلوب يحلق به في عالم الجمال ، ويقرب له المحسوس بالمعنوي ويملاً بيانه بالمجازات المختلفة ، والاستعارات الكثيرة .

١- فصل المقال ص ٣٠

٢- مفتاح الغيب ج ٥ ص ٥٣٦

وعلى الجملة فإن الإحاطة بعظية الأفراد تسهل للخطيب النجاح .

ب - معرفة المناسبة :

التناسب بين المشيئين أساس لتألفهما ، وعناصر المادة لا تتألف إلا بهذا التناسب ، وكذلك " الأرواح " ما تعارف منها التتلف وما تناكر منها اختلف^١ . وقد اقتضت حكمة الله تعالى أن ينزل القرآن الكريم متناسبا قسى آية وسوره ومناسبا^٢ لواقع الناس ، ومصالحهم ، فخلد بذلك فى النفوس والعقول ، ولقد كان العربى يستمع إلى القرآن الكريم فىأخذه بباله السحر ، وتناشيه العجيب وينادى القرآن أمرا أو ناهيا فلا يسهه بسبب ما فيه من دقة إلا أن يستجيب ، ولقد وصفه الوليد بن المغيرة فقال : " إن له حلاوة ، وإن لظاوة وأن أعلاه لعثمر ، وأن أسفله لمغدق^٣ " والوليد هذا من العرب اللخلص الذين تميزوا بالحكمة وبرعوا فى القيم فكان قوله هذا دليلا على ما فى القرآن من مزايا ، ومنها التناسب .

لذا تطابق الصواب حين نلزم الخطيب بأن يتناسب مع الناس ، ولعل لوضح التناسب أن يعيش مناسباتهم على اختلافهم . والمناسبات كثيرة منها الوطنية . والقومية . والشخصية . والدينية . وتتغير الخطب بقدر تغاير المناسبات .

إن خطبة العيد تغاير خطبة الجمعة ، وخطبة التهنة تختلف عن خطبة العزاء . وواجب على الخطيب أن يحيط بسائر المناسبات حتى يعيش فى واقع الناس وفكرهم بهذه الإحاطة .

والخطيب وهو يعيش المناسبة عليه أن يتخير معها موضوعا مرتبطا بهذه المناسبة ليقيم الحل الإسلامى لموضوعه الذى يعيش للناس فيه . ومن أمثله التألف المناسب بين الخطبة والواقع أن يقدم الخطيب للشباب

١- رواه البخارى عن عائشة رضى الله عنها .

٢- لنظر مؤلفات البقاعى والسبوطى والفراهى عن مناسبات الآيات والسور .

٣- سيرة النبى ج١ ص٤٦٥

عند الامتحان خطباً في (العش وضرره) (وأهمية الأمانة) (وضرورة مراقبة الله تعالى) (واللجوء إلى الله للسداد والتوفيق) .
 ومن أمثله ذلك في المناسبات الوطنية أن تكون الخطبة في * عوامل النصر * و * المحافظة على الحقوق * و * العودة إلى شريعة الله تعالى * .
 وهكذا في سائر المناسبات ... وليس من الضروري أن يغوص الخطيب في أعماق المناسبة ، وتحليلاتها ، وبيان أسرارها .
 يقول ابن رشد : " من الضرورة أن يقف الخطيب على ما يحتاج أن يشير به في واحد من الأشياء التي يختارها ، وليس يحتاج عند الإشارة بالزيادة في النبات أن يكون فلاحاً ، ولا في الحيوان أن يكون راعياً ، لكن يكفي في ذلك معرفته بمقدار الحاجة إليها ، لكنه يحتاج مع هذا أن يكون عالماً بالمسير المتقدمة في هذه الأشياء . وما عند الناس فيها ^١ .
 إن الجمهور حينما يجد قولاً يتصل بيومه . وحياته . ينسبه إليه وإن فاته منه شيء سأل عنه . إشباعاً لنفسه التي أثارها هذا المقال .
 وليس معنى مراعاة الخطيب لمناسبات الجمهور ألا يوجه لهم أمراً جديداً ، لا يأمرهم به ولا ينهاهم عنه ، وإنما الذي نقصده أن يكون مع الناس في مناسباتهم . ويحول الأمر ببراعته إلى ما يريد . ولا يكون بعيداً عن الناس فيتخلف لو ينزل .
 ولقد كانت خطابة النبي ﷺ مثالا لهذا التناسب الذي نتمناه. يصفها الراجعي فيقول : " إن خرجت قلت : أنين من فؤاد مقروح ، وإن راعت بالحكمة قلت : صورة بشرية من الروح ، في منزع يلين فينفر بالدموع ، ويشد فينزو بالدماء^٢ ولا غرابة في هذا لأن النبي ﷺ صناعة إلهية من أجل الناس وقد أدبه الله تعالى فأحسن التأديب * .
 ونحن لا نطالب الخطيب أن يكون على هذا المستوى المعجز ، ولكننا

١- تلخيص الخطابة ص ٣٦

٢- البلاغة النبوية ص ٣١

نطالبه أن يسير على الدرب المرسوم ، خاصة بعد أن بين العلم الطريق ،
 وطالب بضرورة مراعاة المناسبة والتوافق بين المقال والناس .
 إن الإحاطة بالاتجاهات النفسية ، ومعرفة عقلية الجماهير ، ولوقوف
 على المناسبات المختلفة يمكن الخطيب من اختيار الموضوع المثير . وانتقاء
 الدليل المناسب ، ومراعاة مقتضى الحال .

وكثير من الخطباء يغفل عن تخير الموضوع المناسب للواقع الذي يوجد
 فيه ، ويتصور أن أي موضوع كاف ... وهذا أمر غير صحيح ، ولا يفيد
 الخطيب في شيء ، لأنه يؤدي إلى اتصاف الناس ، وعدم اهتمامهم بالموضوع
 المعروف .

ولا يمكن القول إن هناك من الموضوعات المناسبة قضايا لا يصح
 الخوض فيها وبخاصة وسط الخلافات المذهبية ، والانقسام السياسي .
 لا يصح ذلك لأن الخطيب الناجح يمكنه الدخول في هذه الموضوعات
 ويناقشها من زاوية دينية خالصة ، يفيد بها الناس ، بعيدا عن محل التنازع
 والخلاف .

المرحلة الثانية

إيجاد العناصر

إيجاد العناصر وتركيبها هو المرحلة الثانية في إعداد الخطبة ، ذلك أنه في المرحلة الأولى حدد الموضوع . وبعد ذلك يحتاج إلى تحديد العناصر . ليختار الدليل مع كل عنصر واضعاً في ذهنه الأسس التي اكتسبها من المرحلة الأولى ، وقد سمي ابن سينا هذه المرحلة بـ " العمود " لأنها الأساس المكسب في الخطبة ، وعليها المعول الأكبر في الترتيب والتنسيق . وعلى الخطيب أن يحدد عناصر الخطبة ويميز كل عنصر على حدة . ويجعل كل العناصر تنور حول موضوع واحد .

ويستحسن للخطيب أن يوجز هذه العناصر في كلمات قصار ، لكي تكون معه ويمكن بعد نواها من جمع الأدلة المناسبة لكل عنصر .
ومما يعين في تعيين العناصر القراءة في المراجع العلمية ، والاستفصاء العقلي للموضوع ، ووضوح الهدف من الخطبة كلها .

وتشمل العناصر في مجملها مع أي موضوع النقاط التالية :

- أ — إيراد مقدمة تحدد صورة البداية ، وتعرف بعنوان الموضوع بطريقة يختارها الخطيب .
 - ب — تقسيم الموضوع إلى عناصر مع ترتيب هذه العناصر ترتيباً يرضى به العقل العلمي والمنطق السليم .
 - ج — ترتيب جزئيات العنصر الواحد .
 - د — الختام حيث الوصايا وإظهار الهدف .
- ويجب أن تكون العناصر مترابطة مسلسلة بحيث يأخذ كل عنصر بحجز صاحبه بلا خلل . وغير بعيدة عن الموضوع ، وبخاصة أن الاستطراد غير

مستحب في الخطبة . ومن أمثلة إيجاد العناصر في خطبة عنواتها " الإيمان طريق السعادة " ما يلي :

أولا : تحديد المقدمة للموضوع وفيها إشارة للموضوع بأية قرآنية ، أو حديث نبوي ، أو بسؤال ، أو بغير ذلك .

ثانيا : الدخول في تحديد العناصر وهي :

- أ - التعريف بالإيمان وصلته بالسعادة والرضى .
- ب - بيان أركان الإيمان .
- ج - طرق اكتساب الإيمان .
- د - الأثر الإيماني في الفرد والجماعة .
- هـ - مناقشة الواقع وما عليه الناس إيمانيا .
- و - ضرورة تصحيح المسار الإيماني لتحقيق السعادة .

ثالثا : الختام ويكون يذكر حديث أو قرآن ، أو بإشارة إلى الموضوع :
ومن أمثلة العناصر في خطبة اجتماعية عنواتها " أهمية التعاون في الإسلام " ما يلي :

أولا : مقدمه تشير إلى الموضوع

ثانيا : تحديد العناصر وهي :

- للتعريف بالتعاون الخير ، وبيان الفرق بينه وبين غيره من صور التعاون الأثم .
- بيان تنوع التعاون بتنوع العمل .
- اهتمام الإسلام بنشر التعاون بين المسلمين .
- صور من التعاون للخير قديما وحديثا .
- فوائد التعاون .
- أضرار التفريق .

ثالثا : الختام ويشتمل على توصيات وتوجيهات

وبالممارسة ، والنفة ، وتنوع قواعد العلم ، يسهل اختيار العناصر بشرط تماسكها ، وتناسقها .

ويمكن أن تختلف عناصر الموضوع الواحد عند شخص وعن غيره ، لأن لكل عقل مجاله ، ولكل خطيب توجهه ... وكل ما نرجوه هو التناسق والتكامل بين العناصر في كل خطبة على حدة .

وبتحديد العناصر تبدأ الخطوة العملية في تركيب الخطبة . وقد ضرب لنا ابن رشد في تلخيصه لكتاب الخطابة أمثلة لعناصر بعض الخطب لكي نتحدث .

يقول ابن رشد : إن المشير بالحرب يحتاج أن يعرف .

— قوة من يحارب .

— وقوة بمن يحارب .

— ومقدار الأمر الذي يذال بالمحاربة .

— وحال المدينة في وثاقتها وحصانتها وضعف أهلها وقوتهم .

— وأن يعرف شيئا من الحروب المتقدمة^١ .

وهذه كلها أهم عناصر الخطبة التي يجب أن يحيط بها الخطيب ، وهو يتحدث عن القتال ، وعلى هذا النمط تكون العناصر في الموضوعات الأخرى . ويمكن للعلماء والمشرفين على تعليم وتدريب الخطباء أن يعرضوا العديد من الموضوعات أمام طلاب الدعوة ، ويكلفوهم باستخراج عناصر كل موضوع ، ومناقشتهم بعد ذلك ، وبذلك يتقن الطلاب عملية استنباط العناصر من الموضوع .

وتحديد العناصر مسألة مهمة في الإعداد لأنها تمثل الهيكل العظمى للخطبة ، وإذا لم تحدد سلفا يحدث خلل في البناء النهائي للخطبة .

المرحلة الثالثة اختيار الأدلة

بعد الاستقرار على موضوع الخطبة ، وتقسيمها إلى عناصرها الأساسية يأتي دور البحث عن الأدلة والبراهين التي تعين الخطيب على بيان موضوعه . وإقناع المستمعين ، وهذا يحتاج إلى تحديد نوعية المصادر التي تفيد كل موضوع ، فمثلا مصادر الخطبة الدينية أساسا هي الكتب المقدسة ، ومصادر حولها من دراسات واجتهادات العلماء والخطبة السياسية تختلف مصادرها عن تلك . وهكذا ...

ويرى العلماء أن الأدلة منها ما يتصل بالموضوع اتصالا مباشرا ، ومنها ما يتصل بطريق عرضي غير مباشر .

وعلى من يتصدى للخطبة أن يختار أدلته في إطار الجوانب التالية :

١- آراء أهل التخصص :

للقلم رجاله ، وللسان أهله ، ولكل فن أسدقاؤه الذين تعلموه . وأتقنوه وتخصصوا فيه ، وحينما يحتاج الإنسان إلى رأى ما فواجب عليه أن يسأل صاحبه الذي تخصص فيه . يقول الله تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِيَ إِلَيْهِمْ فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [١٦٦] ذلك أن أهل التخصص يجيدون الفتوى في موضوعهم ، ويعرفون طريقتي الصواب في الأمور التي يشيرون فيها ، وقد درج الناس جميعا منذ القديم على توجيه السؤال إلى من يعرف صوابه . أو من يظن فيه ذلك .

إن اشتمال الخطبة على أقوال أهل التخصص يفتح المخاطبين بسهولة ، ولذلك كانت أقوال الحكماء والأئمة مفيدة في بابها ، وأصبح الاستشهاد بها أمرا

ضروريا على الخطيب أن يستعين بها حتى يصل إلى غرضه .
 ومما يساوى أقوال أهل التخصص في عملية الإقناع ، والقوانين وخاصة
 في الخطب القضائية ، إن المحامي الناجح يستطيع بقدرته على الاستشهاد
 بالقوانين أن يقنع القاضي ويستميل الجمهور إلى جانب الحق الذي يدافع عنه .
 ومما يساويها كذلك العقود المسجلة والشهادات المشهورة الصادقة لأن
 الإنسان أكثر إقناعا بهذا . حيث أنه كالمحسوس المشاهد . بعدما رآه بعقله
 وعاشه بفكره وجدانه .
 إن الواجب على الخطيب — أيا كان — أن يهتم بمثل هذه الأمور في
 أدلته حتى يتمكن بسهولة من أداء دوره .

٢- مراعاة مواطن العقيدة :

التنين ميل فطري في الإنسان . لأنه حاجة من حاجات نفسه ، ونزعة
 داخلية لا يستطيع العقل أن يفسرها . أو يقدم تحليلا لمكوناتها .
 وأصحاب العقائد على اختلافهم يحاولون اكتشاف هذا الميل في الإنسان
 إلى جانبهم ، حتى يطمئنوا إلى حقيقة الدوافع في الإنسان .
 وقد أصبح هذا الميل في الإنسان ملازما لدين ما ، وخاصة عند العامة
 الذين تلقوا هذه الملازمة بلا تفسير ، ونقلوا إلى ذريتهم بلا تعليل . حتى أصبح
 من الأمور البديهية أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش بلا دين ، ونقصد بالدين هنا
 المعتقد الذي يلمس شغاف القلب . ويكون سببا في دفع صاحبه إلى الحركة
 والعمل . سواء كان هذا الدين في إله حقيقي ، أو صنم ، أو وثن أو شخص .
 أو فكرة أو ما شابه ذلك .
 والدين بهذا المفهوم الواسع هو محرك الوجدان ، وموقف الهمم ، وقد
 سمعنا عن أفراد وثنيين في أفريقيا يقتلون أنفسهم تنفيذا لأمر من الكهنة ، وهناك
 المذاهب التي تربي أتباعها على حرمان النفس وتعذيبها . لا لشيء إلا ليتعودوا
 لطاعة العمياء والخضوع الدائم لفكرة العقيدة .

والمسلمون الأول بسبب إيمانهم الخالص بدين الله ، وحبهم المطلق لرسول الله ﷺ كانوا يندفعون في الإتياع والتفويض لكل ما يسمعون . مضحين بالغالي والنفيس . ومن أجل هذا كان على من يتصدى لعملية التأثير أن يلاحظ موطن العقيدة في المستمعين فإن كانت العقيدة حقه استشهد بها في خطبة ، ونقل من نصوصها في أدلته ، وأن كانت باطلة استغل ما فيها من حق ليبطل باطلها به ، وبذلك يحق الحق بلا تصادم أو صراع . ومثال ذلك ما علمه الله عز وجل لرسول الله ﷺ حيث قال تعالى ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يُلْحِقَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ أَن نَحْبَدَ مِنَ اللَّهِ ۗ فَمَنْ تَوَلَّىٰ فَعُولُوا أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾ ﴿ فيودعوكم إلى الأمور المسلمة لديهم ليثبت التوحيد ، ويحق الحق بعد ذلك انطلاقاً من المسلمات المشتركة .

والخطباء المسلمون عليهم أن يهتموا بهذا الشأن في الدليل حتى يحققوا الإقناع واليقين . وعليهم أن يعرفوا أن القرآن الكريم والسنة النبوية يفيدان — لسلوباً وتأثيراً — لما لهما من إعجاز وبيان . ولكونهما مصدرين دينيين . ومن هنا فإننا نهيب بالخطباء المسلمين أن يرجعوا إلى القرآن الكريم وإلى السنة النبوية وآثار السلف الصالح ليختاروا منها الأدلة والنصوص المناسبة للموضوع .

وقد عد الاستشهاد بالنصوص من المواضع العرضية لأنه ليس من الموضوع ذاته ، بل هو دليل عليه . يفيد اليقين والجزم ، لأنه من مسائل بالدين المقدسة التي تفيد الإقناع والتصديق .

٣- العادات وآثار السلف :

يتصرف الناس وهم مرتبطون بعاداتهم وآثارهم وكثيراً ما نرى هذا

الارتباط في قوة لها تأثير ساحر على كل جوانب الحياة .

يقول باسكال: 'ماذا تكون مبادئنا القطرية إذا لم تصدر عن العادة بالعادة هي طبيعة ثابتة تقوض أركان الأولى ، ومنها نأخذ لشد لثقتنا قوة ، وأكثرها فيضاً ، وهي التي تعين وجهة النفس دون أن يفكر الإنسان ، وبها يصبح الإنسان نصرانياً ، أو وثنياً ، أو محترفاً ... الخ ' ١ .

ويقول جوستاف لوبون : ' لو أن قدرة خارجه جعلت الإنسان لو الشعب يهرب من تأثير عاداته لأصاب الفلاح حياته هجاء لأن العادة هي التي تملئ علينا كل يوم ما يجب أن نقوله . وما يصح أن نغفله وما يحسن أن نفكر فيه ' ٢ .
ومثل العادات في قوة للتأثير آثار السلف . ذلك أن الأحياء يتخذون أعمال سلفهم تكأة يعتمدون عليها ، وينطلقون فيها ، كأنها وصية مقدسة واجبة الإتياع .

(إن دعوة الرسل صادفت عناداً من المقلدين الذين تمسكوا بمواريت أجدادهم ، وكانوا دائماً يقولون : ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أُولَئِكَ كَانَتْ أَبَائُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ ٣) .

يقول جوستاف لوبون . ' تقدم علم تركيب الأجسام . من يوم أن بين علم التكوين مقدار تأثير الماضي في تطور الكائنات ، وسيتقدم علم للتاريخ أيضاً حينما ينتشر هذا ، لأن الأمة جسم منظم أوجده الماضي . فهي كغيرها من الأجسام ، لا تستطيع الانتقال من طور إلى طور إلا بتراكم آثار الوراثة فيها على مهل ' ٤ .

١- الخطابة ص ٤٠

٢- الخطابة ص ٤٠

٣- سورة البقرة آية ١٧٠

٤- الخطابة ص ٤٢

وواجب على الخطباء أن يلاحظوا تأثير العادات والأثار القديمة وقت إعدادهم للخطبة حتى يتمكنوا من التأثير - وحمل الناس على ما يريدون .
وكثيرا ما تكون العادة عائقا في التقدم ، وهنا يحتاج الخطيب أن يتعامل معها برفق ، وينقدها بهدوء ويستمر في ذلك حتى يقطع الناس عنها ... وعليه أن يستبدل بها عادات جديدة تساعده فيما يريد .

لقد جاء الإسلام إلى عادات العرب وحولها إلى عادات إسلامية مقبولة ولم يعمل على هدمها وبترها مباشرة لأن التصادم المباشر لا يحقق الغاية ويؤدي إلى عكس المقصود ، ولذلك يقول الله تعالى : ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَمٍّ عِلْمٌ كَذَلِكَ زَيْنَا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ .

لقد حول المنهج الإسلامي العصبية للقبيلة إلى حماس للإسلام ، وحول حب القتال والسلب إلى حب للجهاد والشهادة ، وحول ولعهم بحفظ الإثعار والخطب إلى حفظ القرآن الكريم والسنة النبوية ... وبذلك أهتم بالعادة ، وترقى بها . وهو الأمر الذي ينادى به العلماء في العصر الحديث . وهو ما يجنب أن يهتم به الخطباء .

المرحلة الرابعة التعبير البياني

تدور هذه المرحلة مع الخطبة قبيل ظهورها إلى الناس ، وتتصف بالأهمية والضرورة ، لأنها مرحلة تسم صاحباتهم بقدرها وتعطى للمراحل السابقة نفس الجودة التي تظهر بها . فلو أجادت فهو أثر لجودة المراحل الثلاثة ولو ضعفت فلا جودة لشيء بعدها ، وأيضاً فهي مرحلة خاصة بالخطبة لأن فن المقال والكتابة يعيش مرحلة التعبير في التركيب ، أما مرحلة التعبير مستقلة فهي خاصة بالخطبة حيث تقوم بصنع دور الملائمة بين الخطبة . وبين موضوعها . ومقامها الذي ستلقى فيه ، وهذه الملائمة تفرض مغايرة بين التعبير الخطابي وبين غيره من فنون المقال ، ولذلك أختصت الخطابة بهذه المرحلة . والتعبير الخطابي يحتاج إلى جمال الأسلوب ، وموسيقى اللفظ، وينبني على الفصاحة والبلاغة ، ويؤمن بالترار والتأكيد ، ويعرف الاستشهاد المؤثر وبصاحب التمثيل الصوتي والتعبير الحركي ، وينادي بمراعاة حال المستمعين وأفهامهم . ومن هنا جاز للتعبير الخطابي أن يغير سواء . إن الكاتب قد يكرر ويعمل ويحل ، أما الخطيب فإنه يقذف بكلماته فيلقاها الجمع في سرعة لا يتيسر له مراجعتها أو التوقف لفهمها ، لأنه مضطر إلى متابعة الخطيب وتلقف ما يقول . لابد للخطيب أن يكون مع الناس بأسلوبه المبسط ، ومعانيه السهلة ، وإقناعه الملزم .

وقد وجه أرسطو في مؤلفه ست نصائح للخطيب تتعلق بالأسلوب قال :

- ١- أول ما يحتاج إليه الخطيب أن يتأدب بلسان القوم الذين هو خطيب بلسانهم ، ويعلم متى تكون مخاطبته في جميع أقاويله على أفضل ما جرت به عادة أهل ذلك اللسان .

- ٢- وعليه أن يستعمل الأسماء الواضحة والاصطلاحات المفهومة بعيداً عن الأسماء العامة المبهمة والمصطلحات الغامضة .
- ٣- وعليه أن يختار الأساليب ذات الدلالة الواحدة الواضحة حتى لا توهم الشيء وضده وتضلل السامع ، وتبعده عن فهم المراد .
- ٤- وعليه أن يحافظ على قواعد اللغة وأصول الفصاحة والبلاغة ليخترق سمع وقلب المستمع الألفاظ الدالة على المنكر والمؤث .
- ٥- وعليه أن يحتفظ باستعمال أشكال الأسماء الدالة على الواحد والاثنين والكثير بطريقة عادية بلا تقعر أو خفاء .
- ٦- وعليه أن يكون كلامه سهل التفسير^١ ، واضح العبارة مفهوم المعنى .

وهذه النصائح لأرسطو لها أهميتها القصوى لأن الخطيب إذا تحدث بلغة غير لغة القوم لا يفيد شيئاً ، ولا يسمع له أحد ، وإذا خلا كلامه من الفصاحة والبلاغة والإعراب نظر إليه مستمعوه على اعتبار جهله ، وعجزه وحينئذ لا يفيد شيئاً .

ويجب الاهتمام بالأسلوب كما يجب الاهتمام بالمعاني فهما معا موطن للبلاغة والفصاحة .

ونلاحظ أن أرسطو يطلب الخطاب بلغة المستمعين السهلة الخالية من ألفاظ الشبوح والتناقض . وأن يكون الكلام على وفق القواعد النحوية والفصاحة والبلاغة وهو ما نوافق عليه .

وقد أثرت في القديم والحديث قضية تنور حول الاهتمام بالأسلوب وحده ، أو بالمعنى وحده ، أو بهما معا . وقد دار الحوار حول أيهما البلاغة .

١- تلخيص الخطابة ص٢٧٢ - ٢٨٥ بتصرف .

وقد انتصر للأسلوب بعض الأدياء منهم الجاحظ وأبو هلال العسكري يقول الجاحظ : " والمعاني مطروحة يعرفها العجمي ، والعربي ، والبيدوي ، والمدني ، وإنما الشأن في إقامة الوزن ، وتخير اللفظ ، وسهولة المخرج "١ . ويقول أبو هلال العسكري : " وليس الشأن في إيراد المعاني يعرفها العربي والعجمي والبيدوي ، وإنما هو جودة اللفظ . وصفاؤه . وحسنه . وبهاؤه . ونزاهته . ونقاؤه . وكثرة طلاله . مع صحة السبك والتركيب والخلو من أود النظم والتألف "٢ .

إن البيان الخملي يعتمد على الأسلوب وعلى المعاني ، ويحتاج إلى بلاغة اللفظة والجملة ، وإلى دقة المعنى ووضوح الدلالة ، ولا يغني أحدهما عن الآخر .

لأنه لو اختلف واحد من اللفظ ، أو الأسلوب ، أو المعاني ، لأدى إلى فقدان الخطبة لرونقها . وضياح عنصر تأثيرها . ذلك لأن التأثير الخطابي لا ينشأ من اللفظ وحده ، وإنما ينشأ بما بين اللفظ والمعنى من التماسق ، ومن الملائمة بينهما وبين مقتضى الحال .

يقول عبد القاهر : " إن اللفظ الجميل ليس ينبتك عن أحوال ترجع إلى أجراس الحروف ، وإلى ظاهر الوضع اللغوي ، بل أمر يقع من المرء في فؤاده ، وفضل يقتنحه العقل من زنده "٣ .

ويقول فولثير : " الصورة والفكرة كالجسد والروح . وهما في رأسي شأن واحد ، وكلما كانت الفكرة جميلة كان التعبير عنها أجمل ، إن دقة الألفاظ من دقة المعاني ، أو هذه هي تلك "٤ .

وفي رأبي إن هذا الاختلاف ظاهري فقط ، لأن من قال: إن البلاغة في

١- الحيوان جـ ٣ ص ٤٠

٢- كتاب الصناعين ص ٨٧ .

٣- أسرار البلاغة ص ٣

٤- فن الخطابة ص ١٨

الألفاظ لم يهتم المعنى لأن للألفاظ دلالاتها ، وكل كلمة تكلم على مرادها ... كما أن من قال بضرورة الاهتمام بالمعاني لم يهتم الألفاظ ، لأن عبر عن توجهه بالألفاظ بليغة جميلة .

ومن هذا كله نرى أن تحسين اللفظ يجب أن يكون بجوار تحسين المعنى وأنه لا غنى للخطيب عن المعنى المحكم ، لأنه عمود الكلام . والمقصد الأسمى ولا غنى له كذلك عن اللفظ الجميل لأنه بهاء القول وزينته . غير أنه يجب أن يلاحظ أن يكون التحسين طبيعياً بلا تكلف واضمح . أو صنعة ظاهرة لأن التكلف يفسد اللفظ ، ويضيع المعنى معه .

يقول قدامة بن جعفر : * ومن الأوصاف التي إذا كانت في الخطيب سمي سديداً . وكان العيب في خطبته بعيداً ، وهو أن يكون في جميع ألفاظه ومعانيه جارياً على سجيته ، غير مستكراً لطبيعته ، وحسيك من ذم التكلف أن الله عز وجل أمر رسول الله ﷺ بالتبرؤ منه . فقال تعالى ﴿ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ ﴾ ١٠ .

ويقول ابن رشيقي : * وأكثر الناس على تفضيل اللفظ على المعنى ، وقد قال العلماء : اللفظ أغلى من المعنى ثمنا ، وأعظم قيمة ، وأعظم مطلباً ١١ .
ومن انتصر للمعنى فقط أميل زولا . حيث يقول : * ليس مطلق الحق أن الكاتب يكفيه أن يعنى كل العناية بأسلوبه ليشق له في الأدب طريقاً يبقى على الأبد ، إن الشكل عرضه للتغير والزوال بسرعة ، ولابد للعامل الكتابي قبيل كل شيء أن يكون حياً بمعناه خاصة ١٢ .

وهناك كتاب معاصرون ينادون بأسلوب التعرف وهو الأسلوب الذي يهتم بالمعنى وحده ويورده في ألفاظ قليلة لا صلة لها بالفصاحة أو البلاغة .

١- سورة ص لية ٨٦

٢- الخطابة ص ١٣٧

٣- العمدة ج ١ ص ٨٢

٤- فن الخطابة ج ١ ص ١٧٨

والرأى الراجح الذي أميل إليه هو الاهتمام بهما معا لما لكل منهما من أثر وفائدة كما بينه هؤلاء في الجملة ، ومن المعلوم أن ضخامة المبسوط دليل على ضخامة المعنى وأن الجمال في حقيقته مظهر ومخبر فكم من فتاة جميلة نشأت في منبت السوء لا تستفيد بجمالها ، وكم من متوسطة الجمال حسن خلقها وطبعها فسيقت للكثير .

وحين نرجع إلى البلاغة نراها تهتم بالفصاحة ، والجمال في مجاز والتشبيه ، والتدبير ، وفي نفس الوقت تهتم بالمعنى ، والدلالة ، والوضوح .

وحين نعود للقرآن الكريم نجد الإعجاز في اللفظ والمعنى ...

وهذا كله يحتم على الخطيب ضرورة الاهتمام بجمال ألفاظه ، وحسن

المعاني ، وحتى نيسر الأمر للخطيب أتحدث هنا عن نقطتين :

الأولى : خصائص التعبير الخطابي .

الثانية : الفرق بين التعبير الخطابي والتعبير الكتابي .

وذلك على النحو التالي :

النقطة الأولى خصائص التعبير الخطابي

لتعبير الخطابي أساسه اللفظة . ومنها يتكون الأسلوب ، وتوجد المقاطع والفقرات ، وتظهر الخلفية كلها . ومن هنا كانت الحاجة ماسة إلى دراسة خصائص اللفظة مفردة ، وخصائص الأسلوب مكونا من كلمات ، وخصائص المقاطع الخطابية ، ومدى مساهمة كل هذا في نجاح الخطبة ، وذلك فيما يلي :

١- خصائص اللفظ

اللفظ المفرد رمز للمعنى المفرد ، وهو أساس الكلام كله مكتوباً أو ملفوظاً . ولللفظ فصاحته البادية من تلازم حروفه ، وعدم غرابته ، وسلامته من الشذوذ . وإذا انضم اللفظ إلى غيره صنع إسناداً لغوياً له معناه الأوسع ، ولذلك قال البلاغيون : لكل كلمة مع صاحبها مقام .

وفي الخطبة يجب أن يتميز اللفظ بما يلي :

أ - أن تكون الكلمة فصيحة بمعنى تلازم حروفها ، وسلامة نطقها ، وبعدها عن الشذوذ اللفظي المعيب ، وقد ضرب البلاغيون صوراً لألفاظ غير فصيحة مثل قول العرب (تكأتم) بمعنى اجتمعتم فقد تافرت حروفها ، وصعب النطق بها ... ومثل قولهم (افرقعوا) بمعنى انصرفوا لبعدها المعنى المقصود منها .

ب - أن يكون اللفظ سهل الإدراك ، مكشوف المعنى . متفقاً مع مألوف السامعين لا يغرب عن تفكيرهم ، ولا يشذ في دلالته ، ولا يكون وحشياً غريباً مستهجناً .

إن اللفظ لو لم يكن سهلاً للدلالة على المعنى فإن المستمع لا يفهمه وحينئذ ينقطع الاتصال بينه وبين الخطيب ، وبذلك ينصرف المستمعون عنه ، ويتصورونه ناطقاً بغير لغتهم ، ويتخيلونه غريباً

لا يعرفهم ، وهذا الانصراف ليس من حاجات الخطبة ، لأنها تبحث عن الاستمالة والجنب .

ومن المعلوم أن اللفظ الغريب يؤدي إلى البعد والنفور . وقد سمي أرسطو الكلمة السهلة بالكلمة " للمستولية " لأنه يراها تشد الانتباه ، وتستولى على العقول وتصنع روابطاً قوياً بين الخطيب والجمهور .

وضرها ابن رشد بقوله " هي اللفظ الخاص بأهل لسان ما ، وتكون مشهورة عندهم ، سهلة دالة على المعاني التي وضعت لها من أول الأمر من غير . تفسير وتأويل ويقول : " والألفاظ المستولية تجعل القول محققاً " ويصفها أرسطو بأنها الكلمة البهية النبيلة غير الحقيرة^١ .

وعلى الخطيب أن يتخذ ألفاظه سهلة ، بسيطة ، حاوية لفصاحة الكلمة من كافة جوانبها .

ج - أن يكون اللفظ عربياً بعيداً عن العجمة ، بعيداً عن العامية ، ناء عن التسفل . لأن ذلك يذهب رواء الخطبة ، ويضيع بهاءها ، وأعظم ألفاظ الخطبة هي الألفاظ السهلة الممتعة ، وواجب على الخطيب أن يرفع العامة إليه ، ولا ينزل هو إليهم .

يقول بشر بن معتمر " فإن أمكنتك أن تبلغ من بيان لسانك ، ولطف مدخلك ، واقتدارك على نفسك أن تفهم العامة معاني الخاصة ، وتكسوها الألفاظ الواسعة التي لا تتلف عن الدهماء ولا تجفو عن الأكفاء فانت البليغ^٢ .

ونحن نرغب في الخطيب أن يكون بليغاً جامعاً لخصائص البلاغة وشروطها .

١- تلخيص الخطبة ص ٢٥٧ ، ٢٦٠ .

٢- الخطبة ص ١٤٢ .

د - أن تكون ألفاظ الخطبة مثيرة للخيال ، موقفة للهمم : وذلك بأن تهيج الوجدان ، وتهز النفس بالمرور والاطمئنان ، أو بالسخط والغضب . وذلك كاستعمال كلمة " الأخ " في قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ اللَّغْوِ إِنَّهُ يَبْغِضُ اللَّغْوَ إِنَّهُ لَا يَجْتَسِرُ وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا ۗ لَّيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ ۚ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ لأن الإنسان حين يدرك أن الغيبة تشبه أكل لحم الأخ حيا فإنه يستقدر ذلك ، وينصرف عنه ، وكلفظ " المؤمنین " في النداءات الموجهة إليهم . لأن وصف الناس بالإيمان يدفعهم إلى الاستجابة . ومن الألفاظ المثيرة كلمات الحرية ، والمساواة ، والعدل عند قوم يشعرون بالظلم ويتمنون العدل . ومنها لفظ الدين ، والشريعة ، وحق الله عند قوم يحبون دينهم ، ويتمنون التمسك به .

يقول الشيخ محمد أبو زهرة : " يلاحظ أنه لا يحسن وجود هذه الألفاظ المثيرة في الخطبة إلا بشرطين :

أحدهما : الملاءمة التامة بين هذه الألفاظ وبين الموضوع الذي تقال فيه .
ثانيهما : ألا تكون تلك الألفاظ قد أبلها الاستعمال . وصار ذكرها يؤدي إلى الابتذال^١ ، وذلك في حال كثرة استعمالها للدعاية الكاذبة الخالية من التنفيذ والعمل ، لأن المستمع من كثرة تردها لا يلتفت إليها ، ويشعر بجو من الكذب والنفاق .

والخطيب يستطيع أن يستفيد كثيرا من ألفاظ القرآن الكريم فلقد جماعت متألفة دقيقة . تجعل المطلع عليها يؤمن بأن اللفظة لم تخلق إلا للمكان الذي وضعت فيه سبكا في الأسلوب ، وتأدية لدورها في المعنى .

١- سورة المحجرات آية ١٢

٢- الخطبة ص ١٤٤

ولقد دعا القرآن الكريم إلى عدم استعمال لفظ مكان آخر بقول تعالى ﴿ قَالَتِ الْأَعْرَابُ ءَأَمْنَا قُل لَّمْ نُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِبْرَمُنُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئاً إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤﴾ - فهو لا يرى التهاون في استعمال اللفظ . ولكنه يرى للتدقيق فيه ليدل على الحقيقة بوضوح . فالقرآن شديد الدقة في اللفظة . ومعانيه ولذلك وجه الأعراب إلى التعبير الصادق الدقيق .

انظر إليه بذكر كلمة حياة في قوله تعالى ﴿ وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُعَزِّجٍ مِّنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ' . فإزاء بذكر كلمة ' حياة ' ليشير إلى نفاة الحياة التي يروجها هؤلاء ، بينما يعرف نفس الكلمة في قوله تعالى ﴿ يَقُولُ يَبْلِيَّتِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿١٦﴾ ' . ليشير إلى عظيمة الحياة الآخرة بعد الموت .

والمؤلفات في إعجاز اللفظ القرآني وإعجاز معانيه كثيرة فليرجع إليها من يريد التوسع .

إن الواجب على الخطباء أن يهتموا بإختيار ألفاظهم خاصة وهم في مرحلة الإعداد ، لأن ذلك أدى لأن يقدموا للجمهور خطبا جادة . نشير الوجدان وتوقظ الهمم . وبذلك يفيدون ويستفيدون .

٢- خصائص الأسلوب

يتكون الأسلوب من الألفاظ المفردة ، وما دامت ألفاظ الخطبة سديدة فواجب أن يكون الأسلوب كذلك ، وهذا لا يتأتى إلا إذا جمع الأسلوب مجموعة

١- سورة الحجرات آية ١٤

٢- سورة البقرة آية ٩٦

٣- سورة الفجر آية ٢٤

من المزايا من أهمها :

- أ - فلا بد أن يكون الأسلوب مثلاثم الكلمات ، متالف التراكيب ، بحيث تتناسب الجمل من لسان الخطيب ، وكأنها نعم يلمن أن المستمع ، ويمدح بالشجن والسرور .
- ويجب أن يكون واضحا أن الكلمات إذا تتفرقت فيما بينها ، تضر الخطيب والخطبة والمستمعين لأنها تخرج من الخطيب ثقيلة نابية وتؤدي إلى غموض الخطبة وخفاء معناها وغموض هدفها ، وتصيب المستمعين بالسأم والملالة ، لأنها تقفدهم روح الانتباه والميل للاقتناع .
- وقد ذكر ابن الأثير أن من بلاغة الكلام أن تكون كل كلمة مع أختها متعاونة معها ، تشاركها في إظهار المعنى بصورة متكاملة ، وبذلك لا يكون الكلام قلحا ناقرا عن مواضعه .
- والكلام المنظم المترابط المتعاون في إعطاء معناه مثل العقد المنظوم حيث تساعد كل لؤلؤة أختها في إبراز حسناتها وزينتها .
- وحين تتناثر لا تظهر شيئا ، ولا أثر لها ، ولذلك قال العرب : لكل كلمة مع صاحبها مقام ، لأنها يشتركان في أداء المعنى الواحد في المقام الواحد .
- والخطيب يستطيع تحسين أسلوبه بانتقاء التراكيب الجميلة ، ووضعها في موضعها اللائق ، ويساعده على ذلك أن يطالع أساليب البلغاء ، ويفحصها بطريقة الدراسة التحليلية ، هذه الطريقة التي عرفت بالقراءة الأدبية حيث يقف القارئ أمام كل كلمة في النص . يبين ما يوحي به من معاني . ويرى ما يحيط بها من الظلال . ويتأمل سر اختيارها . وتفضيلها على غيرها .

وبعد ذلك يستخلص ما فيها من خواطر ومعان ،
والقارئ في هذه الحالة يمر بثلاث مراحل :

التذوق

النقد

الحكم

فهو حين يقرأ إلى الجملة ليرى فيها حسن الفصاحة ، وجمال
البلاغة ، ومدى دلالتها على مرادها ، ودورها في إظهار
المعنى ، وحينئذ يتذوق بعقله حسنها ... وعليه بعد ذلك أن
يبحث عن المماثل للكلمة وينظر في استعمال هذه الكلمات
المماثلة ليرى أيها أولى بالاستعمال ، ويستمر في بحثه حتى
يستقر على لفظ معين ، وأسلوب خاص .

ولنأخذ مثلاً موضعاً من القرآن الكريم . يقول تعالى :
﴿ وَيَوْمَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ ءَأَمْنَا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ
بِمُؤْمِنِينَ ﴾^١ ألا ترى ما في اختيار كلمة " الناس " وما في
عمومها من عدم مجابهة المنافقين بتعيينهم ، وفي ذلك ستر
عليهم ، وإشراء لهم بالإقلاع عن نفاقهم ، ذلك أنهم ما داموا لم
يعينوا فمن المتوقع أن يصفوا إلى القرآن ، فربما انصرفوا عن
غيهم إذا استمعوا إلى تصوير حال ضلالهم ، ولو أن القرآن
جبههم بكشف الستار عنهم لا انصرفوا معرضين ...
وكلمة " يقول " في الآية توحى بأن إيمانهم لم يتعد أفواههم ؛
وأجرت الآية الإيمان على ألسنتهم بصيغة الماضي في قوله
" أمنا " زيادة في الترمويه والخداع منهم .
وخص الإيمان بالله واليوم الآخر لأن الإيمان بهما يجمع كل

إيمان ... واختار في ختام الآية نفى الإيمان عنهم في قوله تعالى "وما هم بمؤمنين" ليدل بها على استقرار هذا النفي ، وثباته ، ودولمه ماداموا متمسكين بنفاقهم .
هذا مثال للقراءة التحليلية . والقرآن كله كذلك . وعلى الخطيب أن يعنى بانتقاء أسلوبه على هذه الوتيرة ليتلائم أسلوبه ، وتتألف جملة ، وتظهر الخطبة جميلة واقية .

ب — لابد للأسلوب أن يكون جامعاً لعدد من فنون التعبير كان ثلثي فقرة بأسلوب الإنشاء ، وأخرى بأسلوب الخبر ، وثالثة فيها التشبيه ، ورابعة فيها المجاز والبديع ... وهكذا يتنوع الأسلوب ويمكن للخطيب أن ينتقل بالسامع من فن إلى فن طرداً للسامع ، وتنشيطاً للذهن .

وما دامت سائر التعبيرات تدور حول المعنى الواحد فجميعها أسلوب جميل ، ذلك أن الانتقال من الإنشاء إلى الخبر ، ومن الاستفهام إلى النفي أو الإثبات يثبت الأفكار ، ويوقظ المشاعر ، ويحمل النفس على الاطمئنان إلى المعاني . كما أن التكرار بهذه الصورة يكون عامل توضيح وجذب .

ومن المعلوم أن الناس مختلفون عقلاً وثقافة ، وهذا يحتاج إلى تنوع الأسلوب ليستفيد به الجميع مع تنوع مستوياتهم .

ومن قديم وعلم البيان في البلاغة يعرف بـ " أنه العلم الذي يعرف طريقة إيراد المعنى الواحد المنقول عليه بكلام مطابق لمقتضى الحال بطرق مختلفة في وضوح الدلالة على ذلك المعنى " فهو علم يدور حول المعنى الواحد المؤدى بتعبير مختلفة غير مترادفة .

ومن المعلوم أن البيان قمة البلاغة ، وسيد الأسلوب ، وما أجمل الخطبة التي تشتمل على التشبيه والمجاز والاستعارة لأن كل ذلك يقرب المعنى ، ويؤدى إلى تحقيق المطلوب .

ج — لا بد للأسلوب أن يتنوع بتنوع المقامات ، وأن يلاحظ أحوال السامعين لأن مقام التهديد غير مقام التحميس ، وإظهار الأكم غير إظهار الفرح ، وقد سبق لنا أن بينا أن أصناف الناس ثلاثة وما يناسب هذا الصنف لا يناسب الصنف الآخر وهكذا .

يقول الإمام الغزالي في القسطاس المستقيم " واعلم أن المدعو إلى الله بالحكمة قوم ، وبالموعظة قوم ، وبالمجادلة قوم ، فإن الحكمة إن غذى بها أهل الموعظة أضرت بهم كما تضر بالطفل الرضيع التغذية بنحم الطير ، وأن المجادلة إن استعملت مع أهل الحكمة اشمأزوا منها كما يشمئز طبع الرجل القوى من الارتضاع بلين الأسمى ، وإن من استعمل الجدل مع أهل الجدل لا بالطريق الأحسن كما تعلم من القرآن كان كمن غذى البدوى بخبز البر ، وهو لا يألف إلا التمر ، أو البلدى بالتمر وهو لم يألف إلا البر " .

ويضرب الغزالي مثالا بالخليل عليه السلام حينما حاج خصمه فقال ﴿ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ ﴾ فلما رأى أن ذلك لا يناسبه ، وليس حسنا عنده حين رد عليه وقال: ﴿ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ ﴾ عدل إبراهيم عليه السلام حينئذ إلى الأوفى لطبعه ، والأقرب إلى فهمه فقال ﴿ قُرْبُ اللَّهِ بِأَن تَأْتِيَ بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَأَنَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ

الخطيبين ﴿١١٠﴾ ولم يركب الخليل ظهر اللجاج في تحفيق
عجزه عن إحياء الموتى إذا علم أن ذلك لا يلائم فريضة
الخصم . ولا يناسب حده في البصيرة ودرجته^١ .
وهكذا نجد الإمام الغزالي يدعو إلى تنوع المقامات ، وتعدد
الأدلة ليصل إلى إقناع المستمع واستمالته . ومن المعروف
للدهى أن الإمداد بالموافق منتج مفيد ، والإمداد بغيره كلا
إمدك .

وواجب على الخطيب أن ينوع أسلوبه ويجعله مناسباً للمستمعين
وقد اشترط بعض العلماء أن يكون الأسلوب واضحاً ، طويلاً ،
مكرراً ، مثيراً . ونحن نرى أن تحقق الخصائص السابقة للفظ
وللأسلوب يوجد هذا وغيره .
والخطيب إن يصل إلى المستوى إلا بعد القراءة الكثيرة ، والفهم
الواعي ، والحفظ الواسع لكثير من أساليب العرب شعراً ونثراً .

٣- المقاطع الخطابية

يجب أن يختار الخطيب مقاطعة على نظام خاص ، بحيث ينتهي المقطع
بعد نهاية جزء تام المعنى . وإن احتوى المقطع على رنين موسيقى يحسنه في
الأذن ويخطفه على اللسان .
ومعنى ذلك أن يقوم الخطيب وهو في مرحلة الإعداد بكتابة أسلوبه ،
ويجعل لكل عنصر أو جزئية فقرة أو فقرات ، ويتخير لها الأسلوب الأمثل في
تنوعه البلاغي ، وتعدده في أداء المعنى .
إن اختيار المقاطع عمل هام من عمل الخطيب ، وكثير من الخطباء قد
نجحوا بسبب إجادتهم لهذا الاختيار وقد روى الأحنف بن قيس أن عمرو بن
العاص كان إذا تكلم تفقد مقاطع للكلام ، وأعطى حق للمقام ، وخاض في

١- القسطاس المستقيم ص ١١ - ١٣

استخراج المعنى بالملطف مخرج . حتى كان يقف عند المقطع ووقفا يحول بينه وبين ما يتبعه من الألفاظ .

ومما يجعل المقاطع جملة مقبولة إدخال السجع فيها لئلا تكاد من سلاسته وجماله ، ولا عيب في هذا التوقف لضرورته لمن يريد الإجابة لخطبته .
يقول ابن الأثير : " ينبغي أن تكون الألفاظ المسجوعة حلوة ، حادة ، طنانة ، رنانة . لا غثة ولا باردة " .

وقد كره بعض البلغاء استعمال السجع لما فيه من تكلف وصنعة ، ولكن الحق مع من يستحسن السجع بشرط أن يكون يرينا من التكلف . يقول أبو هلال العسكري : " لا يحسن منثور الكلام ولا يخلو حتى يكون مزدوجا . ولا تكاد تجد ليلغ كلاما يخلو من الأزواج " .

إن الخطيب داع إلى الله ، وواجب عليه أن يبلغ الإسلام من خلال خطبه ولذلك وجب أن يجهد نفسه لتحقيق الواجب المشروع .

١- المثل السائر ص ٢٢٥

٢- الصناعتين ص ٢٤٩

النقطة الثانية

الفسوق

بين التهيبين الخطابي والكتابي

تختلف الكتابة عن الخطابة في عدة نواح أهمها :

- ١- مدة الخطابة محددة تبعاً للمجال الذي تلقى فيه حيث تراها تطول للخطب السياسية ، وتقتصر في الخطب الدينية والاجتماعية ، وذلك لمراعاة حال المستمعين ، وظروفهم ، وأعمالهم ... أما للكتابة فهي غير محددة المدة لأن الكاتب قد يولف كتاباً طويلاً ، ويتركه لقارئ يقرؤه في أيام متعددة .
 - ٢- الخطابة تقدم موضوعاً متكاملًا في الخطبة الواحدة بينما يتضمن الكتاب الواحد على موضوعات كثيرة تدور حول مسألة واحدة أو تتحدث عن عدد من الموضوعات .
 - ٣- جمهور الخطبة متنوع الثقافة ، والعقل ، والمستوى بينما يكتب الكاتب لطائفة من الناس يلتقون حول فكره - وهو يكتب لهم . والفروق كثيرة وهي في جملتها أنت إلى حدوث فروق جوهرية بين التعبير الخطابي والتعبير الكتابي تشير إليها فيما يلي .
- أولاً : جاذبية التعبير**
- المستمع يسمع الخطبة مرة واحدة ، وما يفوته لا يجده ، فلو غفل أو سها ضاعت الخطبة منه ، وصار وجوده لسماعها كعدمه وذلك يحتم أن يكون التعبير الخطابي جميل التركيب ، سهل المعنى فيه كثير من المنبهات والمثيرات ، ينتقل بالمستمع من مقام إلى مقام ، ولا يتركه وحده يسرح به الخيال . ويجعله لا يفكر في غير ما يقال ، ولا يكتفى بالنظر إلى الخطيب لا يعي من كلامه شيئاً .
- ويجب على الخطيب أن يبدأ خطبته باللفظ الجليل ، بارعاً في استهلاكه

لأن حسن البدء له تأثيره في الانتباه ، ويستمر على هذا الحسن حتى ينتهي من خطبته .

أما للكاتب فإنه يعمد إلى فكرته يسوقها في قالب بياني ، ويعددها بترك كتابة بين يدي المستمع ، الذي يقرأ فيه حيناً ، ويتركه حيناً ، وقد يسأم مرة ويقبل أخرى ، وهذا الأمر لا يحتم على الكاتب استعمال الألفاظ المنبهة ، والاستعارات الجذابة ، والبديع الأخاد .

ثانياً : بساطة التعبير

التعبير الخطابي يتناول موضوعاً موجزاً يلقي في وقت قصير وهذا يدعو إلى اختيار الأسلوب السهل البسيط ليصل إلى المستمع مباشرة مفهوماً واضحاً ... فليس هناك مجال للسؤال ، والحوار ... ولا مجال للشرح والتفصيل .

أما للكاتب فالوقت أمامه متسع ، ويمكن أن يحاور ويناقش ويجادل ، ويدون كافة الاحتمالات في الموضوع الواحد ويقسمها ، ويحللها ، ويختار منها ما يرى .

لقد حاول أحد الخطباء مرة أن يتحدث عن " توحيد الله تعالى " فأخذ يستعرض أدلة الإيمان والحدوث ومنع التعارض مستشهداً بقوله تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهَا إِلَهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ۗ فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٠﴾ ۗ ﴾ . فضيع الوقت في التقسيم والمناقشة الكلامية ولم يفد شيئاً ، لأنه تصور نفسه كاتباً ، ولم يلتزم ببساطة التعبير .

وفى الوقت نفسه خطب غيره في نفس الموضوع " توحيد الله تعالى " فعاش مع آيات الكون ، وبدائع الخلق ، وأسرار الحياة ، وجعلها شاهداً تملق بوحدانية الله وعظمه قوفى وأفاد .

وفي هذا دلالة على أهمية الأسلوب السهل البعيد عن التفلسف والتعقيد الخالي من صور المنطق ، وألوان الأقيسة الذي يعرض المنطق في صورة بليغة بديعة ، وبذلك يفيد وينتج المراد .

ثالثا : التوجه إلى الإنسان

الإنسان مخلوق مدرك ، وطرفه إلى الإدراك عقله وعواطفه ووجدانه ولكل منها خط يحركه ، وأسلوب يؤثر فيه .

فالعقل رياضى بطبعه ، يميل إلى الفكرة ، ويرضى بالإيجاز ، ويحب التقسيم والتحليل ، ويرضى بالحقيقة .

أما العاطفة فهي تستثار بالخير الغريب ، وتحركها الانفعالات ، وتميل إلى الخيال ، وتعشق الإشباع ، وتسعد بالرضى .

والوجدان قوة غامضة ، يحركها إحساس في الإنسان غير مرئى وتدفع الإنسان إلى أعمال غير مقنعة أحيانا ، كمن يحب امرأة عمياء دمية ... إنها أحبها بوجدانه لا بعقله ، وكمن يتعنى أمرا لا يعرف عنه شيئا بسبب دعاية مثيرة ، ووصف مشبوه .

والإسلام يتعامل من عناصر الإنسان كلها ، فيقع العقل ، ويشبع العواطف ، ويرضى الوجدان .

وفي الخطابة الموجهة إلى الإنسان يجب ملاحظة هذه العناصر فى التعبير .

فعلى الخطيب أن يهز بأسلوبه أو تار الوجدان ، ويثير الشعور والعاطفة ، ويخاطب الأحاسيس الدقيقة ، ويوقظ الرغبات الكامنة ، وفي نفس الوقت يناقش العقل ، ويخاطب الفكر .

وبهذه الطريقة يتحرك الإنسان كله نحو الخطيب ، أما الكاتب فإنه قد يقصر حديثه إلى جانب واحد فى الإنسان فالفيلسوف يخاطب للعقل ، والروائي يخاطب العاطفة ، وعلماء الروحانيات يخاطبون الوجدان .

ومن هنا كان التوجه الخطابي إلى الإنسان توجهها شاملا رغم قصر وقت الخطبة ، وهذا يحتاج إلى مهارة علمية ولغوية يتمتع بها الخطيب ليصل إلى ما يريد .

رابعا : وضوح الهدف والغاية

الخطبة لها موضوع واحد نتناوله ونكمله في لقاء واحد ، ولذلك لزم لها أن تحدد موضوعها من البداية ، ثم تتل وتبرهن عليه وتوصي الناس به من خلال التعبير البياني ... أما الكتاب فقد يكون متعدد الموضوعات ، وقد يستغرق في الحديث عن موضوعه مئات الصفحات ، وهذا يسمح له بإخفاء هدفه ، وعدم التصريح به ابتداء ، ولذلك احتاجت الخطبة إلى وضوح الموضوع ، وبساطة اكتشافه ، ليعيش المستمع معه ويركز على تفهمه ، والإحاطة به ، أما الكتاب فإنه تأليف مطول ، وتقسيماته كثيرة ، وهذا يساعد على الغوص والبحث عن الهدف إن كان غامضا .

المبحث الثاني

محتويات الخطبة

عشنا في المبحث السابق مع " إعداد الخطبة " بدءا من اختيار الموضوع وانتهاء بالتعبير والصياغة وأشرنا إلى مراحل تكوين الخطبة للتامة التي تمكن الخطيب من تكوين الخطبة جزءا جزءا ابتداء من الميلاد وحتى تصير طاقة فنية. وبعد ذلك تكون الخطبة في صورتها الفنية الكاملة ، ومحتوياتها الشاملة المفيدة .

ومن أجل تحقيق أكبر قدر يعلو بالخطبة ، ويرفع الخطيب نعيش في هذا المبحث مع المحتويات والشكل النهائي للخطبة ، أملين أن تكون عوناً للخطيب أثناء الإعداد والتكوين وذلك سنتناول في هذا المبحث المسائل التالية :

- أولا : رأى العلماء في محتويات الخطبة وجزئياتها .
- ثانيا : الحديث عن الجزء الأول .
- ثالثا : الحديث عن الجزء الثاني .
- رابعا : الحديث عن الجزء الرابع .
- خامسا : الحديث عن الجزء الخامس .

إن كل جزء من هذه الأجزاء له أهميته في الخطبة ، ولذلك حسن اهتمام الخطبة به ، وتحضيره بصورة جيدة قبل إلقاء الخطبة .

وقد علمنا أن خطباء اليونان والرومان كانوا يعدون خطبهم ، ويخرجون بها إلى الفضاء الواسع . وعلى شاطئ البحر . ويتخيلون جمهورهم قد حضر أمامهم فيأخذون في الإلقاء ... ثم يتسامطون عند نهاية الخطبة عن الجزء الذي جمع النواحي الفنية للبلاغة ، وأبها ليس كذلك ليعودوا إلى تحسينه وإجنته .

وسوف نتناول بالتفصيل الحديث عن الأجزاء الخمسة بسئى من

التفصيل:

- أولا -**رأى العلماء في أجزاء الخطبة**

اختلفت العلماء في عدد أجزاء الخطبة قديما وحديثا ... فنذكر كل من أرسطو وابن رشد من القدماء أن الخطبة خمسة أجزاء هي :

الجزء الأول : المقدمة ويسمونها " المصدر " لوقوعه في صدر الكلام وبدايته .

الجزء الثاني : بيان الموضوع ، ويسمونه " السمة " أو " العنوان " أو " الغرض " حيث يرون أن الغرض هو الموضوع المقصود مع أن الغرض يشمل الموضوع والهدف .

الجزء الثالث : عرض الأدلة ويسمونه " الاقتصاص " ويراد به تقطيع الخطبة ، وتقسيمها إلى عناصر رئيسية .

الجزء الرابع : التعبير والمناقشة والتحليل ، ويسمونه " التصديق " .

الجزء الخامس : خاتمة الخطبة ، ويسمونها الخاتمة^١ .

ويلاحظ في هذا التقسيم للتقديم غموض التسمية ، وغرابة المسميات الذي لا بد له من الشرح والتوضيح ، حتى يعرف ويفهم .

ومن الغريب أننا نرى أرسطو يسمي كل جزء من الأجزاء المذكورة باسم " الاقتصاص " ويقول : إن الاقتصاص قبله اقتصاص ، وبعده اقتصاص ... وهكذا حتى ينتهي إلى الاقتصاص الخامس ، كما بدأه بالاقتصاص الأول وهذا يوقع القارئ في الاضطراب ، والحاجة إلى شرح وبيان ليعرف المراد بكل اقتصاص منها .

وقد حاول ابن رشد وضع مسميات لهذه الاقتصاصات وبين أن معنى الاقتصاص التجزئة والتقطيع ، وكان مراد أرسطو أن الخطبة خمسة أجزاء

١- تلخيص الخطابة ص ٣٠٧

وقطع ، لكيان واحد هو الخطبة والجزء هو مقطع منها ...
وقد ميز ابن رشد هذه الأجزاء الخمسة بالأسماء التي أوردتها بعدما
استنبطها من كلام أستاذه أرسطو ، ويكفي أرسطو في هذا المجال أنه أول من
أسس للخطابة ، وتحدث عن أجزائها ، وأهدافها ، وأهمية التسمي بها ...
وسبب ظهور هذا الدور المميز لأرسطو يرجع إلى اهتمام الفلاسفة اليونانيين
بشكل عام بالخطابة والخطباء .

أما العلماء المعاصرون فقد ذكروا أن أجزاء الخطبة ثلاثة هي :

١- المقدمة

٢- العرض

٣- الخاتمة

وحاولوا توضيح كل جزء من هذه الأجزاء ، وعادوا مرة أخرى إلى
تقسيم المقدمة إلى افتتاح ، وبيان الموضوع ، وتقسيم العرض إلى الإتيان بالأدلة
والتعبير البياني ، فعادوا بذلك إلى الأقسام الخمسة كالقضاء مع اختلاف يسير ،
وكان الجديد لديهم هو الأسماء الواضحة لأجزاء الخطبة .

وإني لا أرى حاجة لهذا الاختصار الذي أحدثه المعاصرون لأجزاء
الخطبة ، ذلك لأن وضوح الخطبة بأقسامها الخمسة أمام الخطيب يمكنه من
إتقان الخطبة بحيث لا ينتقل من أي قسم إلا بعد إيفائه حقه .

وأيضا فإن من اختصر الأقسام إلى ثلاثة عاد حين تفسيره لها وشطر
كلا من القسمين الأول والثاني إلى جزئين وبذلك صارت الأقسام خمسة من
جديد مما يرجح أن الأولى الإبقاء على أجزائها الخمسة بمسميات واضحة .

ولعل تراجع المعاصرين ، وعدم تتبعهم خطوات ابن رشد وأرسطو في
التقسيم يعود لغموض المسميات ، وتداخل الأجزاء حتى أنه في كثير من
الأحيان ، وفي بعض أنواع الخطب يحدث تداخل بين بعض الأجزاء ، إلا أننا

مع ذلك نرجح التعامل مع التجزئة الخماسية على أن نسميها بأسماء واضحة يتميز كل منها بمصداق عن غيره .

وقد يقال : إن هذا المبحث يعد تكرارا للمبحث السابق ، لأن كليهما يتناول الأجزاء الخمسة للخطبة ، والتكرار لا يصح في الدراسة والبحث .

وأقول : إن هذا المبحث والمبحث السابق يدوران حول الأجزاء الخمسة من زوايتين مختلفتين ، لأن المبحث السابق يتحدث عن إعداد الخطبة ، وتتبع هذا الإعداد بطريقة عقلية بحثه حتى توصل إلى أنها خمسة أجزاء مترابطة ومتناسكة من البداية حتى النهاية ، وعرفها بإجمال .

أما هذا المبحث فإنه يتناول الأجزاء بعد وجودها ، وتامها ويقوم بتفصيل بعض الجوانب الفنية التي ينبغي أن تكون عليها هذه الأجزاء لتصوير الخطبة حسنة ، شكلا ، ومضمونا .

إن المبحث السابق يتناول الأجزاء قبل وجودها ، والمبحث الذي نحن فيه يتناول نفس الأجزاء بعد كمالها وتامها .

وباختلاف جهة التناول ينفي التكرار في المبحثين .

والمتمأمل في بدايات السور القرآنية يرى أنها توجز السورة كلها في كلمات ، وهي مع هذا الإيجاز تشتمل على الإعجاز الإلهي الذي يستولي على عقل الإنسان وعواطفه ، ويأخذه إليه بالإيمان والطاعة وبعد ذلك تأخذ في التفصيل والإحكام ، ولا يقال عن التفصيل بعد الإيجاز ، أو الإيجاز بعد التفصيل إنه تكرار مغل ، لأن كلا من الإيجاز والتفصيل أخذ جانبا خاصا به .

وبدراسة هذا المبحث سوف نتبين التمايز بين المبحثين :

الجزء الأول الافتتاح

هذا القسم هو صدر الخطبة لأنه أول ما يبدو من الخطيب تشبيها له بصدر الإنسان أول ما يظهر في مقدمه .

وهذا الجزء من الخطبة هام وضروري لأنه سمىها ، وعنوانها العام ، وجودة العنوان دليل على جودة المعنون له ؛ والضمياء يبشر بالنور ، واللحظة الأولى مثل الفكرة الأولى تبشر بما بعدها دائما .

ومن المعروف أن السمع إذا فاجأه حسن الافتتاح يشقظ ، واهتم بمتابعة ما بعد ذلك بشوق وشغف ، ويحاول تتوق جمالها اللفظي . ومعرفة معناها النفيق . وحينئذ تكون الخطبة مشتملة على براعة الاستهلال الذي لا يهد منه لنجاح الخطبة .

إن الباحث في القرآن الكريم يرى العناية الإلهية واضحة في أوائل السور لأنها تثير في النفس الإجلال والشوق ، والرغبة في تتبع القراءة ، فهي حينما تكون ثناء على الله تعالى كسور الحديد ، والحشر ، والصف ... وحينما تكون تعظيما لشأن القرآن الكريم كأوائل سور فصلت ، والزخرف ، والسجدة ... وحينما تكون شرطا ، أو استفهاما كسورة الإنسان ، والفيل .

إن بدء بعض السور بالقسم ، أو الاستفهام ، أو بالشرط ، أو بالثناء يولد عند المستمع رغبة في المتابعة تبيانا للمقسم عليه ، أو انتظارا للجواب ، أو تفهما للمنادي ، ويعيش بعقله كله ليكتشف لوازم هذه البدايات التي اهتم الله بها فإذا وصل إليها فكر فيها ، وتدبر في أمرها ، وأمن مصدقا بكل إيقاعاتها وهكذا تتضح عناية القرآن الكريم بالافتتاح الحسن . لأنه يدل على ما في السور من أول وهلة كما يجذب عقل المستمع إلى الإنصات له .

إن المؤتمرات الخطابية في العصر الحديث تهتم بالبدايات في كل خطبة وفي كل أعمال المؤتمر بعدما علمت أن ذلك سر الفوز والنجاح .

والخطيب الناجح هو الذي يستفيد بهذا الأسلوب المعجز ، ويحاول محاكاته على قدر جهده . حتى يتمكن من جذب انتباه المستمع إليه .
يقول ابن الأثير : ^١ وإنما خصت الابتداءات بالاختيار لأنها أول ما يطرق السمع من الكلام ، فإذا كان الابتداء لائقاً بالمعنى الوارد بعده توفرت الدواعي على استماعه ، وكفئك من هذا الباب الابتداءات بالتسداء ، وكذلك الابتداءات بالحروف المقطعة في القرآن الكريم . وغير ذلك فإن هذا أيضاً مما يبعث على الاستماع إليه لأنه يقرع السمع بشئ غريب ليس له بمثله عادة فيكون ذلك سبباً للتطلع نحوه . والإصغاء إليه ^٢ .

ويكون الافتتاح حسناً إذا كان لائقاً بموضوع الخطبة ، دالاً على المعنى المقصود منها ، فإن كان موضوع الخطبة نصراً وفوزاً لزم في الافتتاح أن يشير إلى ذلك ، وإن كانت تهنية فتهنئة ، وإن كانت عزاء فعزاء . فإنه لا خير في كلام لا يدل على معناه ، ولا يشير إلى مغزاه ، ولا يعرف بالموضوع الذي إليه نزع ، ومن أجله تحرك ، وله يظهر ويبين .

وفائدة حسن الاستفتاح أن يعرف المستمع من البداية الموضوع المراد من الخطبة ، ويحيط بالهدف المقصود ، ولو أضفنا إلى حسن الافتتاح أن الخطبة مناسبة مع واقع المستمعين لعلمنا يقيناً أنها تلامس رغبة الجماهير ، وتشارك وجدانهم ، فيعاشونها من أول الافتتاح إلى نهاية الخاتمة ، وحينئذ يؤدي الخطيب دوره ، وينجح من أول بدئه في خطبته إلى نهايتها .

والافتتاح أربعة أنواع^٣ هي :

أ - الافتتاح المباشر :

وهو الافتتاح الذي يبين الموضوع بلا تكلف . وقد سماه الشيخ علي محفوظ بالافتتاح الساذج . ذلك لأنه يشير إلى الموضوع صراحة بلا حاجة إلى

١- الملل السائر ص ٢٦٠

٢- الخطبة للشيخ علي محفوظ ص ٤٦

تكلف لو تفكير ، كأن تكون الخطبة في الصبر ويكون الافتتاح بالحمد لله الذي أمر بالصبر وحث عليه . ووعد الصابرين بالخير الجزيل ، وغالبا ما يكون هذا النوع في خطب الوعظ الديني الدورية ، وخطب الحرب ، وخطب مجالس الأدباء ، وخطب التهاني ، والخطب الموجهة إلى العامة .

ب - الافتتاح الفخم :

وهو ما يبدو الموضوع من تفهم معناه من خلال لفظه الجميل الفخم ، وأسلوبه المتأنق .

وهذا الافتتاح يشير إلى المقام الهام للخطبة التي يكون فيها لأنه لا يكون إلا في الأحوال الخطيرة . والأحداث الهامة ، وذلك كافتتاح أبي بكر رضي الله عنه لخطبته يوم أن شكك بعض المسلمين في وفاة النبي ﷺ إذ قال : **أيها الناس من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت**^١ ثم استمر في خطبته بعد ذلك . فتراه رضي الله عنه لم يتكلم عن الموضوع ، وإنما جعل الوقائع والكلمات تشير إلى الموضوع ، وترك للصحابة أن يستنبطوا المراد وهم يعيشون روعة الموقف الذي كان الخطاب فيه .

وهذا الافتتاح يستعمل في الأحداث الهامة ، حيث لا يتسع المقام لطول الكلمات ، وتوسع المقدمات .

ج - الافتتاح البدهي :

وهذا الافتتاح وسط في دلالته بين الوضوح والخفاء ، وبين السهولة والفخامة ، فهو ليس مطلق الوضوح . وليس بعيد الفهم . ولكنه سهل المنال . يسير الفهم ، ولذلك سمي بدهيا ، وهذا النوع يناسب الخطب المفاجئة في مناسبة معلومة للمستمعين . وذلك كخطبة أحد المرشحين في انتخابات مجالس النيابة مثلا . لأن الحدث معروف . والمستمعين على دراية بما سوف يقال . والخطيب يريد الوصول إلى الناس مباشرة وببسر ، وكل مستمع يمكنه أن يحدد

الموضوع سلفاً بصورة مجملّة .

د - الافتتاح الملوح :

وهو الافتتاح المشير للموضوع من بعيد كأن يدل عليه بطريق مجازي خفي . ولا يكون هذا الافتتاح إلا في أناس تميزوا بالثقافة والدقة ، وكانوا من أهل الحكمة ، الذين عشقوا المعالي العالية . والأساليب البلاغية الراقية . وعلى الجملة فإننا نرى أن الافتتاح من الأجزاء الهامة في الخطبة لا يبد منه لها لأنه ينبه الناس ، ويعرض الموضوع في كلمات بليغة بليغة ، ومن هنا فإني لا أتفق مع من يرى جواز إغائه في بعض الأحيان . ويكفيه ضرورة أنه يوقظ المستمعين إلى ما سيقال ، ويدفعهم إلى الرغبة في المتابعة ، كما أنه يعقد صلة بين الخطيب وجمهوره ، وبين الموضوع ومستمعيه .

إن هذا الافتتاح هو المقدمة التي يفتح بها الخطيب حديثه ، وأرى حاجة الخطيب إليها ، لأنه بواسطتها يكتشف من أمامه من الناس ، ويأخذ في كلامه بعد ذلك هادئاً مطمئناً .

ومع إصرارنا على ضرورة المقدمة المناسبة للموضوع وللمستمع فإننا نرى أن يكون الافتتاح تنبيهاً خاطفاً ، سريعاً بحيث لا يزيد عن عشر زمن الخطبة على أكثر تقدير .

ويجب أن يبتعد الخطيب عن الإسهاب والإطالة في المقدمة ، لأن ذلك يبعد الخطيب عن مقصده من المقدمة .

ولا يصح أن تكون المقدمة يكون مبنثلة مكررة بصورة واحدة مع سائر الخطب .

وأن لا يتناول الخطيب في مقدمته تفاصيل موضوع الخطبة . ويجب أن يلتزم بخصائص المقدمة . فيشير إلى الموضوع في حسن وإيجاز .

يقول ابن المقفع : ' وليكن في صدر كلامك دليل على حاجتك ، كما أن

خير أبيات الشعر البيت الذي إذا سمعت صدره عرفت قائلته^١ .
 ويعلق الجاحظ على هذا القول فيقول : " هناك فرق بين صدر خطبة
 النكاح . وبين صدر خطبة العيد . وخطبة الصلح . وخطبة المواهب . حتى
 يكون لكل من ذلك صدر يدل على عجزه ، فإنه لا خير في كلام لا يدل على
 مخاك ، ولا يشير إلى مغزاك . وإلى العمود الذي إليه قصدت . والغرض الذي
 إليه نزلت^٢ .

ويجب أن يعرف أن الخطبة الدينية لها استقناحها الخاص بها ، وسوف
 نتناوله بالتفصيل فيما بعد عند الحديث عن خطبة الجمعة والعينين .
 ومن بلاغة المقدمة أنها تأتي مترابطة مع ما بعدها متناسقة معه في
 الأسلوب والفصاحة بحيث لا يشعر المستمع بنهايتها ، والانتقال إلى ما بعدها .
 إن الخطيب الناجح هو الذي يلون في افتتاحيته . ويجعلها مثيرة
 لجمهوره . كأن يحيى آراءهم القديمة ، أو يثني على بعض خصائصهم ، أو
 يرد على معارضيتهم ، ويبين أنه منهم ولهم ، أو يشير إلى معتقد خاص بهم ،
 أو يستشهد بنصوصهم المقدسة ، أو يتساءل عن أمور أثارته ، أو يعرض سؤالا
 وجه إليه ، أو يورد حدثا اهتم به مع جمهوره .
 وقد أصغبنى خطيب أعد خطبته عن " عظمة الله تعالى " ، وقدم لها
 بطريقة حسنة حيث قال : " حين مجئ إليكم سمعت المؤذن يقول : الله أكبر ...
 فتساءلت مع نفسي عن أي شيء أكبر ... هل هو أكبر مني ، أو من غيري ؟ أو
 من الشجر ، أو من الحجر ... واستعرضت الخلق كله على قدر طاقتي فوجدت
 أن الله سبحانه وتعالى أكبر من الوجود كله مجتمعاً أو منفرداً . واستغرقت في
 التساؤل حتى دفعتني إلى أن نعيش اليوم مع عظمة الله تعالى وكبريائه .
 وبمثل هذا تكون المقدمة موضوعية ، ومثيرة للنظر ودالة على ما
 بعدها .

١- البيان والتبيين ج١ ص١١٥

٢- البيان والتبيين ج١ ص١١٦

الجزء الثاني

بيان الموضوع

يأتي هذا القسم مباشرة بعد الافتتاح . وفيه يجمل الخطيب موضوع خطبته للمستمعين لتهيأوا للتلقى والاستماع .

ويجب أن يكون بيان الموضوع قصيرا . ومعبرا . ومتفقا مع موضوع الخطبة وأهدافها ، ومتناسقا مع الافتتاح بحيث لا يشعر المستمع بالانتقال من قسم إلى قسم آخر منفصل عنه ، لأن الخطبة كل واحد لا ينقسم ، وإنما كان هذا التقسيم منهجيا للتعليم والتثنية .

ولا بد عند ذكر الغرض من ملاحظة ثلاثة نقاط هي :

١- أن يذكر الغرض من خلال قضية عامة ، لا يبينها على مقدمات منطقية . لأنه لو بناها على مقدمات كان ذلك سببا برهانيا يأتي في البراهين والأدلة ، وليس في إبراز الموضوع ، فمثلا إذا كان موضوعه الذي هو بصدد الكلام فيه الدعوة إلى تثبيت نظام . أو منع فوضى يقول : السلطان وازع الله في أرضه — وإذا كان يريد الدفاع عن متهم ببيان أن أدلة الاتهام تحوم حولها الشبهات يقول مثلا : المتهم بريء حتى يقوم للدليل على جانيته . وكل شك يكون في مصلحة المتهم . لا في مصلحة الاتهام ... وإذا كان يريد أن يخطب جمعا يحثهم على إحياء القرآن الكريم بحفظه والعمل به يقول مثلا : " في القرآن نبا ما قبلكم . وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم " ... وفي كل هذا ترى أن الموضوع قد ذكر في قضية عامة بلا تفصيل ، أو برهان ، أو إثبات ، أو نفي .

٢- أن يكون ذكر الغرض واضحا في الدلالة على الموضوع . لأنه إن لم يكن كذلك لا يثمر ثمرته المرجوة ، وكان إيرادها بلا فائدة ، وحينئذ يشعر المستمع أنه يسمع كلاما لا معنى له ، متضمنا لأفكار

متناقضة ، ومعانى شتى ، وهذا يلقي في نفسه روح التبرم . الأمر الذي يؤدي به إلى الانصراف عن الخطيب وعدم الاهتمام بكلامه . وهذا أمر غير مقبول .

٣- أن يأتي التعريف بالغرض في جملة تأثير خيال النفس . وتهزها لتتشط إلى سماع ما يقال . وتهتز أوتار القلب لكل ما يجيئ به الخطيب من معان . وعبارات جيدة محكمة .
ومن أبلغ المقدمات التي اشتملت على مقصد بليغ قول علي بن أبي طالب عليه السلام في إحدى خطبة التي يحث فيها على الجهاد . قال :
" أما بعد . فإن الجهاد باب من أبواب الجنة . فمن تركه رغبة عنه أثبسه الله ثوب الذلة . وشمله البلاء . وألزمه الصغار ، وسيم الخسف ، ومنع النصف . ألا وإني قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء ليلا ونهارا . سرا وإعلانا ... إلخ " .

الجزء الثالث

تحديد العناصر

يدور هذا القسم مع الموضوع كله حيث يقسمه إلى أجزاء تفصيلية مرتبة ، ولا يصل الخطيب إلى التقسيم الجيد إلا بعد الإعداد العلمي المنظم للخطبة .

وتقسيم الموضوع إلى عناصر رئيسية وأخرى فرعية له فوائد عديدة تعود على الخطيب ، وعلى الخطبة ، وعلى المستمعين .

أما فوائده على الخطيب فهو :

أولاً : يؤدي إلى العناية بتحضيره لخطبته ، وإعدادها بعناية .
 ويجعله — ثانياً : ملتزماً بموضوع خطبته . متمسكاً بالأجزاء التي يذكرها في تقسيمه بحيث لا يتعداها أبداً .
 ويبعده — ثالثاً : عن التكرار والإعادة . وبذلك يكون خطيباً موضوعياً موفقاً .

وأما فوائد تحديد العناصر على الخطبة ذاتها :

فإنه — أولاً : ينسّقها بترتيب عناصرها . وتسلسل أفكارها وهو — ثانياً : يجعلها منحصرة في موضوعها وحده ، وبذلك تتأوا عن الابتذال والسقوط .

وأما فوائد تحديد العناصر والالتزام بها على المستمعين .
 فإنه يوقفهم على سياق الخطبة وأجزائها . وهذا داع إلى انتباه المستمعين ، وحرصهم على الإدراك التام . ومتابعة الخطيب وهو ينتقل من عنصر لآخر وهكذا .

ويجب أن تجمع العناصر الخصائص التالية :

أ — الشمول التام لكل أجزاء الخطبة بحيث لا يترك عنصراً ، أو إتجاهاً ما إلا بعد توضيحه ، وتقديم أدلته ، ورد الشبه المثارة

ضده .

- ب — التباعد عن ذكر أجزاء ليست داخلة في الموضوع العام للخطبة .
- ج — الاستقلال الواضح لكل جزء بحيث لا يتكرر الجزء الواحد ولا تتكرر جزئيات هذا الجزء في جزء آخر .
- د — الوضوح للمعنوي لسائر الأجزاء بحيث يدركها السامع بيسر وترتيب .
- هـ — الإيجاز الوافي مع سائر العناصر لأن ذلك أدعى للحفظ ، وأقوى في الإحاطة .
- و — تحديد العناصر يستحسن كثيرا في الخطب الطويلة . وفي الخطب القضائية ، والسياسية .
- و — الانتقال من جزء لآخر في ترابط وتسجام بعيد عن الخلل والتناقض .

الجزء الرابع الأدلة المؤيدة والتعبير الراقى

وهذا القسم هو الأدلة المؤيدة لعناصر الخطبة وأجزائها ، ولا بد أن تكون الأدلة أمورا تثبيته لأن الخطبة تأتي من أجل إثبات أمر ، ورد ما يضاده من أقوال^١ ، ولذلك لزم أن تكون الأدلة والعبارات في إطار إثبات العضوب ، وقد اهتم العلماء المحدثون بهذا الجزء وقسموه إلى قسمين^٢ .
أولاهما : يتعلق بتوضيح الموضوع وإيراد أدلته .
وثانيهما : يتعلق بنقد دعاوى الخصوم والرد على المعارضين .
وهذان القسمان يحتاجان لتوضيح وتفصيل .

القسم الأول البيان والتوضيح

بعدها يتناول الخطيب أجزاء خطبته . بوضع عناصرها الأساسية يلجأ إلى شرحها . وتأييدها بما يؤكدتها عند المستمعين . ويلونها في أساليب متعددة من أجل الإقناع والتأثير . مستخدماً في ذلك ما يكون في الخطبة من لفظ جميل وأسلوب رفيع . ومعنى رفيع ، والخطيب الناجح هو الذي يستخدم سائر معارفه في إقناع خطبته للمستمع . ومن الأساليب التي يمكن أن يستخدمها الخطيب في توضيح موضوعه ما يلي :

أ - **الأسلوب القصصي** : وهو الأسلوب الذي يتخير من أخبار السابقين جزءاً ماثلماً لحال المستمعين . ويستدل به على ما يريد .

١- الخطبة ص ٤٤ نيليس الخطبة ص ٢٤ ، ٣٢٢

٢- أصول الخطبة ص ١١٧ الخطبة ص ٤٨

وهذا الأسلوب له أهمية كبرى . وتأثيره كبير ، وقد اكتشفه الأقدمون ، حيث حدث أن كفار قريش كانوا يعارضون رسول الله ﷺ بما يقصونه من حكايات . إذ كان النضر بن الحارث يأتى نياحة عنهم ويقول للناس : " إن محمدا يحدثكم بحديث عاد وثمود . وأنا أحدثكم بأحاديث رستم . وبهرام . والأكلسرة وملاك الحيرة " ، وما كان ذلك منه إلا لطمه أن الناس تتابع وتتأثر بقصص السابقين وأخبارهم .

وفى القصص القرآنى تأثير بالكلمة ، وتأثير بالحدث ، وتأثير بالأشخاص وتأثير بالواقع كله .

أما تأثيره القولى - أولا -

فيسبب اهتمامه بفنون البلاغة بأنواعها كلها اقرأ قوله تعالى قاصا إجابة موسى لفرعون حين سأله عن ربه ﴿ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾^١ نرى أنه عليه السلام ذكر أدلة وجوب وجود الرب المعتمدة على قدرته ، وعنايته بالإنسان ، حيث هداه إلى الخير ، وذلك كله فى هذه الجملة القصيرة التي يحتاج تفصيلها إلى كتب كثيرة، يقول الرازى : الشروع فى بيان عجائب حكمة الله فى الخلق والهداية شروع فى بحر لا ساحل له^٢ .

ولقرأ قوله تعالى قاصا مقالة الهدد لسليمان : ﴿ وَجَعَلْنَاكَ مِنْ شِيبَةٍ يَتَذَكَّرُ بِهِ عِنْدَ رَبِّكَ فَاصْبِرْ لَهُمْ صَبْرًا مَعْتَدًا ﴾^٣ .

فقد بين الهدد بهذه الكلمات الأربع أن غيبته كانت لغاية كبرى تفيد

١- تفسير الرازى ج٢ ص١٣٧

٢- سورة طه الآية ٥٠

٣- مفاتيح الغيب ج٦ ص٦٠

٤- سورة النمل الآية ٢٢

سليمان وتهمه ، وقد أتى الهدد بها من مكان بعيد ناء ، وإن هذه الغاية تحمل أخبارا لم تعرف من قبل ، ولم تكن محتملة ، وهي أخبار صادقة لا تحتمل الكذب أبدا ، قد للكلمات الأربع في جمال وحسن يبدون من الإدغام والغن وتنوع شكل الحروف وهكذا سائر التراكيب .

يقول الباقلاني ما رأيك في قوله تعالى ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾^١ .

فإن هذه الآيات تشتمل على ست كلمات (جمل) سداؤها وضيادها على ما ترى ، وسلاستها على ما نشاهد ، إنها تشتمل على جملة ، وتقصيل ، وتفسير ، حيث ذكر العلو في الأرض ، وفسره باستضعاف الخلق يذبح الولدان وسبي النساء ، وإذا تحكم في هذين الأمرين فما ظنك بما دونهما ، ثم نكر الفاصلة التي ردت آخر الكلام إلى أوله بقوله ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴾ .

ولعل إجابة موسى على فرعون ، وإجابة الهدد ، ووصف فرعون لو حاول بشر أن يصوغها ابتداء ، لاستوقاها بأضعاف كلماتها .
والجملة القرآنية في القصة — ثانياً —

تتكون من كلمات متفقة ، ومختلفة ، ومتعاونة في أداء المعنى وكان كل كلمة لفق لجاراتها لفظاً ومعنى .

اقرأ قوله تعالى في قصة نوح عليه السلام ﴿ وَقِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ مِنْهَا الْهَاضِمَةَ وَمَنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مُقِرًّا فَيَنْسَى مَا أَنذَرْنَا فَنَكُفِّرْ بَعْدَهُ أَكْثَرًا ﴾^٢ .

١- سورة القصص الآية ٤

٢- للفق شق الملاحة أي أن كل كلمة جزء من الكلمة المجاورة

وَقِيلَ بَعْدَ ذَلِكَ يَوْمَ الْفُتُورِ الْمُظْلِمِينَ ۝١

فإن كلماتها مرتبطة ومؤدية لكثير من المعاني، يقول عبد القاهر معلقاً على هذه الآية : إنك لم تجد ما وجدت من المزية الظاهرة والفضيلة القاهرة إلا لأمر يرجع إلى ارتباط هذه الكلم بعضها ببعض ، وإن لم يعرض لها الحسن والشرف إلا من إلا من حيث لاقت الأولى بالثانية ، والثانية بالثالثة ، وهكذا إلى أن تستقر بها كلها ، ثم يقول : إن شككت فتأمل هل ترى لفظة منها بحيث لو أخذت من بين أخواتها وأفردت لأدت من الفصاحة ما تؤدية وهي في مكانها من الآية قل " ايلعي " واعتبرها وحدها من غير أن تنظر إلى ما قبلها وإلى ما بعدها ، وكذلك فاعتبر سائر ما يليها، وكيف بالشك في ذلك، ومعلوم أن مبدأ العظمة في أن نوديت الأرض ثم أمرت . ثم إن كان النداء بيا دون أي — ثم إضافة الماء إلى الكاف دون أن يقال " ايلعي الماء " ثم إن نداء الأرض وأمرها بما هو من شأنها، ثم اتبعه بنداء السماء وأمرها كذلك بما يخصها ثم إلى بناء الفعل " غاض " للمجهول للدلالة على أنه لم يغض إلا بأمر أمر، وقدرة قادر ، ثم إن تأكيد ذلك وتقريره بقوله وقضى الأمر، ثم إلى نكر ما هو نتيجة لهذه الأمور جميعا وهو الاستواء على الجودي ، ثم إلى إضمار السفينة قبل الذكر للتعظيم والتفخيم، ثم إلى مقابلة " قيل " في الخاتمة بـ " قيل " في الفاتحة .

وهكذا نرى أن الأسلوب القصصي في القرآن يصور الحقائق في براعة نادرة ، أخذت بلب البلغاء ودهشتهم، وجعلت للعرب وهم أرباب البلاغة — معنى وبيانا وبديعا — يقفون أمامها وليس لهم إلا

١- سورة هود الآية ٤٤

٢- الإجاز في شرح دلائل الإعجاز ص ٣٢ .

للتأثير والتسليم .

والجملة في القصة القرآنية - ثالثا -

تراعى صلية التأثير في نسبة المستمعين على حسب وضعهم لأنها تتجه لما سيقف له بدقة ، وتتعامل مع الواقع على ما هو عليه . كما أن القصص القرآني يراعى واقع الناس ، ويعالج ما هم فيه ، ففي القصص المكي يوم أن كان المسلمون غير آمنين في حياتهم ومعاشهم ، والمشركون منصرفين عن القرآن إلى الماديات المثيرة لوجدانهم ومشاعرهم .

في هذا الوقت كان على القصة أن تستولى على القلوب بأسلوب مناسب للنفوس اللقطة من حيث قصره وإيجازه وتصويره لموقف أخلا ، أو إيراد حادثة تعلمن المضطربين ، وتخوف ظالمهم .

وهذا الأسلوب لا بد أن يكون على صورة الإسجاع العربية، لأن ذلك هو الذي يثير العربي ، ويوقظ مشاعره، ويشده إليه إقرا قوله تعالى ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿١﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٢﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٣﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٤﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿٥﴾ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ ﴿٦﴾ فَأَكْتَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿٧﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ﴿٨﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْعُرْصَادِ ﴿٩﴾ .

هذه الكلمات القليلة تعبر عن المعاني الكثيرة بدقة وإيجاز ...

فحين نقرأ " أَلَمْ تَرَ " ندرك أن العلم بهذه الأخبار يقين كالمشاهدة الحسية تماما ...

ومن جملة الآيات نعرف عادا وموطنها، وضخامة أشخاصها بصورة لا نظير لها، ونعرف ثمود الذين قطعوا الصخر ليصنعوا

بيوتهم بالوادي منه، ونعرف فرعون بكثيرة جنوده، ونعرف أن هؤلاء جميعا عادا وثمود وفرعون كانوا طغاة ظالمين مكثرين في إفسادهم بالكفر والقتل والظلم، وكانت عاقبتهم أليمة، واستحقوا ما فعل الله بهم حيث رصد الله أعمالهم كلها... وهكذا اشتملت هذه الآيات القصيرة على مجموعة من الأقسام غايتها واحدة هو بيان شدة العذاب ودوامه، إذ الصبب يشعر بالدوام، والسوط يشعر بزيادة الألام.

ولعل هذه الموسيقى المؤثرة الواضحة من مقاطع الآيات القصيرة هو السر في نزول القصص المكي غالبا على هذا النمط. ومن فنية القصة القرآنية أنها لا تعطي أحداثها دفعة واحدة، بل تتخير حدثا مفيدا للغرض وتهتم به، وبذلك تحقق شيئين لا بد منهما في الدعوة على الله تعالى هما:

تجزئة القصة الواحدة.

وتكرار الحدث الواحد.

وبهذا تتحقق أغراض القصة في سهولة ويسر، لأن التجزئة لا تنقل على السامع، والتكرار في حد ذاته له تأثير عجيب فإن أدركنا أن التكرار القرآني لا يعني الالتزام بصورة واحدة دائما، وإنما هو في القرآن الكريم جديد في كل مرة بزيادة أحداث، والتركيز على جوانب معينة مع تغير الصنيع، وتنوع التوجيه، وتعدد الأهداف، حين ندرك ذلك، وهو حق، نعلم ما في القرآن الكريم من دقة وإعجاز وبخاصة في التكرار والتجزئة.

وحتى نكتين هذين الشئيين في قصص القرآن نقرأ قصة نوح عليه السلام كما جاء بها القرآن الكريم.

فهي في سورة الأعراف تحتل الآيات من ٥٩ إلى ٦٤ وتركز على ضلال القوم بشكل عام، وتبين استغراقهم فيه، وتشير إلى عاقبة الكفر والاستكبار وجزاء الإيمان والطاعة .

وهي في سورة هود من آية ٢٥ إلى ٤٨ تركز على بيان الأدلة الواقعة على الإيمان بالله إذ هو مصدر الرحمة ﴿وَأَتَيْنِي رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِيهِ﴾ والأجر والحق عنده ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾ والنصر منه وحده ﴿مَنْ يَنْصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدْتُهُمْ﴾ وهو العليم بالخفي والظاهر ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ﴾ ومشيئته مطلقة في إنزال العقوبة ﴿إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ﴾ وإليه المرجع والمآب ﴿هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ وندى من مناقشات القصة في سورة هود أن نوحا عليه السلام كان يديرها نحو الأدلة ولم يسترسل معهم في المجادلة الباطلة .

وهي في سورة الأنبياء تحتل آيتي ٧٦ ، ٧٧ وتركز على النعم التي جعلها الله لنوح بشكل مجمل وموجز .

وفي سورة المؤمنون تأتي القصة في الآيات من ٢٣ إلى ٢٨ وتركز على نعمة الإنقاذ بواسطة السفينة ، وهي نعمة تستحق الحمد .

﴿ فَإِذَا أَسْتَوَيْتَ أُنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِّ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾^١ .

وفي سورة العنكبوت تركز على بيان المدة التي مكثها نوح في قومه لأن عليه السلام مكث فيهم ﴿أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ .

وفي سورة القمر تركز على تهويل صورة العذاب وكيف يبدو من

قوله تعالى ﴿ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١٠﴾ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ
عُيُونًا فَأَلْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١١﴾ ۚ .

وفي سورة نوح نرى التركيز على أعمال نوح عليه السلام يقدمها إلى ربه موجزا عمله خلال مدة بعثته طالبا من الله أن ينزل العقاب على الضالين الكافرين ويذكر له نتيجة خبرته الطويلة معهم وكأنها في سورة نوح بيان ختامي يقدمه نوح عليه السلام لله رب العالمين .
فهذه سبع مرات لقصة نوح ، ولكل مرة أحداثها البارزة الواضحة المركزة على جانب معا لتكون مفيدة في هذه النقطة ، وليأخذ من نزل القرآن لهم من تجزئة القصة درسا لهم .

فالتعلم بعاقبه المؤمنين والكافرين درس من القصة في الأعراف .
والأدلة الإيمانية درس من سورة هود .

وضرورة الحمد على النعم درس سورة المؤمنون .

كما أن بيان رفعة منزلة النبي ﷺ عند الله درس سورة الأنبياء .

والإحاطة بقدرة الله في تعريف قوى الطبيعة درس سورة القمر .

وهكذا جزأ القرآن أحداث قصصه ليوسع الفائدة بها ويوجد الدافع إلى التأثير والهدف .

من الممكن أن يستفيد الخطيب وهي يعد خطبته بهذه اللوحات القرآنية في القصة القرآنية ، فيختار حدثا ويستعرض ما فيه من دروس وعبر .

أو يتفنن فنية التكرار وما لها من تأثير وفائدة .

إن القصة نوع من الأدب له جمال . وفيه متعة ، تؤثر في نفوس الكبار . كما تؤثر في نفوس الصغار ، لأنها تجذب العقل ،

وتخاطب الوجدان . وقد أدرك العرب قديما ما للقصة من تأثير فاستفادوا بها.

ولعل أكبر ما يحدثنا عن فائدة القصص في الخطاب ما نراه من أحاديث الرسل لأممهم . إذ تراهم صلوات الله عليهم يقصون أخبار السابقين من أجل الإنذار والتخويف ، يقول هود عليه السلام لقومه ﴿ أَوْعَيْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ ۖ وَأَذْكُرُوا إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ نَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَضْطَةً ۖ فَادْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾ ١ .

ويقول شعيب عليه السلام لأهل مدين ﴿ وَنَقَوْمٍ لَا تَحْرِمَتَكُمْ شِقَاقِي أَنْ يُصِيبَكُمْ وَيَقُلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ ۚ وَمَا قَوْمٌ لَّوْطٍ مِّنكُمْ يَعْجِلُونَ ﴿٨٩﴾ ٢ .

ولأهمية هذا النوع في الاستدلال وجدنا الكثيرين يؤلفون القصص الخيالية على أسنة الناس . أو على أسنة الطيور والحيوانات . هادفين من وراء ذلك نشر فكرة . وتأبيد اتجاه . وقد حوى كتاب " كليلة ودمنة " الذي ألفه الفيلسوف " بيدبا " قصصا خيالية كثيرة على أسنة الحيوانات والطيور ، تدور على ضرورة نشر العدل ، ومقاومة الظلم والعدوان ، ومعرفة أساليب ودهاء المخادعين .

والتربية الحديثة تركز في أساليبها على القصة كأسلوب تروى هام . ومن خصائص الأسلوب القصصي أنه يجزئ البيان ، ويراعى حال المدعويين . ويتدرج معهم من الأسهل إلى السهل ، كما أنه يأخذ المستمع إلى حوادثه وفضلاها ، ويدمجه معه في حالة من الانفعال

١- سورة الأعراف آية ٦٩

٢- سورة هود آية ٨٩

النفسي ، وهذه تهيئة للتوجيه والاستفادة بصورة تلقائية ، وهكذا .
 إن القصة تعد المجال الخصيب للترغيب والترهيب الذي هو فن
 جميل الأثر في الناس ، لأن الإيمان إذا أستثير شوقه إلى شيء ما
 زاد اهتمامه به . وسرعان ما يتحول هذا الشوق إلى نشاط يملأ حياة
 الفرد عملاً وتحمساً وتعلقاً بما تشوق له ، رغبة في الحصول عليه .
 وأيضاً فإن الخوف من شيء ما يجعل الإنسان يهابه ولا يرغبه .
 ويبتعد عنه حذراً من الوقوع فيه . وهذا أمر طبيعي . لأن الرغبة
 هي التي تحسن الأشياء ، والرغبة هي التي تصورها بصورة سيئة .
 كما أن التأثير بالترغيب والترهيب يتفق مع فطرة الإنسان وطبيعته
 المحبة للثواب والنعيم ، الكراهة للعقاب والنبؤس .

إن القصص القرآني من خلال قصه يذكر هذا الفن للناس فهو
 يرغب في الإيمان بالله واتباع الرسول ﷺ ويبين أن ذلك هو منهاج
 النجاة من كل شدة وعذاب ، ويذكر أن الناجين دائماً هم المتبعون
 للرسول فلفظ نجى الله أتباع نوح عليه السلام بقول الله تعالى
﴿ فَأَجْنَبْتَهُمُ الْفُرُجَ وَتَلَوَّى عَلَيْهِمْ آلِهِمُ الْمُجْرِمِينَ ﴾ .

ونجى أتباع هود عليه السلام بقول تعالى **﴿ وَلَمَّا جَاءَ أَشْرَانَا نَحْنُ مُجِيبُونَ ﴾**
وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةِ رَبِّنا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ .^١

وعلى هذه الوثيرة في الإنجاء جرى الأمر مع أتباع الرسل كلهم لأن
 إنجاءهم يخضع لقاعدة يجب أن تبقى واضحة وقد عرفها لنا الله
 بقوله **﴿ ثُمَّ نُنزِّلُ الرُّسُلَ مِنْكُمْ لِيُحَدِّثَ إِلَىٰ نَارِ اللَّهِ مِمَّا قَدْ حَفِظُوا عَلَىٰ بُرْهَانٍ ﴾**
الْمُؤْمِنِينَ .^٢

١- سورة الأعراف الآية ٧٢

٢- سورة هود الآية ٥٨

٣- سورة يونس الآية ١٠٣

يقول أبو السعود : في هذه الآية تنبيه على أن مدار النجاة هو الإيمان^١ ويشير الرازي إلى أن قوله تعالى " حَقًّا " يفيد وجوب الإنجاء بسبب الوعد لأن تخليص الرسول والمؤمنين معه من العقاب إلى الثواب واجب أوجب الله على نفسه ، ولولاه لما حسن من الله تعالى أن يلزمهم الأفعال الشاقة^٢ .

وكما أن الاتباع يستلزم النجاة فهو أيضا طريق التمكين في الأرض والتمتع بخيرها والأمن والهدوء فيها، كوعد الله تعالى ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنَسَخِلَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفْنَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَنُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَنُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُفْرَكُونَ بِي شَيْئًا ^٣﴾ .

وما أعطى الله الذين سبقوا هذه النعم الغالية إلا لأنهم يعبدون الله وحده ولم يشركوا به وقد وضع تنفيذ هذا الوعد جليا مع بنى إسرائيل أتباع موسى عليه السلام فلقد ورثوا أرض الشام بما فيها من خير وبركة يقول الله تعالى ﴿ وَأَوْزَنَّا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا ^٤﴾ .

وكما أن الاتباع سبيل إلى الإنجاء والتمكين فهو أيضا سبيل النصر .

١- تفسير أبو السعود جـ ٢ ص ٣٥١

٢- مفاتيح الغيب جـ ٥ ص ٤٦

٣- سورة النور الآية ٥٥

٤- سورة الأعراف الآية ١٣٧

ولا يقتصر الترغيب على الإيمان بالله وتصديق الرسول ﷺ بل إنه يتعدى ذلك إلى الترغيب على سائر الطاعات والأخلاق لفاضلة إذ يجعلها من أوامر الرسل في أقوامهم حين يأمرهم بالعبادة الحقة والأخلاق الفاضلة من أمثال الوفاء بالوعد، وإيفاء الكيل، والعدل - والاستقامة - والعفة وما دام مطيعو الرسل في نجوة وتمكين وانتصار بسبب طاعتهم فإن المستمعين للقصاص يحيون الخير، ويريدونه ويطيعون الرسول ﷺ فيه .

وكما يرغب القصاص في الخير، يخوف من غيره حين يبين عاقبة المكذبين للرسل، الكافرين بالدعوة الموجهة إليهم، وهو عذاب رهيب بحق يدفع العقلاء إلى الابتعاد عنه بتجنب كل ما يؤدي إليه، فيصدفون الرسول ويؤمنون بالدعوة، لأنهم لو كذبوا لصيأتهم ما لئى ثمود وعسادا من عذاب بينه الله تعالى في قوله سبحانه ﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ۗ وَأَمَّا عَادٌ فَأَهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۗ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَتَمَنَّى أَن طَبَّتْ رُءُوسَهُمْ فَأَنجَاهُمْ أَنجَاءً ۗ ﴾ .

يفسر الزمخشري طاغية ثمود بالواقعة المجاوزة للحد من الشدة، والريح الصرصر بأنها الشديدة الصوت والعصف والعتو والنحس والاستمرار حتى صرعتهم وقطعت رقابهم ٢ . ولو أجال العاقل فكره في سائر الأمم المكذبة لعلم يقينا أن العذاب الذي وقع عليهم عجزوا عن مقاومته رغم شدة قوتهم وتمكنهم من آثار الأرض .

١- سورة الحاقة الآيات من ٥ : ٧ .

٢- تفسير الكشاف ج٤ ص١٤٩، ١٥٠ .

إن الواجب على العقلاء أن يجبلوا فكرهم في قصص السابقين ويتكبروا فيه فما ذكره الله إلا لأجل إفادتنا .
 وقد امتلأ القرآن الكريم بقصص الأمم السابقة الحقيقية . وجعلها وسيلة قرآنية للدعوة إلى الله ، فهي تعرف بالله ، وتبين صفاته ، وتفيد حجج المعارضين ، وتأمر بالمعروف ، وتنهى عن المنكر ، وتستشهد بالواقع العملي في التوجيه ، ومن المعلوم أن الإنسان يتأثر بما يسمعه عن غيره أكثر من أن يلقى إليه مباشرة ، ويستفيد بالماضي للنهوض بالحاضر ، وتحسين المستقبل . ولأهمية القصة في التأثير كان أمر الله لرسوله ﷺ باتخاذها أسلوباً للدعوة فقال تعالى ﴿ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَنُكَلِّمَهُ أَهْلَ الْأَرْضِ وَإِنِّي عَلَىٰ فِعْلِهِ لَمَتَّكِلٌ ۗ كَذَّبُوا الَّذِينَ كَانُوا يُشْرِكُونَ ﴾ .

إن على الخطيب الكفاء أن يستفيد بالقصة — أسلوباً ومنهاجاً — عن طريق اختياره للمناسبات من أحداثها وعرضه أمام مستمعيه ، وإحاطة كلماته بالمؤثر المفيد .

ولعلنا هنا ندرك سبب نجاح القصص في دعوتهم إلى الله .

ب — الأسلوب المجازي : وهو الأسلوب الذي يلون الأقوال بالتشبيهات

١- سورة الأعراف آية ١٧٦

٢- القصص هم الذين كانوا يقصون على الناس آثار الأمم البائدة . وقد وجدوا مع بدء الدعوة الإسلامية . ولهم أثر كبير في مجال تبليغ الإسلام ، ونلاحظ أن مادتهم القصصية في القرن الأول كانت تستمد من القرآن والحديث وأخبار أهل الكتاب الذين أسلموا . وبعد مرور قرن هجري بدأ القصص يروون الأكتاب في قصصهم ، فالتحطوا بمستواها الوعظي . وأخذوا ينقلون عن الرومان وغيرهم الأساطير التي لا أصل لها .

والمجازات والكنايات . وفائدة هذا الأسلوب تأتي من حيث تقريب البعيد . ونجسيم المعنوي بالمحسوس . وبيان الغامض بالواضح . كما أن إيصال المعنى بصور بيانية متعددة هو البلاغة في الحقيقة . يقول ابن السعدي : " التمثيل ألطف ذريعة إلى تسخير الوهم للعقل واستتزاله من مقام الاستعصاء ، وألوى وسيلة إلى تفهيم الجاهل الغيبي . وقمع صورة الجامح الأبي . كيف لا ! وهو رفع الحجاب عن وجوه المعقولات . وإبرازها في معرض المحسوسات الجليلة . وإدعاء المنكر في سورة المعروف . وإظهار الوحشي في هيئة المؤلف "١ .

ويقول الجرجاني : " وأعلم أن مما اتفق عليه العقلاء أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه . ونقلت من صورتها الأصلية إلى صورته كساها أبهية . وكسبها منقبة . ورفع من أقدراها . وشب من نارها . وضاعف قواها في تحريك النفوس لها . ودعا القلوب إليها . واستثار لها من أفاصي الأفئدة صبابة وكلفا . وفسر الطباع على أن تعطىها محبة وشغفا . فإن كانت مدحا كان أبهى وأفخم وأنبى في النفوس ، وأعظم وأهز للعطف ، وأسرع للإلف ، وإن كانت افتخارا كان مسه أوجع ، وحده أحد . وأن كانت حجاجا كان برهانه أنور . وبيانه أبهر . وإن كانت افتخارا كان شلوه أبعث . وشرفه أجد . وإن كانت اعتذارا كان إلى القلوب أقرب . وإن كانت وعظا كان أشفى للصدر ودعى إلى الفكر . وأبلغ في التنبيه والزجر . وأجدر بأن يجلس الغيبية ويبصر بالغاية . ويبرئ العليل . ويشفي الغليل "٢ . وقد يحتوى التمثيل على قصة خيالية . وحينئذ يعرف بـ " القصة

١- تفسير أبو السعود ج١ ص٤٠

٢- أسرار البلاغة ص٩٢ ، ٩٣

التمثلية " وهذا النوع موغل في القدم . فقد استعمل الأنبياء هذا الأسلوب المجازي كثيرا ، ومن يقرأ للتوراه يجد فيها أمثالا عديدة ، وقد استعمل المسيح الأمثال في نشر دعوته إلى بنى إسرائيل ، والقرآن الكريم يحوى كثيرا من هذا النوع . وبذلك صنع التأثير النفسى الرائع وكان بذلك أسلوبا ناجحا في نشر الدعوة .

ج - الأسلوب المنطقى : وهو الأسلوب الذي يستعمل فيه الأقيسة المنطقية بعد أن يشكلها بالأسلوب الخطابى ، وذلك بأن يطوى بعض المقدمات ، ويضمها في ثنايا الخطبة ، أو يثبت دعواه بإبطال نقيضها . وهو ما يعرف بـ " قياس الخلف " أو يثبت الدعوى بإلحاقها في حكم كلى مقرر عند المستمعين . وهو ما يعرف بـ " التمثيل " .

وعلى الخطيب إذا لجأ للأسلوب المنطقى أن يصبغة باللون الخطابى بأن يجعله متماسكا أخذا بعضه بحجز بعض . ويجرده من شكله المنطقى الجاف الذى يمتلى بالقضايا ، والأقيسة حتى لا يبدو قضية رياضية تتجه إلى العقل وحده في إيجاز وقصر . وتركيز ، ولو سلكها الخطيب لا تدفع السامع إلى اللامبالاة والإهمال . وبخاصة العامة وهم لجمهور العريض في المستمعين .

إن هذه الأساليب وأمثالها هي وسيلة الخطيب لشرح موضوعه وبسطه أمام الجمهور الذى يخاطبه حتى يجليه على الوجه الصحيح فإن ظهر له معارض من الخصوم فإن عليه أن يهتم بالتوجيهات التى سنتحدث عنها في القسم الثانى .

القسم الثاني المناقشة والتحليل

للمناقشة تعنى الرد على معارضات الخصم الذي يضاد موضوع الخطبة وهذه المعارضات يعرفها الخطيب بدراسته لاتجاهات الأكراد والجماعات والأفكار السائدة فيهم . ولذلك يذبه الدكتور ' رسل ' الخطاب على هذا حتى يعدوا للمناقشة ، ويستعدوا لها ، ولذلك قال ' أمرا الخطيب .

١- سجل الحقائق التي جمعتها من المعارضين لتبقى حية أمامك ، وحتى لا تضيع منك بصورة كلية أو جزئية، لأن ثبوتها عند الخطيب يسهل الوقوف عليها ، وردها بعد ذلك .

٢- جادل فيها مع نفسك قبل مواجهة الناس ، ولا تكن كالألة الصماء التي تحفظ النص ، وهي لا تفهمه ، بل تأمل فيما جمعت، واقف على أوجه النقد وبحث عن الرد وأنت وحدك لتواجه به الجمهور بعد ذلك .

٣- اعرف الدليل الذي يعتمد عليه الخصم لتقف على وجه القوة والضعف فيه حين تناقشه ، وحين تواجهه تجد نفسك أيها الخطيب قد غزوت ميدانه وهدمت عرشه وبذلك تبطل دعواه ، وتسقط معارضاته .

٤- فقد الدليل المعارض واستحضر القضية كاملة قبل مواجهة الناس ، ورتب مناقشتك فأمامك دعوى الخصم ، ودليله ، ورده عليك ، وعليك أن ترد دعواه ، وتبطل أدلته ، وتسقط معارضته ومزاعمه . وبذلك تثبت القضية ، ويؤكد البيان ما يريد الخطيب .

ويجب أن يهتم الخطيب فعلا بالتقنيذ لأهميته يقول ابن عبد ربه : ' إن الجوابات هي أصعب الكلام كله مركبا ، وأعزه مطلبا . وأغمضه منصبا .

١- التأثير في الجماهير عن طريق الخطابة ص ٥

وأضيقه مسلكا . لأن صاحبه يعمل مناجاة الفكرة . واستعمال الفريضة . يروم في بديهته نقض ما أيرم القائل في رويته ^١ .

ومن صور المناقشة : ما يسمى بالاستدراج وهو يقوم على استدراج الخصم إلى الازعان والتسليم . وذلك كقول الله تعالى : ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِّنَ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ ۗ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ ۗ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٥﴾ ۗ ۝١ . فوجد أن الرجل جاء لقومه من جهة المناصحة ليكون أذعى إلى سكونهم إليه ، وناقضهم مناقشة عقلية هادئة ، وقدم نفسه لهم محايدا ، فسألهم عن سبب محاولتهم قتل موسى ، وعن الجريمة التي ارتكبوها ، وهل هي دعوته التوحيدية ، وكوله ربى الله ، مع أنه يقدم دعوته بأدلتها ... وعليهم أن يردوا دعوته ، أو يبطلوا أدلتها أن تمكنوا من ذلك ، وبين لهم بعد ذلك أن احتمال صدقه أو كذبه لا يضرهم ، وحينئذ فلا معنى لقتله ، وقدم لهم احتمال كذبه على احتمال صدقه ليقنوا بحياده ومنطقه ، وختم الآية بحقيقته عامة تشمل الجميع وهي أن الله تعالى لا يهدي الكاذب المعتدى .

يقول ابن الأثير : في الآية من خداع الخصم واستدراجه ما الإخفاء فيه وقد تضمنت من اللطائف الدقيقة الكثير ^٢ .

ومن صور المناقشة التصدى للخصم برد معارضته دفعة واحدة ، أو برد المقدمة وحدها ، أو برد الدليل ، أو برد النتيجة .
والأولى في هذه الصور أن يستعرض الخطيب فكرة الخصم . ويحللها .

١- العقد الفريد نقلا من أصول الخطابة ص ١٢٨ . والجوابات تعنى الرد على المعارضين ولو لمجرد التصور .

٢- سورة عالج آية ٢٨

٣- للمثل المسائر ص ١٩٠

ويوضحها . ثم يردّها بما أمكنه من دليل ، ولا مانع من رد فكرة الخصم بـرد
لنته ، أو بالإتيان بأدلة من عنده ، أو بالطريقتين معا .
ويجب أن يلاحظ أن مرحلة ذكر الأدلة يجب أن تحفل بالنصوص ذات
الأثر القوي عند المستمعين . وهذه النصوص تكون من الحقائق الإسلامية في
الخطب الدينية ، وتكون من القوالين في الخطب العسكرية والقضائية وهكذا .
لأن النصوص الموثقة أدعى إلى التصديق . وأسرع في الإقناع والاستمالة .
وهي برهان الصدق ودليل الحقيقة .

الجزء الخامس الخاتمة

لا جدال في أن هذا القسم هو أقصر أقسام الخطبة ، ولا يعنى قصر الخاتمة أنها لا فائدة فيها . بل لا بد أن تكون الخاتمة قوية التأثير . عميقة الدلالة على موضوع الخطبة . لأنها توجز الموضوع في كلمات قصيرة تنبئها في أذان المستمع ليحفظها . وبذلك يستمر حفظه للخطبة كلها . إن حسن الختام لا يقل أهمية عن براعة الاستهلال .

ولئن كانت المقدمة تعد السامع للتأثير . والبيان بعده للاكتفاء . والتقسيم بعده للتركيز . والإثبات يجعله يقتنع ويصدق . فإن الخاتمة تودع الموضوع كله في ذهن المستمع بحسنها ورواقها . ولقد دأب الخطباء أن يجعلوا الخاتمة إيجازاً لما سبق في الخطبة . وبعضهم يركزها في فكرة رئيسية .

ونحن نشجع التركيز في فكرة رئيسية مع تأييدها بسائر بحبيها ، لأن الخاتمة لا تحتمل النقاش والتقسيم ، ويجب أن تساق هذه الفكرة في صورة بليغة جميلة .

أنظر في خواتيم سور القرآن نجدها في غاية الحسن ، وغاية الدلالة على موضوع السور . مع تضمنها على ما يؤذن بانتهاء الكلام حتى لا يبقى انظار عند المستمع . ومن أحسن ما أذن بالختم خاتمة سورة إبراهيم ﴿ هَذَا بَلَّغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِمْ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّ مَا هُوَ إِلَهٌُ وَجِدٌّ وَلِيَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ ٥٢ . ومثلها خاتمة الأحقاف والحجر بقوله ﴿ وَأَعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴾ ٦٩ . وانظر إلى سورة الزلزلة كيف بدنت بأهوال القيامة

١- سورة إبراهيم آية ٥٢

٢- الحجر آية ٦٩

وختمت بقوله ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾ ﴿٨﴾

وعلى الخطيب أن يبدل وسعه في الإحاطة بالأجزاء التي تحويها الخطبة ليقدر على الأداء السليم . لأنه لو ضم إجابة التقسيم إلى فطرة مستعدة لكان خطيبها ناجحاً في رسالته ، وعليه كذلك أن يجعل الأقسام مترابطة متسلسلة . بحيث لا يشعر المستمع بانتقاله من قسم إلى قسم آخر بعده . لينجو بخطبته من التفكك والضعف . وحتى يملك عنصر التأثير في مستمعيه .

المبحث الثالث

أنواع الخطبة عند أرسطو

يعتبر أرسطو أول من اتجه إلى تمييز الخطبة وتقسيمها إلى أنواع متغايرة . وبالنظر في كتابه " الخطابة " وشرح ابن رشد له نلاحظ أنه اعتمد في التقسيم على المستمعين وعلى الزمن الذي حدثت فيه وقائع الخطبة . وعلى الخطيب نفسه . وذلك لأنه نظر فوجد المستمع إما مستمعا عاديا . أو من ذوى المراتب الرفيعة ، ووجد الزمن ماضيا . أو حاضرا . أو مستقبلا ، ووجد الخطيب إما أن يكون هو الحاكم . أو هو مدلل من الناس . أو مقتنع في موضوع ما . وقد أدى به نظره السابق إلى أن الخطبة أنواع ثلاثة :

النوع الأول

الخطبة المشورية

وهي الخطبة التي تشتمل على التوجيهات الأمرة والناهية . وفيها الإذن بفعل شئ . والنهي عن فعل شئ آخر .

ومن المعلوم أن الأمر والنهي يقتضيان تطبيقا لهما في المستقبل .

ولا يكونان إلا من صاحب رتبة ومنزلة في الناس .

وأما المستمع الذي يوجه الأمر والنهي إليه فقد يكون من العامة . أو من

الخاصة الذين هم في منزلة أقل من الخطيب المشورى .

وعلى ذلك

يكون هذا النوع متعلقا بالزمن للمستقبل .

والخطيب فيه من ذوى المراتب العالية .

والمستمع من العامة أو من الخاصة .

وهدف هذا النوع تحقيق النفع . وإبطال الضرر .

ويرى أرسطو أن هذا النوع لا ينبغي أن يكون إلا في الأمور الممكنة ، لأن الأمر القابل للتنفيذ يكون فيما يستطاع ، أما الأمر بالمستحيل فإنه لا يفيد ويقال من قدر قائله .

يقول أرسطو : " ليس في كل شئ تكون المشورة . لكنها تكون في الممكن الذي يستطاع أن يكون وأن لا يكون . فأما اللاتي من الاضطرار أن تكون أو لا يستطاع أن تكون فلا تحتاج لمشورة " .^١

وتنور الخطب المشورية حول التوجيه والإرشاد وبخاصة في الجوانب السياسية والعسكرية التي يلجأ إليها القادة والرؤساء لإخيار رعاباهم ، واتباعهم بما يريدون .

النوع الثاني

الخطبة المشاجرية

وهي الخطبة التي تتصل بالتنازع والتشاجر ، ذلك أن المتشاجرين يحاولون الشكاية إن تصوروا الحق معهم ، أو الاعتذار إن كان الحق عليهم . وعلى ذلك فموضوع هذا النوع هو الشكوى والاعتذار .

ومن المعلوم أن الشاكي أو المعتذر إنما يتوجه بشكايته واعتذاره إلى أصحاب المراتب العليا لكي يظهر حقه أو يتصل مما وقع .

وعلى ذلك فهذا النوع تتحقق وقائعه في الزمن الماضي ، ويكون الخطيب فيه من العامة .

والمستمع لهذا النوع لا بد أن يكون حاكماً يفضى في الشكاية بعد سماعها .

والخطب المشاجرية يكثر فيها الحوار ، والجدل لأن المتحدث فيها يعرض مشكلته أو مشكلة غيره ، وحينئذ يلجأ الخطيب إلى الأسلوب المليء

١- الخطبة ص ١٩ وقد بين ابن رشد في كتابه هذا نماذج لخطب مشورية وطريقة التحضير لها .

بالاستفهام ، والتأكيد .

وهذا النوع يعد من الخطب القضائية التي يلقيها المحامون أو أصحاب القضايا أمام القضاء .
وغاية هذا النوع تحقيق العدل . ورد الجور . وإعطاء كل ذي حق حقه .

النوع الثالث

الخطبة التثبيئية

وهي الخطبة التي تهدف إلى المدح ، أو الذم بوصف ما هو كائن . وإثبات موضوعها بالطرق الجمالية الممكنة ، وزمن هذا النوع هو الحاضر يقول ابن رشد : " وأما الأمور التثبيئية فإن أولى الأزمدة بها هو الزمن الحاضر . أعنى القريب من الآن . فإن الناس إنما يمدحون ويذمون بالأشياء الموجودة حين المدح . وحين الذم ، ويتحدثون عن الممدوح والمذموم الذي هو كائن موجود ، ويمكن أن يكون المدح والذم موجها إلى الماضي كما من يمدح رسول الله في صفاته ، أو يذم أعداءه لخلقهم " ١ .
والخطيب والمستمع في هذا النوع من الخاصة ، أو من العامة على سواء .

وهدف هذا النوع هو المدح أو الذم .

ويعرف هذا النوع بالخطب الاستدلالية ، أو البيانية .

ويعد بيان الأنواع الأرسطية للخطبة تلاحظ فيها ما يلي :

- ١- أن لزمنة الخطب متداخلة بمعنى أن يلجأ الخطيب المشوري إلى الزمن الماضي ليثبت مدعاه . ويرغب المستمع في قبول أوامره ونواهيه . وبهذا ندرك أن تحديد زمن الخطبة أمر غالب ، وربما ارتبط الزمن بالهدف المقصود .

٢- حين ننظر في الغايات المقصودة في كل نوع نرى التداخل فيما بينهما بمعنى أن يلجأ إلى إثبات أن هذا الأمر عدل ويمدحه ليأمر به . وأن ذلك جور يجب البعد عنه ، وهو بهذا يجمع خصائص الأنواع كلها ليحقق غاية خطبته ، ولذلك نرى أن نوع الخطبة يحدده هدفها فإن كان الهدف تحقيق أمر فهي المشورية ، وإن كان الهدف رفع ظلم ، أو تحقيق عدل فهي المشاجرية ، وإن كان الهدف إظهار حسن أو بيان فيح في التثبيته .

٣- لم يتناول التقسيم القديم نوعاً شائعاً ، مهما هو للخطب الدينية ، لأن الذين كان حبيساً بين رجاله يومذاك ، وكان معتمداً على الأساطير والخرافات ، ولم تظهر له خطب وخطباء ، أو تحدث حوله حوارات ومناقشات .

ومن الممكن الاستفادة بالتقسيم القديم في الخطب الدينية ، وذلك بالاستفادة من خصائصه ، ومنهجه بعد صبغها بالصيغة الدينية ، بقول ابن رشد : " إن استعمل واحد غاية صاحبه فليس من أجل قصد صاحبه . بل من أجل للغاية الخاصة به " ، ومعنى ذلك أن الهدف الأساسي للخطبة هو أساس التفسير ، وما عداه فهو من أجله ولخدمته .

المبحث الرابع

الأنواع الحديثة للخطبة

لم يرتض علماء العصر الحديث تقسيمات أرسطو للخطبة لعدم وضوحها، ولقصورها عن الإحاطة بما استبعد من أمور الحياة والناس . ولتداخل أنواعها في بعضها . ولذلك نوعوا الخطبة أنواعا جديدة تعتمد على موضوع الخطبة، وعلى تقدير وتوجيه الخطيب لها، وحددوا لكل نوع إسمه وخصائصه .

والأنواع عند المعاصرين هي :

- ١- الخطبة الوعظية : وهي الخطبة التي تتم في دور العبادة ، وتتعلق بالعتيدة والإيمان . والأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر ، والدعوة إلى الأخلاق .
- ٢- الخطبة السياسية : وهي الخطبة التي تكور حول الشؤون العامة للدولة وتشمل الخطب الانتخابية ، والبرلمانية ، والرئاسية .
- ٣- الخطبة القضائية : وهي الخطبة التي تلقى في دور المحاكم من النيابة ، أو من المحامين ، أو من المتقاضين .
- ٤- الخطبة العسكرية : وهي الخطب التي تلقى في الجنود ، ورجال الجيش .
- ٥- الخطبة المحفلية : وهي خطب التآبين ، والمدائح ، ومحافل الفرح والتهنئي .

وبلاحظ أننا أثرنا تسمية النوع الأول بالوعظ لأن الإسلام دين يشمل كل جوانب الحياة عسكرية . وقضائية ، وسياسية ... وغيرها .

والخطب في هذه الجوانب جميعا دينية بالضرورة ، ومن هنا تعد الخطبة للوعظية جزءا من الخطابة الدينية .

وكل نوع من هذه الأنواع يتمتع بمزايا خاصة تميزه عن غيره ، وسوف أبين خصائص كل نوع مع ذكر عوامل النهوض به ، وذلك على النحو التالي :

- أولا -**الخطابة الوعظية^١**

سنناول بإذن الله تعالى في دراسة الخطابة الوعظية التعريف بها ،
وتحديد موضوعها ، وبيان أهم خصائصها وذلك فيما يلي :

- ١ -**تعريف الخطابة الوعظية**

الخطابة الوعظية تشمل الخطب التي تلقى في دور العبادة ، والمناسبات
المختلفة ، ويقصد بها توضيح العقائد ، والتمكين للدين في القلوب ، ورد الشبه
التي توجه للدين بصورة عامة وأساسها في الإسلام خطبة الجمعة والعيدين ،
وهي للخطب الدينية ، والدعوية .
وقد وضعت الشريعة الإسلامية ملامحها بتحديد الأركان والشروط
والكيفية ... وغير ذلك .

- ٢ -**موضوع الخطابة الوعظية**

يدور موضوع هذا النوع حول تكاليف الدين . أمرا أو نهيا . إذ من
المعروف البدهي أن الأديان لا تنتشر ولا تزدهى إلا بالدعوة إليها ، ومن هنا
كان لكل دين أنصار وأتباع ، يتولون الدعوة إليه مع رسولهم ، أو بعده ، وقد

١- سوف ندرس هذا الموضوع بشئ من التلويح لأنه المفرد الأكبر من الكتاب كله

رأينا بنى إسرائيل وهم يواصلون دعوة موسى عليه السلام ، وهؤلاء هم حواريو المسيح عليه السلام يناصرونه بالتأييد والدعوة إلى دينه ، وعلماء المسلمين مكلفون بالدعوة إلى دينهم الإسلامى ما دام على الأرض إنسان .

يقول الإمام الغزالي فى كتابه ' الأحياء ' : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو القطب الأعظم فى الدين . وهو المهم الذى أبتعث الله النبيين أجمعين ، ولو طوى بساطه . وأعمل علمه وعلمه لتعطلت النبوة . واضمحلت الديانة . وعمت الفترة . وفشت الضلالة . وشاعت الجهالة ، واستشرى الفساد . واتسع الخرق ، وخربت البلاد ، وهلك العباد ، ولم يشعروا بالهلاك إلا فى يوم النداء .

ويقدر حاجة الإنسان إلى الدين تكون حاجته إلى هذا النوع من الخطابة الذى لا يمكن الاستغناء عنه أبدا ، وقد رأينا أهمية الخطابة للإسلام ومنزلتها مع سائر الوسائل والأساليب الدعوية فيما سبق .

- ٢ -

أهمية الخطابة الوعظية

تبدو أهمية الخطابة الوعظية من تتبعنا لتاريخ الإنسان نفسه ، حيث نشأهه بينى بالأهواء المنحرفة التى تبعده عن طريق الله خاصة ، وقد رأينا أصحاب النحل يبذلون المشقة والجهد من أجل الانحراف بالإتسمان ، ولو استعرضنا تاريخ البشر لوجدناه مؤسفا بحق ، حيث تزيد فترات انحرافه على فترات صحوه ، ويظهر أن أبالسة الإنس يتربصون بالإتسمان فإذا مات الرسول — أى رسول — دبت الخلاقات فى أمته ، ونشط الأعداء محاولين القضاء على ما تركه الرسول ، وقد رأينا كيف أن الفرس والروم خملطوا للقضاء على

الإسلام بعد وفاة الرسول ﷺ فأشعلوا فن الردة ، وأثاروا المنازرة والعلاسنة في الشام والعراق ضد المسلمين في الجزيرة ، ولولا حكمة وشجاعة أبي بكر رضي الله عنه في محاربة المرتدين وتوجيه الجيوش نحو العراق والشام لتم لهم ما أرادوا والله ولي المؤمنين .

وقد حاول أنصار الهوى أن يأخذوا من نصوص القرآن الكريم ما يدفع إلى التيسير من تجاج الوعظ والإرشاد ، واستدلوا في محاولتهم بقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسِكُمْ لَا تَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا أِهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَبَيِّنَاتٍ لَكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ . وذكروا أن الآية ترشد إلى ترك الإرشاد والوعظ لعدم جدواه ، وما على الإنسان إلا نفسه . وسوف لا يؤاخذ الله الإنسان إن ترك وعظ الآخرين وكان مستقيماً في ذاته .

ونحن نرد على أصحاب هذا الرأي بما رد به رسول الله ص على أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه حينما سأله عن هذه الآية قال : يا أبا ثعلبة . مر بالمعروف وأنه عن المنكر ، فإذا رأيت شحاً مطاعاً . وهوى متبعاً . ودنيا مؤثرة . وإعجاب كل ذي رأى برأيه . فعليك بنفسك . ودع عنك العوام ، إن من وراءكم فتناً كقطع الليل المظلم . للتمسك فيها أجر خمسين منكم . قال أبو ثعلبة : بل منهم يا رسول الله .

قال ﷺ : لا بل منكم لأنكم تجدون على الخير أعواناً ، ولا يجدون عليه أعواناً .

وقد اهتم الدين الإسلامي على الخصوص بتوجيه أتباعه إلى الأمر بالمعروف . والنهي عن المنكر بصورة مطلقة لأيدوم الخير في الأمة ، وينتشر بواسطتهم في العالم كله . وكلف الإسلام أتباعه أن يدوروا بالأمر بالمعروف اتجاهات ثلاثة :

١- سورة المائدة آية ١٠٥

٢- سنن الترمذي - كتاب التفسير - باب ومن سورة المائدة ج ٥ ص ٢٥٧

الأول : يكون الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بين أفراد الأمة الإسلامية جميعاً علماء وجهلاء . حيث أُلزم الدين كل مسلم بتوجيه أخيه إلى ما ينفعه . بقول ﷺ : الدين النصيحة

قيل : لمن يا رسول الله

وقال ﷺ : لله ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم^١ .

وهذه هي الدعوة الضرورية التي يسميها الإعلاميون الاتصال الجمعي الذي يتميز بمعرفة كل طرف الطرف الآخر ، وتتم بالمواجهة المباشرة ، ومعرفة الفعل ورد الفعل ، وإدراك الأثر والفائدة .

الثاني : دعوة الجماعة الإسلامية لغيرها من المسلمين وغير المسلمين ذلك لأن الحياة واسعة الاختصاص والأعمال . وقد شرع الله أن تخصص جماعة في الدعوة إلى الله ، وأوجب على هذه الجماعة أن تدعو غيرها من المسلمين وغيرهم . فقال تعالى ﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴾^٢ .^٣ وواجب على الجماعة التي تفهيت أن تقوم بالدعوة والأمة من ورائها تدعها ، وتعينها .

الثالث : دعوة الأمم غير الإسلامية إلى الدخول في الإسلام . فقال يقول الله تعالى ﴿ وَلَتَكُنْ مِنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْعُرْوَةِ الْوَقُوفِ وَيُبْغِضُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ ۖ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾^٤ .^٥ ، لأن العالم كله هو مجال الدعوة ، ويجب أن يبلغه دين الله على وجه صحيح ، والفرق بين الوجه الثاني والوجه الثالث هو أن الوجه الثاني يقوم به الأفراد ، والوجه الثالث تقوم به الأمة .

١- فيض القدير ج٣ ص٥٥٥

٢- سورة التوبة آية ١٢٢

٣- سورة آل عمران آية ١٠٤

وعلى الجملة

فإن الأمة الإسلامية مكلفة بالمساهمة في الدعوة إلى الخير ونشر دين الله تعالى . وحث الناس على تطبيق تعاليمه يقول ﷺ : " من رأى منكم منكراً فليغيره بيده . فإن لم يستطع فبلسانه . فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان "١ .

وغير خاف بعد ذلك أن نعرف أن مصادر الوعظ هو القرآن الكريم . والسنة النبوية . وخلاصة أفكار المخلصين من العلماء المسلمين الذين لا يخرجون عن أصول الكتاب والسنة ، ويعتبر النبي ﷺ هو إمام الوعاظ في خطبهم وإرشادهم كما أنه الإمام في سائر الشؤون .

== ٤ ==

خصائص الخطابة الوعظية

تتميز الخطابة الوعظية بالأمور الآتية :

١- الاستهلال بحمد الله : والاستفتاح بتحميده وإلا سميت الخطبة (بترء) لسقوط بدايتها ، ويجب أن تتوشح بآيات من القرآن الكريم ، وتترنن بالصلاة على النبي ﷺ ، وإلا سميت "شوهاة" ، وفي خطب الجمعة تترنن الحمد له بالشهادة وإلا كانت "جنماء"٢ . وقد تتضمن بعض الآيات القرآنية الأمانة بالتقوى ، وهي كثيرة يقول ابن قتيبة : أنه تتبع خطب الرسول فوجد أوائل أكثرها هو " الحمد لله نحمده ونستعينه ونؤمن به ونتوكل عليه . ونستغفره ونتوب إليه . ونعوذ بالله من شرور أنفسنا . ومن سيئات

١- فيض القدير ج٦ ص١٣٠

٢- عيون الأخبار ج٢ ص٢٣١

أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له . ومن يضل الله فلا هادي له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ^١ .

إن خطباء العصر الأول كانوا يعتبرون الحمد له ولتشهد والقرآن فوق أنها أجزاء للخطبة ، كانوا يعتبرون ذلك إستعانه على النجاح لدرجة أنهم كانوا يختمون خطبهم بنحو ما يستهلونها به كقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في نهاية خطبة له : " فاحمدوا عباد الله نعمة ، واشكروه على آلامه ، جعلنا الله وإياكم من الشاكرين " ، وكقول أبي بكر رضي الله عنه " اللهم اجعل خير زماني آخره ، وخير عملي خواتمه ، وخير أيامي يوم لقاك " .

يروى ابن عبد البر أن القوم كانوا إذا سمعوا هذا القول من أبي بكر عرفوا أنه قد فرغ من خطبته .

- ٢- مراعاة مقتضى الحال : وذلك بأن تكون الخطبة قصيرة موجزة إن كان موضوعها سهل التناول . خاليا من المعارضة والتنازع . أما إن كان الموضوع شائكا . يتعلق بأمر فيه الاختلاف . فيجب أن يكون طويلا ليشمل سائر جوانب الموضوع . ولقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول لأصحابه : " أطيلوا الصلاة وإقتصروا الخطبة " ^٢ ويوصى أبو بكر رضي الله عنه يزيد بن أبي سفيان حين وجهه لفتح الشام فيقول له : " فإذا وعظت جندك فأوجز فإن كثير الكلام ينسى بعضه بعضا " ^٣ . وحينما وقع الاختلاف المذهبي والسياسي بين المسلمين طالبت الخطب . واتسعت لتشمل البيان والتفنيد والدفاع .
- ٣- الارتباط بالقرآن الكريم : وذلك أن القرآن الكريم هو دستور الدعوة . وقد حفظها للناس . وبين في ثناياها وسائل التأثير

١- لمرجع السابق ج٢ ص٢٣٢

٢- صحيح مسلم . كتاب الجمعة

٣- الكامل لابن الأثير ج٢ ص١٩٦

والإقناع . والمطلع على علوم القرآن الكريم يعرف الدور التأثيرى للقصص القرآنى والقسم فى القرآن ، وغير ذلك . فى دقة . وهدف .

يقول الجاحظ : ' إن خطباء العصر الأول كانوا يستحسنون أن يكون فى الخطب يوم الحفل ، وفى الكلاء يوم الجمع . أى من القرآن . فإن ذلك مما يورث الكلام البهاء والوقار والرفقة وحسن الموقع '١٠ .

وبالنظر فى شأن الخطباء المجيدين نجد أن السبب هو ارتباطهم بالقرآن الكريم . لدرجة أن الأعراب الجفاة الذين لم يتفهموا الدين ولم يحفظوا كتابه بعدوا عن الإجابة فى الخطبة . ولم يقدموا فى هذا المجال شيئاً يذكر .

٤- الإعداد الدقيق : تحتاج الخطبة الوعظية إلى كثير من الإعداد حتى تأتى مناسبة لمقامها،مطابقة لأدلتها من القرآن الكريم . وهى أكثر أنواع الخطب حاجة إلى العناية والتجهيز .

وأغلب الذين يفشلون فى مواضعهم لا يعدون لها . ويتخلون أن الموعدة كلمات يحفظونها . ويلقونها فى كل مناسبة مهما كان اختلافها عن موضوعها . ولذلك نجد هؤلاء عديمى الفائدة ، قليلى الأثر .

إن للنبي ﷺ كان يختار ألفاظ مواضعه بدقة متناهية . وكان يوجه أصحابه إلى التدقيق فى اختيار الألفاظ يقول الجاحظ : ' استعمل النبي ﷺ المبسوط فى موضع البسط . والمقصود فى موضع القصر ، وهجا الغريب الوحشى ، ورغب عن الهجين السوقي '١١ . وكان أصحاب النبي ﷺ وأتباعه يعدون خطبهم قبل إلقائها توخياً

١- البيان والتبيين ج١ ص١١٨

٢- البيان والتبيين ج٢ ص١٧

لإجادتها وخشية العجز عنها .

يروى الطبري أن عمر قال يوم السقيفة : ' أتيناكم وقد كنت زورت (أعدت) كلاما أردت أن أقوم به فيهم ' . ويقول عبد الله بن وهيب الراسبي لأتباعه حينما طلبوا منه أن يخطب فيهم قال : ' ما أنا والرأى للفطير والكلام القسضب ' ذلك لأن الرأى الذى يوجد فى لحظة القول فقط ينتج الكلام غير المترابط . وهذا لا يرضاه الراسبي لنفسه .

لقد كان للخطباء يخافون اعتلاء المنابر فى الجمعة والعيدن والاستسقاء وهذا دفعهم إلى إعداد الخطب . وتزويرها .

٥- الارتباط بالعقل والوجدان : الموعظة فى حقيقتها توجيهات تغيد القرب النفسى بين الخطيب ومستمعيه بما تشمل من إشارة الانفعال . وإيقاظ الشعور . مع وضوح أن الخطيب يقصد النصح والإرشاد ، وما دامت الموعظة هكذا فلا بد لها من الارتباط بالعقل والوجدان وهذا يحتاج إلى الأمور الآتية :

أ- إيمان الخطيب بما يقوله . وحرصه على إقناع المخاطبين برأيه واستمالتهم إليه . ولا يمكنه ذلك إلا إذا أظهر نصائحه القولية فى تطبيقاته العملية ، لأن الناس أكثر إلغا بالأعمال ، وأكثر تنبعا لها ولعل هذه النقطة أخطر ما يحتاج إليه الخطيب المعاصر ، حيث يوجه النقد المستمر إلى من اتخذوا الوعظ وظيفة لهم ، وقصروا رسالتهم على توجيه الأكوال دون أن يطبقوا شيئا ، فأساءوا إلى الوعظ أكثر من أن يفيدوه .

ب- الاجتاء إلى أساليب التوكيد المختلفة . ومن أمثال ذلك ما نجده فى أقوال النبى ﷺ يوم حجة الوداع حيث كرر ' ألا هل

بلغت . اللهم فاشهد * ، وما تجده في قول أبي بكر رضي الله عنه
حين توليه الخلافة . * ألا إن القوى فيكم ضعيف حتى أخذ
الحق منه . والضعيف فيكم قوى حتى أخذ الحق له * .
ومن أمثاله أيضا ما تجده في قول علي رضي الله عنه : * أي دار بعد
داركم تتمتعون . ومع أي إمام بعدى تقاتلون . ما بالكم ؟ ما
دواؤكم ؟ . ما طبيعكم ؟ ألقوم رجال مثلكم . أقوال بغير علم
وغفلة من غير ورع . وطمع في غير حق * .

ج- الاعتناء بالجمال اللفظي لأن ذلك أدعى للانتباه واليقظة .

٦- الدعوة إلى الخير المطلق : ترتبط الخطب الوعظية بالأمر
بالمعروف والنهي عن المنكر دائما . ولذلك فهي خيرة دائما ،
ومفيدة للنشر أجمعين ، وهي تأتي غنية بأفكارها . مشتملة على
عناصر الخطبة ومحتوياتها على النحو السابق ذكره .



ويلاحظ أن الخصائص المذكورة للخطبة الوعظية لا تبعدها عن
محتويات الخطبة عموما . لأن الخاصية الأولى والثانية تتعلق بالشكل العام
للخطبة حيث تحدد الموضوع بالافتتاح . وتجعله مناسبا للمستمعين ، والخاصية
الثالثة تتعلق بالدليل وطريقة اختياره وضرورة أن يكون مرتبطا بمصدر حق
مؤثر ، والخاصية الرابعة والخامسة تتعلق بترتيب الخطبة . ويتسلسل أفكارها .
واشتمالها على البيان بأنواعه .

ويلاحظ أيضا أن هذا النوع من الخطب يوجه إلى المسلمين توثيقا
للإيمان ، وتعلينا للدين . ويوجه إلى غير المسلمين دعوة لهم إلى الإسلام .
ودفاعا ضد شبهاتهم .

١- البداية والنهاية ج٦ ص٣٣٩

٢- البداية والنهاية ج٦ ص٣٤٠

ويلاحظ كذلك أن المواعظ الإسلامية تغاير سواها بدقة أفكارها وبشمولها لكافة الموضوعات . لأن المواعظ غيرها مجموعة من الأذكار والصلوات المحفوظة التي تكرر بين الحين والحين تبعاً للموضوع التي ألفت فيه كموضوع التعميد . والزواج مثلاً . وفي الغالب نجدتها تنول إلى أفكار واحدة لا تتغير مهما تغير الزمان والمكان .

= ٥ =

حالة الخطابة الوعظية اليوم

نلاحظ أن الخطابة الوعظية اليوم في أغلبها تحتاج إلى عناية أكبر نظراً لعجزها عن القيام بدورها .

ويمكننا أن نرجع سبب هذا العجز إلى واحد من الأسباب الآتية :

أ - عدم التزام الخطباء بالأصول العلمية للخطبة حيث نجدهم يجعلون للخطبة الواحدة موضوعات شتى تدور مع الفضائل والذاتل ، داعية ومنفرة ، وهذا الوضع في نظرنا هو الإفلاس العلمي للخطباء مما يجعلهم يعجزون عن الالتزام بموضوع واحد . ولا يقدرّون على العمق العلمي في هذا الموضوع . ومن هنا نجدهم يهربون إلى تشتيت الخطبة حتى جعلوها كشكولاً جامعاً مفككاً بلا تأثير في ناحية ما . ولا يمكن للخطبة أن تؤثر وهي هكذا .

إن للخطبة موضوع واحد له عناصره . وليست بحثاً له موضوعاته ويجب أن يفرق الخطيب بين الخطبة والبحث . لأن بعض الخطباء يجمع الموضوعات . ويتخيلها عناصر لأدنى ملائمة رغم بعد الترابط بينها . ووضوح استقلال كل عنصر عن غيره .

وهناك بعض الخطباء الممتازين ذوي التأثير الرائع الذين يلتزمون

بالموضوع الواحد ويخدمونه بعلمهم وقراءاتهم . وهؤلاء نقدمهم دليلاً نعرف به أثر الالتزام بموضوع واحد في الفائدة ، وأثر تعدد الموضوع في عدم جدوى الوعظ ، وفي نفس الوقت ننادي بضرورة الالتزام بالموضوع للواحد المناسب للمستمعين .

ب — ومع تعدد الموضوع في الخطبة الواحدة فإن الخطيب لعجزه يعود ويكرر المعاني الواحدة مع كل موضوع بعد استبدال لفظ بمرانسه وبذلك يضم إلى عدم الفصاحة العي والقصور ، وهكذا يستمر الخطيب في الدوران حول نفسه بعيداً على التأثير والاستمالة .

ج — التزام بعض الخطباء للخطب المكتوبة من فترة طويلة ، والتي ألقت على عدد أيام الجمع وتثور مع السنة كلها . ورغم أنها ألقت لعصرها فقط ، فإننا نشاهد العي من خطيب اليوم وهو يتمسك بها ، أنه يتناول حوادث ولى زمانها ، أو ملوكا دالت دولهم ، أو وقائع لا يسمع بها إلا القارئ للتاريخ ، وهذا يبعث على السخرية ، وهناك من الخطباء من يحفظ بعض الخطب ويستمر في تكرارها واعادتها . إن تكرار هذا النوع جعل المستمعين يحفظون هذه الخطب ، فإذا ما بدأ الخطيب موعظته سبقه الناس إلى النطق بما سيقول .

وكم سمعنا عن أعاجيب لا تكاد تصدق لولا أن الإنسان شاهد هذه الأعاجيب بنفسه .

إن الخطبة يجب أن تلامس مشاكل الناس وتحلها . وتقدم لها العلاج من الدين ، وبذلك تتمكن من التأثير والإقناع .

د — عدم مراعاة الخطبة للمستمعين . وهذا يحدث أحيانا عند محاولة فرض خطبة واحدة على سائر الأقاليم . أو عدم ملاحظة الخطيب لأوضاع مستمعيه .

ه — عدم التزام الواعظ لما يعظ به الناس . فيخالف قوله عمله . ومن هنا نجد الناس الذين يسمعون الموعظة لا يتأثرون بها . يقول

مالك بن دينار : " إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زالت موعظته من القلوب "

ويقول حكيم : " إن الوعظ زكاة نصابه الاعتناء فمن لا نصاب له كيف يمكنه أداة الزكاة " .

وهذه الأسباب أدت إلى ندرة فائدة الوعظ . وقلة تأثيره في الناس ووضعته في صورة سيئة باهتة ممسوخة .

ولما كان هذا الحال ضاراً بالأمة والأفراد . فإذا الواجب المحتم أن يقوم المهتمون بالدعوة بإصلاح حال الوعظ ليتبوأ مكانته الطبيعية بين الناس وبذلك ينجو الجميع من عقوبة التقصير ، ويقيدون الإنسانية أما وأفرادا .

= ٦ =

طريقة النهوض بالوعظ

من الواجب النهوض بالخطابة الوعظية لتقوم بدورها في المحافظة على الدين ، وتفهيم الناس ، وصيانة الحق من اتباع الباطل وأنصار الشيطان . وطريقة النهوض بالوعظ بمختلف صورته في تصوري تأتي بالأمر التالية :

= أولاً =

ضرورة إخلاص الواعظ

إخلاص الخطيب الواعظ لدعوته عملية أساسية للنهوض بالدعوة . وهذا الإخلاص لا يتأتى إلا بتطابق القول مع العمل (ولسوف نرى أهمية هذه الصفة حين نتحدث عن الخطيب) .

يقول الشاطبي : ' إن المفتى إذا أمر مثلا بالصمت عمالا يعنى فإن كان صامتا عما لا يعنى ففتواه صادقة . وإن كان من الخائضين فيما لا يعنى فهي غير صادقة ، وإن حض ذلك على الزهد فى الدنيا وهو زاهد فيها صدقت فتواه . وإن كان راغبا فى الدنيا فهي كاذبة . وعلى هذا الترتيب سائر أحكام الشريعة فى الأوامر ، ومثلها فى النواهي لأن علامة صدق القول مطابقة العمل ، بل هو الصدق فى الحقيقة عند العطاء . وحينما نهى النبى ﷺ عن الربا ووضع الدماء لم يكنف بالقول وإنما قرن نهيه بالفعل والتطبيق على نفسه وأهل بيته فقال : ' وأول ربا أضعه ربا عمى العباس . وأول دم أضعه دمنا دم ربيعه بن الحرث بن عبد المطلب '١ .

إن الواجب على الواعظ أن يتعظ ثم يعظ . ويبصر ثم يبصر ، ويهتدى ثم يهتدى ، ولا يكون نفرا يفيد ولا يستفيد ، ومسنا يستحد ولا يقطع . وسراجا يضىء للناس ويحرق نفسه ... إته لو أخلص لا استفاد وأفاد .

وحينما يتحقق هذا الإخلاص يتحول الواعظ إلى شعاع ونور ، يرتبط بجمهوره بكل قوة لأن الأخلص يربط القلوب ببعضها ، ويؤلف بين الأرواح . ويجعل كل فرد يحب لأخيه ما يحبه لنفسه ... وحينئذ تصل كلمات الواعظ إلى القلوب وتلتصق بها .

- ثانيا -

الإحاطة التامة بالموعظة

الإحاطة بنوعية الموعظة نقطة هامة يحتاج إليها الواعظ لأنها تمكنه من شمول النظرة فى الموضوع . وعمق الاستدلال والبيان .
 إن الموعظ الدينية تدور فى الموضوعات التالية :
 ١ - الدعوة إلى الإسلام بشرح حقائقه، وإظهار جوانبه العقائدية، والتشريعية

١- الموفقات ج٤ ص ٢٥٢ ، ٢٥٥

والأخلاقية .

٢- الدفاع عن الإسلام ضد معارضة الذين يثيرون الشبه ، ويكررون الأراجيف .

٣- تثبيت الإيمان وتقويته بالأدلة والبراهين وبخاصة بتلك الأحداث المثيرة التي تدعو إلى ضرورة تقوية الإيمان والرضى بالقضاء والقدر .

٤- الإصلاح العام للمجتمع في كل المجالات الاجتماعية ، والاقتصادية ، والسياسية والصحية ... وهكذا .

ويجب على الخطيب أن يستعد لإحاطة معارفه بكل موضوع . لأن الموضوع الأول يحتاج إلى معرفة شاملة وتامة بالإسلام .

والموضوع الثاني : يحتاج إلى الإحاطة بالأراجيف التي يروجها الأعداء عن الإسلام ، وتحتاج المواضيع الباقية إلى إلمام السواعظ بطرق الإثارة ، والاستمالة وقصص القرآن الكريم . وسيرة النبي ﷺ ، بالإضافة إلى معرفة تامة بنفسية الموعوظين وطريقة التأثير فيهم ، ومعرفة عاداتهم وطبائعهم ومعرفة المشاكل التي يعيشونها . لأن هذا كله يمكن السواعظ من تحديد موضوعه ، والإحاطة بجوانبه المختلفة ، وطريقة الاستدلال عليه بالمناسب وبيانه البيان المطلوب.

وهذه المعارف ضرورية لا بد منها ، وهذا بعض تفصيل لها .

- ثالثا -

المعرفة التامة بالدعوة بالإسلام

معرفة حقيقة الدعوة ضرورة للخطيب ، لأنها المنطلق الذي منه يتحرك وبه يدعو ويوضحه يتجمع الناس ، ويؤمنون ، ويصدقون بكل ما يوجه لهم ، ولا بد أن تكون الإحاطة شاملة للدعوة لكي يكون عالما بما يعلمه لغيره . لأن

فانقد الشيء لا يعطيه . وشمول المعرفة للفكرة محل النقاش تدفع المستمع إلى الثقة في قوله . وسرعة تصديقه فيما يطلبه . وهذه المعرفة ليست شائعة الطريق فإنها ميثوثة في القرآن الكريم الذي ضمن الله حفظه وتركه في الناس فائدة للعالمين . وأمانة سوف يحاسبون على نقصيرهم فيها .

وعلى الخطيب أن يحفظ القرآن الكريم وسيفهمه بسبب حفظه . لأن كثيرا من الآيات يفسر بعضها بعضا . وبعضها الآخر الباقي يفهم بطريق السنة وأقوال الصحابة . واجتهاد العلماء .

وتعتبر المعرفة للنامة بالكتاب الكريم هي الدعامة الأساسية لمعرفة الخطيب لأنها تعرف كثيرا مما يحتاج إليه . وفيها دعوته بعقيدتها ، وشريعته وأخلاقها وفيها الوسائل التي يخاطب بها الناس . وفيها سيعرف دوره ومصيره ودراسة القصة والقسم وغيرها يعلم نهج مخاطبة الناس وترغيبهم وتشويقهم للدعوة .

ومع ذلك فإنه من خلال الوسائل القرآنية سيعرف كثيرا عن طبائع الناس وغرائزهم وعاداتهم . ويلحظ كيف راعت ناحية التأثير في الجميع ، وسيعرف مقاصد الدعوة وأهدافها الرامية إلى إسعاد الناس في الدنيا والآخرة ، والنبى ﷺ كان يختبر الدعاة عن مدى تمكنهم وتفقههم وتقدمهم وإحاطتهم بالكتاب أساس الدعوة . يروى ابن عبد البر بسنده عن شعبه قال : " حدثني أبو عون عن الحرث عن عمرو عن أنس من أصحاب معاذ أنه قال : " لما بعثني رسول الله ﷺ إلى اليمن قال بكيف تقضى إذا عرض لك قضاء .

قال : " اقضى بكتاب الله .

قال ﷺ : فإن لم يكن في كتاب الله ؟

قال : معاذ : اقضى بما في سنة رسول الله ﷺ .

قال ﷺ : فإن لم تجد في سنة رسول الله ؟

قال معاذ : أجتهد رأيي ولا آلو :

فضرب رسول الله صلى الله عليه وآله وقال لى : الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله^١ .

فإجابة معاذ لرسول الله ﷺ تشير إلى شمول معرفته بالقرآن الكريم لأنه يبحث فيه كله عند القضاء فإن لم يجد ينتقل إلى السنة . وأيضاً فإن المعرفة الشاملة للقرآن تمكن للداعية من هداية الناس ، والأخذ بيدهم حين الاختلاف لتمتعه ببصيرة نافذة ، وموهبه ربانية تجعله أعلم من غيره يقول النبى ﷺ :
 "أعلم الناس أبصرهم بالحق إذا اختلف الناس"^٢ .

وهذه البصيرة فى القرآن تحتاج إلى مجموعة من العلوم تمكن من فهم المراد فإن الصحابة رضوان الله عليهم وهم على ما عليه من فصاحة كانوا يعلمون ظواهر القرآن . أما دقائقه الباطنة فكان يظهر لهم بعد البحث والنظر مع سؤالهم النبى ﷺ فى الغالب الأكثر . كمسألهما لما نزل قوله تعالى ﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَتَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَٰئِكَ لَهُمُ ءَامَنٌ وَهُمْ مُّتَعَدُونَ ﴾^٣ . حيث قال النبى ﷺ : "أينا لم يظلم نفسه ؟" ففسره النبى ﷺ لهم بالشرك بدليل قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ لَقْمَنُ لِبَنِيهِ ۖ وَهُوَ يَعْلَهُ ۗ يَا بَنِيَّ لَا تَشْرِكُوا بِإِلَٰهِى ۚ إِنَّ الشِّرْكَ لَكُلُّهُ عَظِيمٌ ﴾^٤ . ومسأله عائشة عن الحساب اليسير فقال لها هو العرض . ونحن محتاجون إلى ما كانوا يحتاجون إليه ، وزيادة على ذلك ما لم يحتاجوا إليه من أحكام الظواهر لقصورنا عن مدارك أحكام اللغة وأسرارها . وقد ذكر السيوطى خمسة عشر علماً من العلوم الضرورية لفهم كتاب الله تعالى لا بد منها . وهى علم اللغة ليعرف بها شرح المفردات والألفاظ وبيان معانيها مفردة ومركبة .

١- جامع بيان العلم - ج ٢ - ص ٦٩

٢- جامع بيان العلم - ج ٢ - ص ٥٣

٣- سورة الأنعام آية ٨٢

٤- سورة لقمان آية ١٣

والثاني علم النحو لأن المعنى يتغير ويختلف باختلاف الإعراب ،
ومعرفة العمدة والفضلة ، وتمييز المرفوع من المنصوب والمجرور والمجزوم
لما لذلك من أثر في تغيير المعنى .

والثالث علم التصريف لأن به تعرف الصيغ والأبنية وتظهر أنواع
الاشتقاق والإحاطة بمعناها من أصلها .

والرابع علم الاشتقاق لأن الاسم إذا كان اشتقاقه من مادتين تعدد معناه
تبعاً لأصوله .

والسادس والسابع علوم المعاني والبيان والبدیع لأنه يعرف بالمعاني
خواص التركيب من جهة أفادتها المعنى وبالبيان تعرف خواصها من جهة
اختلافها بحسب وضوح الدلالة وخطائها وبالبدیع يعرف وجوه تحسين الكلام .

والثامن علم القراءات وتوجيهاته في توضيح المعنى .

والتاسع علم أصول الدين ليعرف ما في القرآن من الآية الدالة بظواهرها
على ما يجب لله تعالى ، وما يستحيل ، وما يجوز عليه سبحانه وتعالى .

والعاشر علم أصول الفقه إذ به يعرف وجه الاستدلال على الأحكام
والاستنباط .

والحادي عشر أسباب النزول والقصص .

والثاني عشر النسخ والمنسوخ .

والثالث عشر الفقه .

والرابع عشر الأحاديث المبينة للقرآن الكريم .

والخامس عشر علم الموهبة وهو علم يورثه الله من عمل بما علم^١ .

ومن هذه العلوم اللازمة المذكورة نلمح أن الخطبة كفن تحتاج إلى
التمكن من القرآن الكريم ليكون خير ممثل للدعوة ، وخير دارس لحياة سيدنا
رسول الله ﷺ .

- رابعا - المعرفة بالمدعوين

معرفة من توجه إليهم الدعوة ضرورة للداعية ، لأنها تمكن الخطيب من التأثير والإقناع والوصول إلى قلوب الناس ونفوسهم . وذلك يحتاج إلى المعرفة الشاملة التي تجعله يصنع التناسب بين عرض الدعوة والمدعوين سواء كانوا في القرية ، أو في المدينة ، أو في أى مكان .

وهذه المعرفة تحتاج إلى دراسة العلوم التالية :

- علم التاريخ : لكى يصل إلى أصول عقائد الناس وأخلاقهم ليعالجهم علاجاً جذرياً . وأيضاً فإن دراسة سير السابقين يعطى فهماً لطبائع البشر ، ولهذا كثر القصص القرآنى حاكياً أحوال السابقين ، بل إن هذا القصص يعتبر وسيلة مؤثرة فى نفوس مستمعيه لأنه يؤثر فى ثلثاه ويخاطب العقل الوجدان . ومن هنا كانت دراسة التاريخ . خاصة تاريخ الأديان والنحل هامة الدعاة .

- علم الجغرافيا : وذلك لكى يفهم الخطيب طبيعة البيئة وأعمال السكان لأهميتهما فى تكوين الدافع المزاجى والفكرى للناس .

- علم النفس الاجتماعى : لكى يعرف الخطيب هوى النفس وميولها واتجاهاتها ومدى تأثيرها وتأثيرها فى المجتمع الذى يعيش فيه والمقدار الذى يتغير من السلوك نتيجة هذا التأثير . وهذا العلم هام لأنه يمكن الداعية من توجيه خطباته إلى النفس بما يثيرها ويناسبها .

- خامسا - المعرفة بلغة المدعوين

إن من اللبىان المطلوب أن يخاطب الواعظ القوم بلغتهم لأنهم فى هذه الحالة يكونون أقر على السماع . وأقوى على الفهم . وقد بعث الله كل نبي إلى أمته بلغتها وقد كان النبي ﷺ يخاطب العرب كل بلهجته .

فالدعوة الإسلامية عامة ودائمة . ومحال أن تنزل بكل لغات العالم الموجودة ، أو التي ستوجد ، ومن هنا مكن الله للعرب من لغات الأمم حتى استطاعوا الوصول إلى غيرهم من الناس ... ولذا أصبح واجبا على الدعاة بعد النبي ﷺ مواصلة الدراسة للغات العالم . لكي يملكوا القدرة على مخاطبة أى قوم بلغتهم ويستطيعوا أن يترجموا المبادئ والأسس الإسلامية بينه ووضحة . هذا وقد ثبت أن النبي ﷺ أمر زيد بن ثابت بإجادة السريانية ؟ وقال له ﷺ : يا زيد أتحسن السريانية إنها تأتيني كتب بها .

قلت : لا

قال ﷺ : تعلمها

يقول زيد : فتعلمتها في سبعة عسر يوما

إن الخطيب إذا تمتع بهذه الجوانب سهل عليه اختيار الموضوع . وسهل عليه الإعداد له . وسهل عليه الالتزام به . وبذلك يبعد عن التشتت . ويستمكن من الاستدلال عليه بما يثير ويؤثر .

= سادسا =

الالتزام بالأصول العلمية

بعد إخلاص الخطيب لموعظته وإحاطته بموضوعه والتزامه بأدلته فإن عليه أن يلتزم بأصول الخطبة الوعظية . فإن كانت موعظته فى الدعوة إلى الإسلام فإن عليه أن يتخير من مبادئ الإسلام ما يكون أحب لقلوب المستمعين . وأن يعتصم بالمنطق والبرهان ، وإذا كانت الموعظة فى تعاليم العامة فإن عليه أن يبتعد عن الشروح الفلسفية وعن مواضع الخلاف . وأن يستدل كثيرا بالقرآن الكريم . والسنة النبوية . وإن كانت الموعظة فى تثبيت الإيمان فإن عليه أن يبين فضائل الإسلام

١- الفتح الربانى - كتاب العلم . باب فضل العلم والعلماء ج١ ص ١٤٥

ويتخير من الآيات والأحاديث ما يؤيد الإيمان ويشرحه .
 وإن كانت الموعدة في الإصلاح العام للمجتمع فإن عليه أن يتخير عينا
 واحدا ويجعله موضوع خطبته ويجمع حوله الأدلة المفيدة .
 ومع تخير المناسب لكل موضوع فإن عليه أن يلاحظ محتويات الخطبة
 وأقسامها ليوفى كل قسم حقه .

- سابعاً -

ربط الوعظ بالواقع

نريد من الواعظ أن يهتم بهذا الأمر ويربط مواعظه بمستمعيه . ويتخير
 أهم حاجات الناس ويبين رأى الدين فيها . وعلاجه لها . لأنه لو لم يحقق هذا
 الربط لوجب عليه أن يجيبنا على سؤال ضرورى سوف يسمعه .

ما فائدة الدين إذا لم يعالج مشاكل الحياة ؟

إن الإسلام يدعو إلى التمتع بالحياة . والأخذ من طيبات الرزق ،
 والانتفاع بالدنيا . وتعمير الكون بالعمل والإنتاج . والتخصص التى تثم الدنيا
 يراد بها التحذير من التكالب عليها مع عدم القيام بالواجب . والخطيب الناجح
 هو الذى يفهم هذا ويدعو الناس إلى الخير بالانتفاع من كل هذا .

لا نريد من الخطيب أن ينعزل عن جمهوره وهو يرتبط بخطب ألفها
 علماء قداماء لعصرهم الذى انقضى ، لأن هذا يوقعه فى الانفصال عن الناس .
 والاستهانة بكل مل يعظ به .

ولا نريد من الخطيب أن يعتمد على خطبة مكتوبة ما دام كاتبها لم
 يعيش الناس ويدرس أحوالهم ومشاكلهم .

ولا نريد من الخطيب أن يركز على السلبيات الاجتماعية فلا يقول إلا
 نقداً ولا ينطق إلا بسباب .

إننا نريد من الخطيب أن يهتم ببناء النفوس ، وإصلاح المجتمع ، وباختصار نريده أن يصل الدين بالحياة . فما جاء للدين ليكون أقوالا مستورة ، أو تعاليم مطمورة ، أو أدعية ميثورة . إنما جاء ليصلح الحياة . ويسعد الناس في هذه الحياة .

يجب أن ينتهي إلى الأبد صورة الخطيب الذي يتساول الحديث عن الموت والجنة والنار فقط . ولا يتخطاها أبدا ، أو يتكلم عنها بدون ربطها بوجود السعي في الدنيا .

إن الحديث عن الموت يكون للاعتبار والعظة ليكون في خدمة الحياة والحديث عن الجنة ليدفع إلى العمل لها ، والحديث عن النار ليبعد الناس عن طريقها ، ولهذه الفوائد يكون الحديث في هذه الموضوعات على أن تأخذ قدرها ... وعلى الخطيب أن يلوته موضوعاته لمعالجة كافة قضايا الناس ، ويعيش مع كل جديد يحدث لهم . وحينئذ يتحقق للدين الهيمنة ، ويقود الناس إلى الحق والصواب .

إن علم الخطيب وسعه أفقه تمكنه من ذلك . والأمل كبير ، ولو وصلنا الأمل لحققنا المراد بتوفيق الله وأعدنا للوعظ قيمته ودوره في إصلاح الأفراد والجماعات .

- ثامننا -**نماذج للخطب الوعظية****- ١ -****آثار الإيمان الاجتماعية *****العناصر :**

- ١- مفهوم العمل الصالح .
- ٢- الجزاء على العمل .
- ٣- الإيمان بين العقيدة والسلوك .
- ٤- آثار الإيمان في الجماعة .

الخطبة

أحمدك اللهم حمد من أخلص النية لوجهك الكريم ، وأشكرك شكر من أطاعك لذاتك ، وابتهأ رضوانك العميم . وأشهد أن لا إله إلا الله تفرد بالعزة والسلطان ، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله بعثه الله رحمة للعالمين . صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الأطهار ، وصحبه الطيبين الأخيار .

وبعد

يقول الله تعالى : ﴿ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ .

هذا وعد الله الصادق للمؤمنين ، ولن يخلف الله وعده . إذا أخلصوا في إيمانهم ، والتزموا بكافة عناصره الظاهرة والباطنة .
 أمور ثلاثة أيها المؤمنون هي أسمى ما يتصوره الإنسان ، جعلها الله جزاء العمل الصالح المنبعث عن الإيمان الصادق .
 استخلاف العاملين في الأرض ، وتمكين دينهم الذي ارتضاه لهم .
 وتبديلهم بعد الخوف أمنا وطمأنينة .

والاستخلاف في الأرض خلافة عن الله في عمارة الكون ، وتوزيع العدل والإحسان بين عباده ، وهو يعتمد على القوة وشمول السلطان ، ونفاذ الكلمة ، وهو مطلب تتفانى الأمم في سبيله . وتضحي بأبنائها وأموالها ابتغاء الوصول إليه ، وما استقامت عقيدة ولا استقر سلطان ، ولا وجد مجد وتؤدد ، ولا شعرت أمة بالعزة إلا إذا حمتها القوة وبسطت عليها أجنحتها ، وهذه المثل قائمة ، وشواهد الماضي حاضرة في ذهن مائة للعيان ووقائع الحاضر ظاهرة يتحرك أمام البصائر والأبصار .

وتمكين الدين والعقيدة نعمة عظيمة ، ومقصد رفيع . يتبعه استقرار النفوس وراحة الضمائر ، والشعور بالعزة والكرامة ، ليس أشهى للنفس ولا أمتع للقلب ، ولا أهدأ للروح ، من أن يرى الإنسان عقيدته هي السلطان عليه وصاحبة النفوذ في نفوس الناس الصادقين .

والأمن بعد الخوف أعز مطلب للفرد والجماعة ، وللخوف آثار تفسد العقل ، وتذهب بالتفكير ، وتجعل العيش مريراً ، والحياة مضطربة . وما أحلى الأمن يستقر بين الفرق ، وما أعذب يتدفق بعد القلق ! عندئذ يندفع الإنسان نحو العمل صافى القلب متجهاً إلى الله ملتصماً بالخير والنفع للعباد .

ليس الإيمان أيها المؤمنون تصورات تتخيلها العقول ، وكلمات وتجري عبارات على اللسان ، وإنما هو عقيدة تملأ القلب وتتبعها آثارها نطقاً باللسان ، وصلاً بالحوارج . ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللّٰهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا

وَجَنِّهُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٥٠﴾ ﴿١﴾ .
 ومن آثار العمل الصالح . وليس للعمل الصالح مجرد صلاة تؤدي بالحركات ،
 أو صيام يؤدي بالحرمان من اللذات ، أو ذكر يجرى على اللسان ألفاظا ميتة
 خالية من خشية والرهبة . إنما العمل الصالح ما تشتمل على روح الإسعاد :
 من إخلاص لله ، ومحبة لخير الفرد والجماعة ، وأداء للحقوق كاملة لله ولعباد
 الله . ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ
 وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ﴾ ﴿٥١﴾ .

إن أعلى للعمل الصالح منزلة عند الله فضائل الأخلاق ، من الوفاء
 بالعهد ، والصدق في القول ، والشجاعة في الحق ، والصبر على احتمال
 المكارة ، والعدل مع الأفراد ، بأداء حقوقهم ، وحب السعادة لهم ، وإرشادهم
 إلى الخير ومعاونتهم فيه .

ومن العمل الصالح طاعة الفرد لما تقرضه الجماعة ، وما يفرضه
 الحاكم . مما ليس فيه معصية للخالق .

ومن العمل الصالح للحاكم توفيره الخير للرعية ، والدأب والسهر على
 مصالحها وحياطتها من الانزلاق في الشر والتهاون في الدين .

وإن قوام العمل الصالح مهما تعددت شعبه هو العدل ، وهو مطلوب من
 الحكام ، ومطلوب من الرعية ، والعدل هو إتباع السنن الإلهية ، والقيام
 بالأوامر الدينية ، وتتنوع النوااميس للوضعيات التي لا تتنافى والدين .

إن الأمة الصالحة التي تستحق الخلافة أيها المؤمنون كما يجب أن تقوم
 على العدل يجب أيضا أن تؤدي للأرض حقها من عمران ، وأن تستخرج ما
 فيها وما حولها من قوى ومنافع ، لتحقيق الإرادة الإلهية من خلق تلك القوى

١- سورة المجرات آية ١٥

٢- سورة البينة آية ٥

وتسخيرها لمنفعة الإنسان يقول الله تعالى ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ السَّمْنَ وَالْقَمَرَ دَائِبَتَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَآتَيْنَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَطُلُومٌ كَفَّارٌ ﴿٣٤﴾ ۞ .

عباد الله : لا تسعد أمة تتفرق أهواؤها وتصبح شيعا وحزبا ، رائدها الهوى ، وقائدها المصالح الخاصة .

ولا تسعد أمة تحنكم إلى الشهوات ، وتتعامى عن الآيات . وتدع النذر ، وتعمى عن العبر .

لا تسعد أمة تنبذ تعاليم الدين وراءها ظهريا ، وتزدرى بالأخلاق الفاضلة حبا في الاستمتاع بالشهوات ، وما في الحياة من لذات .

لا تسعد أمة ينغمس أمرؤها وأغنياؤها في الترف ، ويستعذبون الراحة ويلتفتون للعمل ، ﴿ وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْنَا الْقَوْلُ فَنَدِمْنَا عَلَيْهَا تَدِيمًا ﴿٣٥﴾ ۞ .

أربها المؤمنون ، نحن بين أمرين . إما أن نستضيء بنور العقل ، ونهتدى بهدى الشرع لنصير في الدنيا إلى عزة نعلو بها في أجواز الفضاء ، ونخترق بها أطباق الأرض ، ثم في الآخرة إلى جنة عرضها السموات والأرض ، إلى مغفرة الله ورضوانه ، وإما أن نعصى عن هدى الله ، ونغمض عما حل بالأمم السابقة ، ونغلى مراحل الشهوات فيما بيننا ، فتأكل نيران الأحقاد قلوبنا ، فنصير في الدنيا إلى ذلة وضعة ، ثم في الآخرة إلى نار وقودها الناس

١- سورة إبراهيم آية ٣٢ : ٣٤

٢- سورة الإسراء آية ١٦

والحجارة ، إلى خزي من الله وخذلان : ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ ،
فِيهَا مَا نَفَّاهُ لِمَنْ يُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَذْحُورًا ۝ وَمَنْ
أَزَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ۝
كُلًّا نُمِدُّ هُنُوًا وَهَيْوَلًا مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مَحْطُورًا ۝ ١٠ ۝

وقانا الله عذاب النار وسوء المصير : وقادنا إلى للخير وحسن العاقبة ،
وهدانا إلى ما يرضيه ويقربنا من عفوه ورحمته . روى البخارى عن انس
رضي الله عنه قال : " ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان : أن يكون الله
ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله ، وأن يكره
أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار " .

تعليق :

راعت هذه الخطبة الأصول العلمية للخطابة حيث جاءت محافظة على
التقسيم . فظيها :

- ١- الافتتاح ، وهو من نوع الافتتاح الملوح الذي يشير للموضوع من
بعيد ، وتظهر من الافتتاح أن الخطبة وعظية .
- ٢- وفيها الموضوع ، المحدد في الآية التي وردت بعد الافتتاح مباشرة .
حيث شرحت الجزاء وفصلت في مفهوم الإيمان مدى حاجة المسلمين
إلى التمسك بالإيمان والعمل الصالح لينصرهم الله ، ويمكن لهم .
- ٣- وفيها التقسيم ووضحا بعد بيان الموضوع مباشرة من غير أن يشعر
القارئ أنه ينتقل من موضوع إلى غيره .
- ٤- وفيها البيان بالأدلة القرآنية والأحاديث النبوية ، والمناقشة العقلية ،
وفيها الترغيب والترهيب ، وذلك في إيجاز مراعاة لزمن الخطبة

١- سورة الإسراء من الآية ١٨ : ٢٠

٢- صحيح البخارى - كتاب الإيمان . باب حلاوة الإيمان ج ١ ص ٢٣

وأحوال المستمعين .

- ٥- وفيها الخاتمة بالحديث الذي أورده البخارى ،
وكما حافظت على التقسيم حافظت على الأسلوب الشيق ، والمعانى
لواضحة ، والأدلة المرتببة مما يدلنا على إعدادها الجيد .

-٢-

” الجهاد ودوره في الدعوة إلى الله ”

العناصر :

- ١- مشروعية الجهاد .
- ٢- الجهاد عدل محض .
- ٣- الجهاد شامل للنفس والمال والكلمة .
- ٤- حاجتنا اليوم إلى الجهاد الخالص .

الخطبة

الحمد لله أمر بالخير . وحنن على العدل وهو العليم الخبير ، والشكر
لله شرع الجهاد صيانة للحق ومحافظة على الإسلام ، وهو على كل شئ قدير
ونشهد أن لا إله إلا الله وسعت رحمته كل شئ ، لم يترك أحدا لعقله ، وإنما
أرسل رسوله للناس مبشرين ، ومنذرين ، ودعاة إليه . ونشهد أن سيدنا محمدا
رسول الله بلغ الرسالة . وأدى الأمانة . وجاهد في الله حق جهاده فصلوات الله
عليه وعلى آله وأصحابه . ومن يسلك مسلكهم إلى يوم الدين . أولئك هم خير
البرية .

أما بعد :

فيقول رسولنا ﷺ " لغدوة في سبيل الله ، أو روحة خير من الدنيا وما فيها " .^١

يا إخوة الإسلام :

ما أوجنا إلى تفهم الحقيقة الإسلامية عن الجهاد هذه الأيام ، بعدما استباح العدو ديارنا ومقدساتنا ، وأصبح يتصور أنه الأسد الوحيد في المنطقة يصول ويجول ، يلهب ويعتدى ، والمسلمون نيام لا يتحركون .

إن الحقيقة الإسلامية تفرض على المسلمين أمام هذا أن يجاهدوا عدوهم الطاعى بأنفسهم وأموالهم وبكل ما يمكنهم . حيث لا يصح أن يعيش مسلم فى سكون ، وهناك اعتداء ينزل على الأرض والمقدسات .

إن الله شرع الجهاد على المسلمين ليدفعوا به البغاة الظالمين فقال تعالى:
﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُم وَلَا تَعْتَدُوا ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ
الْمُعْتَدِينَ ﴾^٢ .

وقال تعالى ﴿ الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنَ دِيَارِهِمْ وَاتَّخَذُوا دِيَارَهُمْ حُرُمًا ۖ قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِمْ مِمَّا عَدْتُمْ عَلَيْهِمْ وَتَلَّوْا اللَّهَ تَعَالَى ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴾^٣ . ومنذ أن بعث الله رسوله فى الناس كان المسلمون لا يسكنون على ضيم يلحق بهم يقول الله تعالى ﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴾^٤ . لأن الانتصار هو حقهم وقد انتصروا لأنفسهم ما أمكنهم قبل الهجرة ، رغم قلة العدد والعدة فلما كانت الهجرة بدلوا فى الانتصار بشكل أكثر إيجابية فكانت السرايا والغزوات ، وكلها موجهة ضد المعتدين الذين نهبوا

١- صحيح البخارى- كتاب الجهاد . باب الغدوة والروحة فى سبيل الله ج ٥ ص ٤١

٢- سورة البقرة آية ١٩٠

٣- سورة البقرة آية ١٩٤

٤- سورة الشورى آية ٣٩

ديارهم ، وسلبوا أموالهم ، وأخرجوهم من بلادهم بسبب إسلامهم ، وحاولوا
تتبعهم في دار هجرتهم .

وقد علم المسلمون من دينهم أن عليهم بذل كل مرتخص وغال من أجل
رد العدو ، حتى يتمكنوا من أداء عبادتهم ، ومناسكهم في طمأنينة وأمان .
ويقوزوا بخيرى الدنيا والآخرة وبيتعدوا عن شرورهما . وقد عمل
المؤمنون بما علموه من قوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكَّرُ عَلَىٰ حَزْبٍ
تُجِجُكُم مِّنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُوْمِنُونَ بِاللّٰهِ وَرَسُوْلِهِ وُتُجٰهِدُونَ فِي سَبِيْلِ اللّٰهِ
بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ
وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكِنٍ طَيِّبَةٍ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذٰلِكَ
الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ ١٠ . وقد رأيناهم رضوان الله عليهم يبذلون أموالهم في تجهيز
الجيوش كما حدث في غزوة تبوك وغيرها . وكان الصبيبة فيهم يحاولون
الاندراج في جيش الجهاد بعد ما رأوا الآباء وال كبار يتمنون بذل للروح والموت
مجاهدين بذل أن يعيشوا محرومين من هذا العمل الجليل . وكان كل مسلم
يوصى أخاه بالبذل والجهاد اقتداء برسول الله ﷺ الذي قال الله له حاكبياً موقف
أعدائه في قوله سبحانه وتعالى : ﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُبِ
تُورِهِمْ وَلَوْ كَانَ سَعِيرُونَ ﴿١٧﴾ ١٧ . ولذلك كان الجهاد حماية للنفس والدين ،
ورد كيد الأعداء .

وقد أخذ الجهاد كل هذا الاهتمام لدرجة أن من الفقهاء من قدمه على
سائر الفرائض لأنه يحمي الدعوة ذاتها . ويمكن المسلمين من أداء فرائضهم .
إذ لو غلب العدو كافر لدمر المساجد ، وقتل الدعاة ، وشرد المسلمين بلا رحمة

١- سورة الصف من الآية ١٠ : ١٢

٢- سورة الصف آية ٨

ولا هوانة ، ولو ترك الأمر للطغاة لبغوا في الأرض ، ولصدوا الناس عن دين الله تعالى ، ولألفوا الأكاذيب طعنا في الإسلام دين الله تعالى ، يقول الله تعالى ﴿ يُرِيدُونَ يُخَفِّفُوا نُورَ اللَّهِ بِأَقْوَابِهِمْ وَأَلَّهُ مُبِيتٌ نُورِهِ - وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴾^١

وقد رأينا ما حدث مع المسلمين في الأندلس حينما تغلب عليهم الصليبيون ، فقد حولوا مساجدها إلى كنائس ، وقتلوا من المسلمين مئات الآلاف بعد معارك رهيبة ، ومحاكم وهمية . وطردوا البقية إلى المغرب الأفرقي . ورأينا كذلك ما فعله الفرنسيون بالجزائر المسلمة . بل إن الاستعمار للعالم يقصد في الغالب الديار الإسلامية ليطمس دينها كما حدث في الهند والصومال ونيجيريا . وكما يحدث الآن . وقد قرأنا أن المسيحيين يعدون عدتهم ويعقدون المؤتمرات لتكون " الغارة على المسلمين " ناجحة .

إن المسلمين اليوم في موقف الدفاع . والعرب منهم على الخصوص أصبحوا أمام الجهاد كفرض عيني . وعليهم أن يبذلوا الغالي في جهادهم من أجل إنقاذ المسجد الأقصى الأسير ، وتحرير بلاد الإسلام من أي معتصب دخيل . وعلى المسلم عموماً أن يتمتع بأخلاق الجهاد الإسلامي الذي يعمل لتكون كلمة الله هي العليا بعيداً عن الغلول ، والغدر ، والعدوان على الأمنين . ولبعد كل مسلم إلى عصر رسول الله ﷺ وعصر السلف الصالح ليسيروا على هدية ، وخلقهم ولينالوا شرف الجهاد ، وثواب المجاهدين .

إن الجهاد عظيم الأثر طيب النتيجة ورسولنا بين لنا منزلته وهو يقول :
" لغزوة في سبيل الله أو روحه خير من الدنيا وما فيها " .

قال ﷺ : " مثل المجاهد في سبيل الله ، كممثل القائم الدائم ، الذي لا يقتر من صلاة ولا صيام ، حتى يرجع " .^٢

١- سورة الصف آية ٨

٢- عنوان كتاب نشره الشيخ علي الغاباني ، ومن أراد المزيد من هذه الصور فليقرأ كتاب " كفاح دين " للشيخ الغزالي

٣- صحيح البخاري . كتاب الجهاد والسير . باب فضل الجهاد والسير ج ٥ ص ٣٦

يروى البخارى بسنده أن رسول الله ﷺ قال : " تكفل الله لمن جاهد في سبيله ، لا يخرج من بيته إلا الجهاد في سبيله ، وتصديق كلماته ، أن يدخله الجنة . أو يرده إلى مسكنه الذي خرج منه . مع ما نال من أجر أو غنيمة " .
يا أخوة الإسلام :

يكفى المجاهدين أنهم في طريق فوز ، انتصروا أو قتلوا لأنهم إن انتصروا رجعوا بأجر و غنمة تكفلهم هامات الفخر ورموز السعادة ، وإن استشهدوا فقد تركوا لمن وراءهم قصة بطولتهم في سبيل الله . وحسب الشهيد أنه حتى عند ربه يرزق .

إن الشهيد يأتي يوم القيامة بدمه يسغب دما ، اللون لون الدم ، والريح ريح المسك . ويستمر دائما في هناء وسعادة عند الله تعالى .

إن الجهاد الخالص ضرورة وفريضة يجب أن تنطلق فيها ونتمسك بها . إن المسجد الأقصى يجب أن يحرر من الصهيونية ويعود إلى أهله ، وفلسطين يجب أن تعود إلى العروبة والإسلام ، وديار المسلمين في كل مكان يجب أن تعيش حرة مستقلة .

يقول رسولنا ﷺ : " جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وأستنكم " .
لو كما قال .

حين نلظر في هذه الخطبة من الناحية الفنية نلاحظ ما يلي :

- ١- اشتملت الخطبة على افتتاحية فخمة حيث تضمنت إشارة واضحة إلى الجهاد بكلمات بليغة حسنة . كما اشتملت على الافتتاحية الدينية للخطب الوعظية التي تلقى يوم الجمعة .
- ٢- تحدثت عن الموضوع بإيراد حديث نبوي شريف رواه البخارى في صحبة .

١- صحيح البخارى - كتاب الجهاد والسير . باب أفضل الناس مؤمن يجاهد بنفسه وماله ج٥ ص٣٨
٢- الجامع الصحيح ج١ ص٢٤٥ رواية عن أحمد في مسنده

- ٣- تناولت عناصر الموضوع فتحدثت عن مشروعية الجهاد ، وحكمه ، وأخلاقه ، وأثاره في الدنيا وفي الآخرة .
- ٤- استعرضت أدلة الموضوع ، والتعليق عليها بصورة تفصيلية اشتملت على الأسباب التي تؤدي الإقناع ، والاستمالة .
- ٥- حتمت الموضوع يمثل ما بدأت به حيث حدثت على الجهاد ببعض البراهين الصحيحة .
- ٦- راعت الخطبة الإيجاز لتتلام مع الوقت والناس .

- ٣ -

من سمات القيادة المحمدية

العناصر :

- ١- صلة النبي ﷺ بأمتة .
- ٢- مفهوم القيادة وسماتها .
- ٣- الأسس القيادية في سيرته ﷺ .
- ٤- واجب الأمة اليوم .

الخطبة

الحمد لله مدير الكائنات ، وخالق الأرض والسموات ، هادنا للإسلام الحنيف ، ووفقنا لدينه الوطيد . وأشهد أن لا إله إلا الله أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا ، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله قدم لنا الصور الراقية ، والأمثلة العالية ، فأخرجنا من الظلمات إلى النور ، ووفقنا للحق وللمطريق المستقيم صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وأتباعه ومن يسلك مسلكهم إلى يوم الدين ، أولئك هم خير البرية .

أما بعد

فيقول الله تعالى ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ۝ ﴾ .
يا أسوة الإسلام :

من يريد أن يفوز بالخير فعليه أن يتبع رسول الله محمدًا ﷺ ، ولمسوف يجد في إتباعه كل ما تحتاج إليه نفسه ، وما يريده ويتمناه ، فرسولنا أسوة حسنة للجميع ، للفرد العادي ، للقائد الكبير ، للشاب ، للشيخ ، بل إنه عليه السلام وضع للنساء ما يسعدهن في الدنيا وفي الآخرة ، وليس كل فرد يستطيع أن يتأسي ، لأن هذه الأسوة خاصة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا .

إنها أسوة خير تأتي لأهل الخير الذين يدومون على الطاعة ، ويستمرون في ذكر الله تعالى أثناء الليل ، وأطراف النهار .

إن الرسول عليه السلام بالنسبة للمؤمنين أسوة وقدوة ومعلم ، يبلغهم الرسالة ويهدهم إلى الطريق المستقيم ، ويقتنهم بقوله وعمله ، ويحمل إليهم وحى الله تعالى ليخرجهم من الظلمات إلى النور ، وينقذهم من جهالات المادة والشهوة إلى نور العلم والإيمان ، كل ذلك في رحمة ومودة ورأفة لأنه بالمؤمنين رءوف رحيم .

إن الأمة — أي أمة — في حاجة إلى قيادة رشيدة تعتبرها مثالها الذي يحتذى ، ورائدها الذي يضعها في طريق الحق والرشاد ، ومن هنا وجدنا الأمم كلها في الشرق وفي الغرب تخلد زعماءها ، وتبقى على الولاء لهم محتذية سماتهم في القيادة ، والأمثلة كثيرة^١ .

١- سورة الأحزاب آية ٢١

٢- فلي أمريكا يخلدون جورج واشنطن، وفي روسيا ماركس ولينين، وفي الصين ماوتسي تونج ... الخ، وكلها قيادات بشرية بحثة، تختلف اختلافا كبيرا عن قيادة رسول الله ﷺ الذي سنعه الله تعالى نفسه ، واطلعه على الغيب ، وأمدّه بالوحي والنور .

ولعل السمات الأساسية في القيادة الناجحة كما توصل إليها العلماء بعد الملاحظة الواسعة ، والتجربة ، والاستنتاج تتحصر في سعة أفق القائد ، ومعرفته خصائص من يفودهم وأن يثق بنفسه وبفكرته ، ويقدر أتباعه ويحسن معاملتهم ويسوى بينهم على قدم واحدة ، ويقرن القول بالعمل ، وأن يبدأ بنفسه دائما .

وقائد الأمة الإسلامية لن يكون على طول التاريخ شخصا غير رسول الله ﷺ فهو الأساس الأكبر للجميع وهو رائد الأمة كلها . والمسلم الصادق حين يشد الخير والفوز في الدنيا والآخرة عليه أن يكون تابعا لرسول الله المعلم العظيم .

وقيادته — عليه الصلاة والسلام — لا تختلف أبدا عما اكتشفه عقلاء الناس ، فقد كان متميزا بالفطنة والذكاء ، والأمانة والصدق شديد الثقة بنفسه ، ويدعوته لأنه لم يأت بها من عند نفسه ، وإنما هداه الله إليها بالرسالة ، ولذلك آمن بنصر الله ، ولم يطلب إلا هداية الضالين ، واستقامة الناس أجمعين . وعاش متوكلا على الله رب العالمين .

حينما اشتد إيداء قومه له اتجه إلى ربه وقال : " اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون "١ .

وحيثما أتى العرب إلى أبي طالب عمه يطلبون منه أن يمنع محمدا ابن أخيه من سفية الأحلام وسب الآلهة ، لأن ذلك يفرق ولا يجمع ، وحينما قال أبو طالب له : " يا محمد ابق على نفسك ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق " . رد عليه السلام بقوله : " لا يا عمي ! والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه "٢ .

١- سيرة النبي لابن هشام ج١ ص٢٦٥

٢- السيرة النبوية ج١ ص٢٦٦

وحيثما أتاه عتبة بن ربيعة يقول : يا ابن أخي ، إنك منا حيث قد علمت من السطة^١ في العشيرة ، والمكان في النسب ، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت به آلهتهم ودينهم وكفرت به من مضى من آباتهم ، فاسمع مني أعرض عليك أمورا تنظر فيها لعك تقبل منها^٢ بعضها .

فقال له رسول الله ﷺ : قل يا أبا الوليد ، أسمع .

قال عتبة : يا ابن أخي ، إن كنت إنما تريد بما جنت به من هذا الأمر مالا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالا .

وإن كنت تريد به شرفا سودنك علينا ، حتى لا نقطع أمرا دونك .

وإن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا .

وإن كان هذا الذي يأتيك رنبا^٣ تراه لا تستطيع رده عن نفسك ، طلبنا لك الطب ، وبيدنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه ، فإيه ربما غلب التابع^٤ على الرجل حتى يداوى منه .

وكان رسول الله ﷺ يستمع منه ، فلما فرغ من كلامه قال ﷺ له : أو أقد فرغت يا أبا الوليد ؟

قال : نعم

قال ﷺ : فاسمع مني

قال : أفعل

فقال ﷺ :

١- والسطة : الشرف .

٢- في ١ : " منا "

٣- الرنبا (يفتح الراء وكسرهما) : ما يترادى للإنسان من الجن

٤- التابع : من يشع الناس من الجن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ حَمْدٌ ﴿١﴾ تَعْرِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَابٌ فَصِّلْتُ آيَاتُهُ، فَرَزْنَا نَا عَرَبِيًّا
 لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا
 قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا نَدْعُونَ إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِن بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ
 فَأَعْمَلْنَا إِنَّا سَامِعُونَ ﴿٥﴾ ۞ ثم مضى رسول الله ﷺ في السورة بقروها عليه .
 فلما سمعها منه عتبة ، أنصت لها ، وألقى يديه خلف ظهره معتمدا عليهما ،
 يسمع منه ؛ ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى المسجدة منها وهي قوله تعالى ﴿ فَإِن
 أَشْتَكَبُوا قَالِدِينَ عِنْدَ رَبِّكَ يُسْتَجِوْنَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٦﴾
 ﴿٦﴾ ، فلما قرأها سجد ثم قال : قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت ، فأنت
 وذاك .

فقام عتبة إلى أصحابه ، فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم
 أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به .

فلما جلس إليهم قالوا: ما وراكم يا أبا الوليد ؟

قال عتبة : ورائي أتى قد سمعت كلاما ما سمعت مثله قط ، والله ما
 هو بالشعر ، ولا بالسحر ، ولا بالكهانة ، يا معشر قريش ، أطيعوني
 واجعلوها بي ، واخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتزلوه ، فوالله
 ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم ، فإن تصبه العرب فقد كفتيموه
 بغيركم ، وإن يظهر على العرب فملكه منكمم ، وعزه عزكم ، وكنتم أسعد
 الناس به .

قالوا : سحركم والله يا أبا الوليد بلسانه .

١- سورة فصلت ١ : ٥

٢- سورة فصلت آية ٣٨

قال عتبة : هذا رأيي فيه ، فاصنعوا ما بدا لكم .

ولم يدفعه ﷺ إلى هذه القراءة إلا الثقة ، وقد تخير هذه الآيات لأنها تتحدث عن الله ، والقرآن ، والنبي ، والدار الآخرة . وتلك عناصر الدين كله ، ومنشأ هذه الثقة هو إيمانه بالله ، فلقد أعلنها في يوم الطائف وهو يناجي ربه **إن لم يكن بك غضب على فلا أبالي** ^١ .

ومن صفات زعامته ﷺ أنه كان يسوى بين الناس ، والجميع عنده سواسية ، والأكرم هو التقى ، والقريب إن أذنب عنده عاقبه ، والغريب إن استقام والتقى فهو أحب للناس إليه .

يقول ﷺ : **الناس سواسية كأسنان المشط لأفضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى** ^٢ ، وقد طبق ﷺ هذا الجانب عمليا ، فلقد جاء زيد بن حارثة رضي الله عنه يستشفعه في حد للسرقة فقال له : **إنما هلك من كان قبلكم أنهم كانوا يقيمون الحد على الوضيع ، ويتركون الشريف ، والذي نفسى بيده لو فاطمة فعلت ذلك لقطعت يدها** ^٣ .

وقد وقع عمه العباس أسيرا يوم بدر ، فما أطلق سراحه إلا بعد أن دفع الفدية كسائر الأسرى يومذاك .

ووقع العاص بن الربيع ^٤ زوج زينب بنت رسول الله أسيرا يوم بدر ، ومع ذلك لم يطلق النبي ﷺ سراحه إلا بالفدية التي أتته من مكة ، وكانت قلادة زينب رضي الله عنها هدية خديجة رضي الله عنها إليها يوم زفافها ، ولما رآها النبي ﷺ عاد لذكريات خديجة فبكى .

و من هذه السمات تقديره لأراء المسلمين من أصحابه واستماعه لهم

١- السيرة النبوية ج١ ص٢٩٤

٢- صحيح البخاري - كتاب الحدود . باب إقامة الحد على الشريف والوضيع ج١ ص٢٧٣

٣- تزوج العاص بن الربيع زينب في الجاهلية ، ولم يكن نزل بعد تحريم زواج المشرك للمسلمة ، وقد أسلم بعد إطلاق سراحه ورجوعه إلى مكة .

وقبوله جوارهم وكثيرا ما كان ﷺ يناديهم بالسؤال ليعلم رأيهم .
 فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه بآرائه ومعارضاته الكثيرة يمدحه عليه
 للصلاة والسلام عليها ويقول : **فإن يكن في أمتي مكلمون (تكلمهم الملائكة)**
فعمرو .

وآراء الصحابة في بدر والأحزاب وأحد معروفة ، وبارائهم رضوان
 الله عليهم تعدلت خطط الحرب ، وتغير نظام القتال .

وكان عليه الصلاة والسلام لا يقول قولاً إلا ويفرغه بالعمل ، وبكل هذا
 كان النبي قائداً ومعلماً . وبه سبقت أسوة للمؤمنين على طول الزمن .

وواجب على الأمة المحمدية اليوم أن تتحرك من جديد محتذية آثار
 قائدها ليعود إليها المجد الذي تركها . ولتعيد تجربتها الرائدة التي بهرت العالم
 حيث حولت العرب من باديتهم إلى خير أمة نشرت العدل والسلام في كل
 الأرجاء ، ولن يصلح أمر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .

ونحن نقولهم صريحة عودوا إلى شرع ربكم ، وتعاليم نبيكم ليتحقق
 الأمل ونرى الرجاء ولكم في رسول الله أسوة حسنة .

يقول الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ
 لِمَا نَحْبِبْكُمْ ۗ وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ أَنَّ اللَّهَ سَخِرَ بَيْنَ أَلْمَرَّةِ وَقَلْبِهِمْ وَأَنَّهٗ إِلَهِهِ
 تُخْفَرُونَ ۗ ﴾ .

والله معكم ولن يتركم أعمالكم .

١- صحيح البخاري - كتاب المناقب . باب مناقب عمر ج ٦ ص ١٠٠

٢- سورة الأنفال آية ٢٤

من ذكريات الهجرة إلى المدينة المنورة

العناصر :

- ١- مفهوم الهجرة .
- ٢- دروس من الهجرة إلى المدينة المنورة .
- ٣- ضرورة الهجرة من مكة .
- ٤- التخطيط النبوي للهجرة .

الخطبة

الحمد لله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وأرسى قواعد الدين على قواعد ثانية ، وأسس راسخة ، وأنزل قرآنه محكما ثابتا ، ولو كان من عند غير الله لانهار وتزلزل ﴿ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ آخِثَاتًا كَثِيرًا ﴾ ١ .

وأشهد أن لا إله إلا الله يورث الأرض لمن يشاء ، والعاقبة للمتقين ، وأشهد أن محمدا رسول الله ، أدى الأمانة ، وبلغ الرسالة ، وجاهد في الله حتى جهاده حتى رفع اللواء ، وانتصر الدين ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أخلصوا العمل والتضحية أولئك أصحاب الجنة فيها خالدون .
لما بعد :

فيقول الله تعالى ﴿ وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ ۗ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينِ ﴾ ٢ .

١-سورة النساء آية ٨٢

٢-سورة الأنفال آية ٣٠

يا إخوة الإسلام :

نحن المسلمون أمة ذات رسالة وهدف ، وأهل مجد وثرات ، وأصحاب عقيدة ومبدأ ، كل ذلك حملته وحى الله ، وأنزله على محمد ص ليكون طريقا يشع ، ومنهجاً يطبق .

والهجرة حدث من أحداث الإسلام الكبرى ، وركيزة لأصحاب المبدأ العظيم ، يحتفل المسلمون كل عام بذاكرها ، وحق لهم أن يحتفلوا ، ويتدبروا ، ويأخذوا منها الدروس والعبر ، فيها وضحت فكرة منطل أيد الدهر خالدة ، ورسيت قاعدة هي طريق للرجال ، طريق الحياة ، طريق الأمل ، هذه القاعدة هي " التضحية من أجل العقيدة شئ لازم ، والتفاني في خدمة المبدأ ضرورى لنصره " ، وعلى المسلم أن يستشعر ذلك ويفعله لأن العيش على هامش الحياة لا يليق بالبشر ، والتصرف من غير هدف طريق غير عاقل ، وعدم التحمس للمبدأ لا يليق برجل .

إن المسلم عبد ربانى يحيا بمنهج الله ، ويعمل ليعود مكرماً إلى الله . ولذلك نراه يعيش بالحق ، ويعمل للحق ، ولا يرضى إلا للحق .

لقد وضع محمد ﷺ وصحابته من الأعمال ما أبرز تلك القاعدة بروز الشمس ووضحتها لكل ذى عقل وبصر ، فصحمد ﷺ أرسل يدين الله وبعث بكلمة للسماء ، وأمر بإبلاغ الوحي للناس واستمر في الدعوة والجهاد لإعلاء كلمة الله بين الناس .

هذا كان هدفه ، وذلك كان مبدؤه ، وكان دائماً يدعو إليه وشعاره قول الله تعالى : ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ ۗ وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ١٠٨ ﴾ ، وقوله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۗ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۗ ذَٰلِكُمْ

وَصَنُّكُمْ بِهِم لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٥٠﴾ ﴿١﴾

لكن الكفار - أعداء محمد - عز عليهم ما ينادى به من مبدأ ، وكبر في نفوسهم ما يدعو له من هدف ، وتأكدوا أن في الانتصار ذلك هو انهم وضباعهم فنصبوا أنفسهم واتباعهم ، وأبناءهم لمقاومته . وترصدوا له لإيقافه ﴿ يُرِيدُونَ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَقْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُمِيتُ نُورِهِ . وَلَوْ كَفَرُوا أَكْفَرُونَ ﴾ ﴿٥١﴾ ﴿٢﴾

وخاب ظنهم - فإن الطحالب العائمة لا تمنع السفينة من المسير والرياح الهوجاء لا تزلزل الصخر ، والعواصف العاتية لا تحرك الجبل . والباطل مهما اتمت لا يغير من الحق شيئا أبدا ولا يكتمه . وخاب ظنهم - فإنهم أمام رجل لا كالرجال ، أعلنها ذات مرة أمام عمه وقال له : " والله يا عمي لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساوي على أن أترك هذا الأمر ما تركته حتى يظهره الله أو أهلك دونه "٣ . سار محمد على مبدئه . وتمسك بدعوته رغم قسوة الخصوم وهم عديد . فمنهم المتعصب العقل ، المتحجر الفكر ، لا يعرف إلا البطش ، ولا يؤمن إلا بالقوة ، وسفك الدم ، يصفهم الله تعالى في قوله ﴿ وَإِذَا تَقَالَى عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْمَعُونَ بِالَّذِينَ يَبْتُلُونَ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ كُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذَلِكُمْ ءَأَنْتُمْ أَعْدَاؤُ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَقْسِ أَلْمَصِيرُ ﴾ ﴿٥٢﴾ ﴿٤﴾

١- سورة الأعمام آية ١٥٣

٢- سورة الصف آية ٨

٣- السيرة النبوية ج١ ص٢٩٤

٤- سورة الحج آية ٧٢

وملهم المترف الناعم يرى الدنيا ثروة ضخمة . ومناعا مثيرا يعرفنا الله بهم في قوله تعالى : ﴿ وَإِذَا تُلَّتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَيُ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَقَامًا وَأَحْسَنُ نَدْبًا ﴾ ١ .

ومنهم المتعنت بحسب الأمر لعب أطفال ، أو هوى راقصة تخلع هذا الثوب لتلبس ذلك ، يقول الله تعالى عن هؤلاء : ﴿ وَإِذَا تُلَّتْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَنتُمْ بِقُرْءَانِنَا غَمٌّ هَذَا أَوْ بَدَّلَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تَلْقَائِي نَفْسِي إِنْ أُنِيعَ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ لِي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ ٢ .

وملهم المهرج يصنع ضجة ويرقع صيحة لكي يطغى على الحق ، يحكى الله تعالى عنهم فيقول : ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا هَذَا الْقُرْءَانَ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ٣ .

ولكن ما قيمة كل هذا أمام رجل عرف الطريق . واستعذب السير فيه ، وتيقن بمعية الله ، والتزام بالمنهج الرباني في تقدير العمل والسلوك . وها هو قد بدأ فيه ... وقد أعلنها ﷻ النصر أو الإستهاد .

وهكذا إستمسك النبي بمبادئه ودينه وتحمل من أجل ذلك الكثير ...

وأخذت الأيام تكرر نفسها .

نبي يدعو إلى الله وهو مؤمن به وبمبادئه . موقن بهدغه . وألوفام تحجروا على تعصبيهم ، وترفهم ، وعفتهم . ولم يستمر هذا الحال طويلا بل ظهرت إشعاعات من قبل يثرب وجاءت

١- سورة مريم آية ٧٣

٢- سورة يونس آية ١٥

٣- سورة فصلت آية ٢٦

أقوام من الأوس والخزرج ، وبايعوا رسول الله ﷺ في العبة بيعتين وهياؤا للإسلام موطننا في مدينتهم .

وهنا كان لايد من التضحية ، ولايد من الغداء ، حتى لو ترك المسلمون النديار وفارقوا الأحبة ، وايتعتوا عنه ملهى الصبا ، ومرتع الشباب ، وكان القرار هو الهجرة إلى المدينة المنورة التي ظهر فيها جناح قوى للإسلام . وكان لايد من الهجرة لكي يلتقى جناح مكة مع جناح المدينة لكي يبدها معا مرحلة الإطلاق العظيم .

وليست الهجرة رحلة سهلة ، أو نزهة حلوة ، أو فسحة طيبة ، لأنها تعنى عدم العودة إلى الأهل والوطن ، وفيها قد يكون الهلاك ، كما أنها صعبة الخطى حيث قطع المسافات الطويلة وسط صحراء قافلة .

وترك الوطن عزيز على النفس ، فلقد تفتحت عليه العين ، وتطلع له القلب ، وفيه كان الأمل الصغير ، والأحلام الأولى ، وفيه جالس الأهل والأحبة وفيه ملكه وجاهه .

لكن كل ذلك يهون في خدمة المبدأ ... ولتكن الهجرة إنقاذا للحق ، ونشرا للدعوة وتحقيق الانطلاقة الكبرى للإسلام في العالمين .

لم تكن الهجرة هربا من عدو ، أو حرصا على حياة ... وإنما كانت لله ورسوله ، وخدمة للإسلام وانتشاره ... ولو كانت خوفا أو هربا لحدثت قبل ذلك ، يوم أن أذى الكفار المسلمين وحاسروهم لكنها كانت لله ، فتمت في الوقت الذي أراه الله تعالى ، وأمر به رسوله ﷺ .

وأخذ الصحابة المسلمون يفدون إلى المدينة حتى لم يبق بمكة إلا النبي ﷺ وأبو بكر رضي الله عنهما وأهله ومعلى ابن أبي طالب فلقد استبقاهم النبي عليه الصلاة والسلام ليفرموا بأعظم قصة فدائية إنسانية ، وينفذوا أجرا مغامرة في التاريخ . ولقد وضعت أسس علمية سارت عليها الهجرة النبوية لتبقى درسا وعبرة ، ولم يتحرك النبي ﷺ إلا بعد أن وضع الخطط التالية :

- ١- **خطبة الإستطلاع** : وفيها كان يقوم عبد الله بن أبي بكر باستطلاع أخبار القوم وإحضارها للنبي عليه السلام كل مساء .
 - ٢- **خطبة التموية** : وفيها ساهم علي بن أبي طالب بميئته في مقام النبي ﷺ ، ولأجلها إتجه النبي إلى جنوب مكة عكس الرحلة إلى المدينة وكانت السماء مع الخطبة فياضت الحماسة ، ونسج العنكبوت وعلت الشجرة ، ولقد كانت سير القطعان لإخفاء أثر السير تتمات خطة التمويه .
 - ٣- **خطبة التموين** : كانت أسماء رضي الله عنها فائدة هذه الخطبة وكانت تحضر الطعام للمهاجرين كل مساء ، وبسبب ثقتها انطلق لتحمل في بعضه الغذاء سميت بـ " ذات النطاقين " .
 - ٤- **خطبة الحركة** : فلقد جهز أبو بكر ناقتين للنبي ص تحركا معا عليهما وقد قاد الناقتين عبد الله بن أريقط وهو من أهل الكتاب المجيدين لأحوال الفريق .
- وكان نصر الله مع المهاجرين وتجلت معجزات وخوارق لرسول الله ﷺ وصاحبه أثناء الهجرة حتى تمت بأمر الله تعالى ، واستقر المسلمون في المدينة .
- وعلى المسلمين أن يأخذوا العبر والدروس من الهجرة ولا بد لهم من الإيمان الصادق الذي يسهل لهم التضحيات الواجبة لحماية للدين ، وصيانة للحقوق ، وعليهم أن يلتزموا بالمسئولية التي وضعها الله فيهم وإن يخططوا لكل عمل ، وينشطوا في كل اتجاه ، ونصر الله يأتي للعاملين .
- إن الخائفين لا يصونون مبدأ ، ولا يحمون دنيا ، ولا يستحقون الحياة . والأمم برجالها ، والإسلام بأتباعه ، وعلى كل مسلم أن يصدق مع الله ويلتزم بهديه .
- تلك هي الهجرة من أجل المبدأ تمت وللعقيدة كانت . عن النبي أنه قال :
- " إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته لله

ورسوله فهجرته لله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدينا يصيبها أو امرأة
ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه ^١ .
وسلوا الله التوفيق والسداد ...

— ٥ —

العلم ونظرة الإسلام إليه

العناصر :

- ١- مفهوم العلم .
- ٢- نظرة الإسلام للعلم .
- ٣- فائدة العلم للناس .

الخطبة

الحمد لله خلق الإنسان ، علمه البيان . وكلفه أن يفكر بعقله ، وينظر
ببصيرته . وأشهد أن لا إله إلا الله كرم العلم والعلماء ورفع من آمن منهم فوق
الناس درجات ، وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله أحاط بالعلم رغم أميته
واستشعر المعرفة بجملتها . ولوتى جوامع الكلم صلى الله عليه وعلى آله
وصحبه ، والذين اتبعوهم بإحسان إلى يوم الدين .
أما بعد :

فلقد روى أبو هريرة أن النبي ﷺ قال : " من سلك طريقا يطلب فيه
العلم سلك الله له طريقا إلى الجنة وأن العالم يستغفر له من في السموات ومن
في الأرض حتى الحيتان في البحر " ^٢ .
يا أباي المسلم :

العلم باب من أبواب النصر . وعامل من أهم عوامل الرقي والغنى ، فيه

١- صحيح البخاري - كتاب بدء الوحي ج ١ ص ٥

٢- سنن الترمذي - كتاب العلم - باب فضل طلب العلم ج ٥ ص ٢٨

يتقدم الجميع في أمان وفي ثقة . ذلك لأن العلم طريق إلى العلا وسلم للمجد
ووسيلة للرفى :

العلم يرفع بيتا لا عماد له والجهل يهدم بيت العز والشرف
والعلم هو الدعامة الصلبة . والأساس المتين . وللحصن القوى لتأسيس
الدولة الناضجة والمجتمع السليم .

بالعلم والعمال يبني الناس منكمهم لم بين مالك على جهل وإقلال
والمقصود بالعلم هنا هو المعرفة في أى ناحية . فالمهندس عالم بصفة
خبير به . والطبيب عالم . والمدرس عالم . وكل منهم يقوم بدوره في البناء .
ولكن أيا ترى هل هذه الحفاوة بالعلم جديدة ومستحدثة في دين الله
تعالى؟

لم أن الإسلام احتفى بالعلم منذ ظهوره في حياة محمد ﷺ ؟
وما صور عناية الإسلام بالعلم وأهله إذا ؟

ونقول لهم على الفور :

إن الإسلام وضع العلم في منزلته اللاتقة . وأحاطه بعظمة التقدير وسمو
المكان : يلمس الإنسان ذلك من الوحي إلى رسول الله ﷺ . ومن احترام
الإسلام للعلم ، وحثه على التعلم . ومن احترامه كذلك للعلماء ولأنبوت التعليم .
ورفعه لدور العلم منذ مبدئه .

إن المتأمل لتسلسل نزول القرآن الكريم على رسول الله ﷺ يجد أن أول
ما نزل على النبي ﷺ كان قوله تعالى ﴿ **أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ
الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝** **أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ
مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ ۝** ﴾ . إننا نرى أن أول ما نزل كان أمرا بالقراءة . وقد ذكرت
الآية قصة الخلق لتؤكد أن الله الذي خلق وقدر . بأمر بالقراءة التي هي مفتاح

العلم ، وهو قادر سبحانه وتعالى على أن يعلم رسوله ﷺ القراءة باسمه وقوته
كما علم للناس بالقراءة . وعلم الإنسان ما لم يعلم .

ولذلك دعا النبي ﷺ الناس إلى العلم وجعله فريضة عليهم ودعا المسلم
أن يجعل علمه خالصا لوجه الله تعالى يخدم به دينه وأمه . يروى الترمذى
بسند عن فريس بن كثير قال : قدم رجل من المدينة على أبي الدرداء وهو
بدمشق فقال : ما أقدمك يا أخى ؟

قال : حديث بلغنى أنك تحدثه عن رسول الله ﷺ .

قال : أما جئت لحاجة ؟

قال : لا

قال : أما قدمت لتجارة ؟

قال : لا

قال : ما جئت إلا فى طلب هذا الحديث ؟

قال : فبئس سمعت رسول الله ﷺ يقول : من سلك طريقا يبتغى فيه علما

سلك الله له طريقا إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم
وإن العالم ليستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض حتى الحيتان فى
الماء ، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب . إن العلماء
ورثة الأنبياء ، إن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورثوا العلم ،
فمن أخذ به بحفظ وافر^١ .

وماذا يبغى الإنسان ويشتهى بعد ما نأته الدنيا بخيرها . وتشمله
بأحداثها الطيبة . وعندما يعمل الآخرة عملا يضمن الخير فيها . وبذلك يضمن
الدنيا والآخرة معا .

يا أخى المسلم :

والنبي ﷺ يبين فى حديث آخر أن من يسير إلى العلم فهو سائر إلى

١- سنن الترمذى - كتاب العلم . باب ما جاء فى فضل العلم ج ٥ ص ٤٨

الجنة إذ يقول 'من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله له طريقا إلى الجنة'^١.
 ويبين كذلك أن الملائكة في خدمة طالب العلم يقول 'إن الله وملائكته
 وأهل السموات والأرضين حتى النملة في حجرها ، وحتى الحوت ليصلون
 على معلم الناس الخير'^٢ .

والإسلام أيضا يضع العلماء في موضع خاص فلهم درجات عند ربهم
 والقرآن يقول ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ
 فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَاذْشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ
 وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾^٣ .

إن طاعة أهل العلم أمر مقرر شرعا فهم أول الناس فهما لدين الله ،
 وطاعة لشرعه ، ولذلك جعل الله طاعتهم جزءا من طاعة الله ورسوله . يقول
 الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ
 فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ
 ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾^٤ .

وقد أقسم الله تعالى بالقلم وأدوات الكتابة في قوله تعالى ﴿ رَبِّ الْقَلَمِ
 وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾^٥ . ومن المعلوم أن الله سبحانه وتعالى لا يقسم إلا بالأشياء
 الجليلة ذات الأهمية الخاصة ، لأن ذكرها في القسم دليل على العناية بها
 وضرورة تفحصها والاستفادة بها .

١- سنن الترمذي - كتاب العلم ، باب فضل طلب العلم ج٥ ص٢٨

٢- سنن الترمذي - كتاب العلم ، باب فضل الفقه في العلم ج٥ ص٥٠

٣- سورة المجادلة آية ١١

٤- سورة النساء آية ٥٩

٥- سورة القلم آية ١

وهكذا الإسلام . يحترم العلم ، ويحث عليه بنسب الطرق والوسائل .
ويضع العلماء في مرتبة خاصة . ويجعل كلمتهم هي المسموعة في الدنيا .
ويكرم كل ما يعينهم على العلم من قلم وكتاب .
ومن هنا نادى في المسلمين أن أطيعوا دينكم وتعلموا ، ولا يلبق بكم
ولأنتم لتباع هذا الدين أن تتخلفوا كما هو حالكم الآن .
أين سبق للمسلمين في الفضاء ؟
أين وجودهم في البحار .
أين علمهم بالأرض والزرع والنبات ؟
أين علوم النثرة والطب والنجوم؟
يقول عن النبي ﷺ : " فقيه أشد على الشيطان من ألف عابد " .
لا يصح فينا التخلف ، ولا يجوز . وسوف يحاسبنا الله على هذا
التقصير ، لأنه ضعف ، وهوان ، ومخالفة لأمر الله تعالى . والأمل أن تنهض
الأمة ، وتهتم بالعلم . ونعيش في طاعة الله تعالى .

دع القلق وابدأ الحياة

العناصر :

- ١- الحياة ومشاكلها .
- ٢- ضرب صور للمشاكل .
- ٣- كيفية النجاة .
- ٤- موقف المسلم في هذه الحياة .

الخطبة

الحمد لله رب العالمين . المحيط بالناس أجمعين يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور .

نحمده سبحانه وتعالى ونشكره ، ونتوب إليه ونستغفره ، ونشهد أن لا إله إلا الله خلق كل شيء وأوجده ، وحقق لكل موجود حياته وهداه لها سبحانه وكل شيء عنده بمقدار . وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله إمام الأكيباء وقنوة العالمين المطيعين صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وعلى ألوام جاهدوا معه فكانوا خير جند لخير قائد ، وساروا على نهج ربهم إلى يوم الدين ، أولئك في جنات مكرمون .

أما بعد :

فيقول الله تعالى ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ، يَفْرَحْ صَدْرُهُ، إِنْ لَمْ يَلْمِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ، يَجْعَلْ صَدْرَهُ صَبِيحًا حَرَجًا كَمَا كَانَ يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ .

إخوة الإسلام :

الحياة لا تسير على ونيرة واحدة . والدنيا دائما في تغير ، وقضية الوجود تروى أن التقلب هو عنوان الزمان ، والحكيم هو الذى يستعد لذلك . والصور عديدة وكثيرة فى هذا المجال . فهذا شاب طيب القلب والسلوك . يواظب على عمله ويمتنع بالأمل ، والمنى ، وإذا به فجأة يموت فى حادثة مفاجئة خاطفة .

وذلك شاب يعبد ربه حقا ، ويواظب على الصلوات المفروضة . ومع ذلك يفاجأ بمن يقف فى طريقه محاولا منعه ومهددا له فى رزقة ومعاشه . وتلك أسرة كانت تسير على أمن واستقرار . لكنها فجأة ترى تغيرا يحول أمنها إلى صخب ، واستقرارها إلى ضجيج . وهذا شاب مستقيم يعمل لنجاح يفاجئه اتهام كاذب يبعده عن حركة الحياة والناس وأمثال هذه الصورة كثير وكل يعرف نفسه . ويقف العقل مندهشا أمام كل هذه للصور والمثالات ... وما أكثرها ...!

إخوة الإسلام :

هى الدنيا تقول بملء فيها حذار حذار من فتكى وبطشى
فلا يغركم منى ابتسام فقولى مضحك والفعل مبكى

لكن المؤسف أن أمثال هذه الصور ترزق الإنسان روحا خامدة . ونفسا هامة . ويأسا فى التقدم . وتجعله يتحسر على وضعه . ويتأسف ، وتلقاه دائما يغفو . وفى عمله يهمل . وفى معاشه يسهو ، وهكذا يتضاعف الأمر ويشد . ولو كنا متمسكين بالإسلام حقا لمرت تلك الحوادث بسهولة من غير أثر ولا ضرر . لأن الإسلام فسر الحياة بدقة . وعلمنا كيف نعيشها ، فالحياة فى الإسلام دار تعب وابتلاء .

والله سبحانه يقول: ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴾ ويقول سبحانه

﴿ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ ١ :

فكبد الحياة هو تعبها ، ومشقتها ، وابتلاؤها هو تلك الحوادث التي تقع ، والصور التي نراها ، ومادامت هكذا الحياة . تعب وابتلاء . فعلينا أن نستعد لذلك ، ونحول الأمر إلى صالحنا دائما ، والنبى ﷺ بين ذلك إذ يقول * عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير ، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن ، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له . وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له * ٢ . ذلك لأن المسلم الذى يفعل ذلك دائما يعرف حق ربه ، ويتذكر الواجب عليه . فهو يتذكر الله فى الخير فيشكره ويحمده ، وإن أصيب بضرر تذكر وصبر فله مع الشكر أجر . ومع الصبر أجر . وإنما يكتسب الإنسان هذا الأجر لإيمانه ومعرفته بالله ... وذلك هو معنى قول الله تعالى ﴿ قُلْ إِنْ صَلَّيْتُ وَنَسَيْتُ وَعَجَبًا وَمَمَاتٍ يَلِيهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ ٣ . فالرجل لم يوجد إلا لله ، والنفس لن تستشيق إلا لتعيش فى رحاب الله .

المسلم يصلى ويتعبد لله ، ويتعلم ويعرف الله ، وحياته من مطعم . ومشرب مع ولده . مع زوجه . مع أسرته . مع الناس . كل ذلك لله ، وإذا مات فموته أيضا لله .

والرجل الذى يعرف الله يعرف أن ما بصيبه من خير أو من شر هو من الله يقول الله تعالى ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ ٤ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ ٥ .

١- سورة الإنسان آية ٢

٢- متفق عليه

٣- سورة الأنعام آية ١٦٢

٤- سورة الحديد من الآية ٢٢ : ٢٣

ولذلك فهو دائما يستسلم ويرضى بالقدر خاصة وأنه لا يعرف أين
مصالحته * والحقيقة عن الله تعالى واضحة بقول سبحانه ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ
الْقِتَالُ وَهُوَ كَرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ
تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ ١ . والمسلم في
تسليمه لله يكون قوة لا تدانيها قوة ، وكيف لا يكون قوة وهو مع الله رب القوى
... وكيف يتخاذل وهو يعلم علم اليقين أن العباد لو اجتمعوا على أن ينفعوه
بشيء لم يكتبه الله له لما قدروا ، ولو اجتمعوا على أن يضروه بشيء لم يكتبه الله
عليه لما قدروا على ذلك فالأقلام قد جفت والصحف قد طويت .
وكيف لا يكون قوة وهو يؤمن بقول النبي عليه الصلاة والسلام *
أحب أن يجد طعم الإيمان فليحب أهله لا يحبه إلا الله * .
ويقول ﴿ : من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره
الله لقاءه * ٢ .

إحسوة الإسلام :

كونوا مع الله بنزل لكم الصعاب . ويهون لكم المشاكل . ويزدكم قوة إلى
قولكم ﴿ وَتَقْوِمُوا آسْتَفْقِرُوا لَكُمْ ثُمَّ تُوْبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا
وَيَرْزُقْكُمْ قُوَّةً إِلَى قَوَاتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مَحْرِمِينَ ﴾ ٣ . وادعوا الله أن يوفقكم .



يلاحظ أن النماذج للوعظية المذكورة مرت في إطار الغرض الذي تأتي

١- سورة البقرة آية ٢١٦

٢- فيض التفسير ج٦ ص٣٣

٣- فيض التفسير ج٦ ص٢٩

٤- سورة هود آية ٥٢

له الخطابة الوعظية وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والدعوة لدين الله تعالى .

وقد مرت كل خطبة بإعداد علمي ضم العناصر والمحتويات والتعبير ، ثم برزت في ثوبها المنظم حافلة بالأقسام العلمية للخطبة ففي كل منها :

١- المقدمة . وهي ما تفتتح به الخطبة ، وقد أشارت كل مقدمة إلى موضوع الخطبة .

٢- بيان الغرض في كلمات قصيرة أخذت من عيون التراث الإسلامي .

٣- الاستفادة بالقرآن الكريم والسنة النبوية وآراء السلف الصالح في إثبات الخطبة وبيان هدفها .

٤- الاعتماد على الأسلوب الجميل الأخاذ، المقنع للعقل المثير للنفس.

٥- وفيها الخاتمة وهي إشارة موجزة للموضوع مع تضمينه على نصيحة سريعة للمستمعين .

ويمكن لهذه الخطب أن ترتبط بمناسبات متصل بها فخطبة الهجرة تكون في موسمها ، والحديث عن الجهاد عند محاولة إيقاظ الأمة ... وهكذا .

ويجب أن تمر كل خطبة بالإعداد الدقيق ، مع مراعاة أجزاء الخطبة لتظهر اللمعة بغرضها ، محققة للمقصود منها في مجال الدعوة إلى الله تعالى .

النوع الثاني الخطابة السياسية

التعريف بالخطابة السياسية :

تهتم السياسة بأصول المجتمع ، وتوجيهه وبخاصة مع عندما ينتظم الناس تحت ظل قواعد معينة ، ولما ما كان المجتمع فهو مكون من أشخاص لهم إنسانيتهم ، ولهم إرادتهم التي أجمعت على ضرورة العيش سويا تحت شروط معينة موافق نظام ارتضوه لأنفسهم في إطار تحديد الواجبات ، وصيانة الحقوق . ويتوقف نجاح الحياة السياسية لأي مجتمع على درجة الإشتراك الفعال بين أفرادها جميعا في النشاط الاجتماعي على إختلاف أنواعهم ، وتعدد طبقاتهم في الحياة السياسية .

وهذا المجتمع المنظم يستلزم وجود دولة لها حكومتها التي تعمل في دأب وقوة على مصلحة الشعب وتقدمه .

وقد اقتضى التطور التنظيمي للسياسة العامة قيام الدولة ، وتحالف بعض الدول فيما بينها على أمر ما في صورة أحلاف عسكرية ، أو إقتصادية ، أو إجتماعية ، أو لغير ذلك ، أو لكل هذه مجتمعة .

كما اقتضى تعاون الدول جميعا في هيئات عديدة ، ذات أغراض خاصة للوصول إلى الأمن والسلام بين الناس ، ولعل أكبر تجمع دولي هو ما حدث في العصر الحديث بتأسيس عصبة الأمم المتحدة التي تحولت بعد الحرب العالمية الثانية إلى " هيئة الأمم المتحدة " .

إن تنظيم الدولة حتم إحترام رأى الشعب . ونادى بضرورة الشورى والمشاركة بومن هنا نشأت الأحزاب ، وعرفت الدول نظام الإنتخاب . بتعدد صورته . لتكوين المجالس النيابية على مستوى الدولة . أو على مستوى لاقليمها المحلية .

وجود الأحلاف أدى إلى عقد مؤتمرات عديدة بين المسؤولين في الدول المتحالفة لتدارس ما تحالفوا عليه ، ووضع أسس تمييزه والالتزام بهذه الأسس . وتأسيس الهيئات أظهر عددا من الأنشطة المتنوعة من أجل وصول كل هيئة لغرضها الذي أسست له ، وقد أدى بها السعي إلى تأسيس فروع كثيرة للهيئة الواحدة تتولى التعليم . والتخطيط . وتحديد الهدف . إن التجمع البشري في الدولة ، أو في التحالف ، أو في الهيئات يظهر الخطبة السياسية التي يلقيها صاحبها في صورة معينة من أجل التأثير في الآخرين ، وإقناعهم بما يجب أن يكون . وتبعاً لتتبع أهداف التجمع الإنساني تنوعت الخطبة السياسية إلى ما يأتي :

- أ — **الخطبة الجماهيرية** : وهي الخطب التي توجه إلى جماهير الشعب بقصد حملهم على عمل ، أو إقناعهم بفكرة ، ويكون المتكلم فيها رئيس الدولة . أو أحد الوزراء . أو زعيم الحزب . أو المرشح في الانتخابات الشعبية .
 - ب — **الخطبة النيابية** : وهي للخطب التي يلقيها عضو نيابي منتخب ليستجوب مسئولاً ، أو يحيطه بأمر هام . أو التي يلقيها أحد الوزراء أو رئيس الدولة في المجلس النيابي .
 - ج — **خطب الهيئات** : وهي الخطب التي تلقى في النوادي . وفي المؤتمرات المحلية . وفي المؤتمرات العالمية ، وهيئة الأمم ، وما تفرع عنها من منظمات ومؤسسات .
- وتحت هذه الأنواع الثلاثة توجد ألوان كثيرة للخطب السياسية سوف نبين خصائصها فيما بعد .

عوامل ازدهار الخطابة السياسية

تؤثر مجموعة من العوامل في ازدهار الخطابة السياسية ، ومنها ما يلي :

١- النشاط السياسي :

إن المجتمع الذي يملك النشاط السياسي تزدهر فيه الخطابة . لأنها فمن يتجه إلى عقول الجماهير ، وإلى عواطفهم من أجل استمالتهم نحو فكرة سياسية موجودة . ويشترط في النشاط الذي يؤدي إلى ازدهار الخطابة السياسية أن يعتمد على العدل والحرية ، والشغافية والتقدير ، والمحافظة على كافة الحقوق في إطار دستور متين .

ولقد كان للنشاط السياسي في عهد الأمويين أثر في ازدهار هذا النوع من الخطابة ، وتقدمه ، بصور جعلت المؤرخين يعدونه العصر الذهبي للخطابة العربية ، فلقد نشطت المذاهب ، وظهرت الفرق وصار لكل جماعة خطبائها الذين يعرضون أفكارها ، ويردون أي نقد يوجه إليها . وقد تميز خطباء كل فريق بالعلم ، والفهم ، وجوده الإعداد ، وزوعة الإلقاء . وما زلنا نشاهد الحركات الثورية مقترنة بأصحاب اللسان البليغ من الخطباء .

وهكذا تزدهر الخطابة تبعاً للنشاط السياسي لمتعدد الأسوان . والذي يظهر في شكل إصلاحات داخلية . أو دعوات اجتماعية . أو ثورات جديدة . أو دعوات للجهاد والحرب .

٢- تعدد الاتجاهات السياسية^١ :

إذا تعددت الاتجاهات السياسية في مجتمع ما فإن ذلك يؤدي إلى ازدهار

١- تظهر الاتجاهات السياسية مع وجود الأحزاب ، وتعدد الفرق ، ونشاط المفكرين والمثقفين في إطار من الحرية والسلام الاجتماعي المطلوب .

الخطابة السياسية . لأن خطباء كل اتجاه يعرضون أفكارهم على الناس ، وينقدون أفكار الآخرين .
 إن الخطيب السياسي لا ينجح إلا إذا جمع حوله جمهورا معينا ، يضمه شعور واحد يجعله ، يتأثر بما يسمعه ، وينفعل بالأحداث التي يعيش فيها .
 وعلماء النفس يسمون هذا الجمهور بـ " الجماعة النفسية " . ومن هنا نجد أصحاب الاتجاهات السياسية يحاولون أن يكونوا هذه الجماعة من حولهم .
 لكي تسود أفكارهم وتنمو الأغراض التي يحافظون عليها وسط العقل الجمعي الموجود بين الجماعة لأن من المعلوم أن العقل الجمعي يستثار بسهولة ، ويتحرك بلا فكر وتدبر .

يقول جوستاف ثوبون : " إن أبرز أمر في الجماعة النفسية هو أن الأفراد الذين تتألف منهم ، مهما كانوا . ومهما تعاضلوا ، أو اختلفوا في طراز حياتهم وأعمالهم وأخلاقهم وعقولهم ، إذا ما تحولوا إلى حماسة منحتهم هذه الجماعة ضربا من الروح الجامعة ، وهذه الروح تجعلهم يشعرون . ويفكرون ويسيروا على وجه يخالف ما يشعر به ويفكر فيه ، ويسير عليه كل واحد منهم . وهو منفرد ، ومن الأفكار والمشاعر ما لا يظهر أو يتحول إلى أعمال إلا لدى الأفكار في الجماعة " .^{١٠}

٣- الحرية الفكرية :

تردهر الخطابة السياسية في ظل الأنظمة التي تسمح بحرية الأعمال والأقوال . لأن هذه الحرية تمكن الخطباء من الانطلاق في التفكير ، وحرية التعبير عن كل ما يؤمنون به ، ويفكرون فيه ، وحينئذ يكثر من الإبداع الخطابي المعتمد على القواعد الفنية ، الهادف لمصلحة الجماعة .
 ومن هنا كان ظهور هذا النوع من الخطابة عند اليونانيين على النحو الذي أشرنا إليه . وذلك بسبب ارتباط الحكم برأي الشعب إذ كان الحكم جمهوريا

وللشعب فيه القيادة والتوجيه .

أن " بريكلين " و " ديموسثين " من أعظم الخطباء السياسيين في بلاد الإغريق . ويرجع السبب في تفوقهم إلى حرية الفكر . وتمتع أصحاب القول بحرية مطلقة فيما يريدون قوله .

ولعلنا بهذا العامل ندرك سبب ازدهار الخطابة في العصر الإسلامي الأول حيث تمتع الجميع بالحرية . وعبروا عن كل ما أرادوه بلا ضغط أو إكراه ، وندرك كذلك سبب انحطاط الأسلوب الخطابي ، بوفلة الخطباء في عصور التخلف والاستبداد .

إلا أن الجماهير حينما تتحرك للقضاء على الظلم والظالمين بقيادة رواد لهم يؤدي إلى تحسن الخطابة السياسية وارتقائها .

٤ - تقدم الثقافة الأدبية :

لصورة الجمالية مثيرة دائمة في سائر الخطب ، ولعلها في الخطبة السياسية أكثر إثارة ، لأن غالب هذا النوع يتجه إلى العامة من الجمهور . وهم الفئة التي يثرها الرواء اللغوي . والجمال الأسلوبى . والحسن البياني ، ولذلك كان تقدم الخطبة السياسية محتاجا إلى ثقافة الخطب الأدبية ، ومعرفة بفنون الحس الأسلوبى ، وروعة التعبير البياني .

ونحن هنا نقول : إن القرآن الكريم والسنة النبوية صنعا في الجماعة الإسلامية خصائص معينة . جعلتها ترتبط بهما ، وتستثار بتعاليمهما . وتجذب لبيانهما ، فمن أراد نجاحا في خطبته السياسية من المسلمين فعليه أن لا يغفلهما ولقد رأينا بعض رؤساء الأحزاب السابقة في مصر يحفظ القرآن الكريم من أجل التأثير السياسى في جماهيره رغم أنه لم يكن مسلما ، وفي الحق كان محل إعجاب بأسلوبه وإقناع في قضاياها .

تلك هي أهم عوامل النهوض بالخطابة السياسية ذكرناها في إجمال وإيجاز من أجل النهوض بهذا النوع من الخطابة .

خصائص الخطابة السياسية

تتميز الخطابة السياسية بمجموعة من المزايا تتنوع تبعاً لنوع الخطبة السياسية لأنها أنواع ثلاثة كما سبق أن ذكرت ولكل منها خصائصها .

خصائص الخطبة الجماهيرية :

وهي التي يلقيها مسئول كبير، أو مرشح في انتخابات نيابية أمام جمهور عريض ، يعمل لإقناعه بما يريد ، وتتميز بالخصائص التالية :

أ - مناسبتها للجماعة المخاطبة . وذلك نجدها تأتي معبرة عن الآمال والرغبات الجماهيرية . متفقة مع معتقداتهم وعاداتهم . متلائمة مع مستواهم العقلي والثقافي . مراعية المناسبات التي يعيشونها .

إن الخطابة الجماهيرية تحتاج إلى المستمعين أكثر من احتياج المستمعين إليها . ولذلك رأينا كثيراً من وسائل القرب النفسي التي تكون فيها .

إن رئيس التولية . أو زعيم الحزب ، أو المرشح الانتخابي ، يعرض نفسه على مستمعيه بخطبته . ولذا وجب أن تكون خطبته واضحة للمستمعين . قريبة منهم .

ب - بساطة الأسلوب وسهولته ، لأن الجمهور الذي يسمع هذا النوع من الخطب من العامة واليسطاء ، ولو لم تراخ الخطبة هذه البساطة لصنعت حاجزا يفصل المستمعين عنها ، وهذا ما لا يرجوه الخطيب لنفسه .

ج - وضوح الروح الودية . ذلك أن الاتجاه إلى الجمهور يقتضى دائما جذبته . وفي السياسة لا يمكن استمالته إلا بإهداء النشاء عليه ، وإظهار أهمية مشاركته في الحياة العامة . والنظام الاجتماعي كله . بل إن المرشح يبرز بوضوح حاجته إلى سائر

- الجماهير ، لأنه يكون بهم . وبأصواتهم يصل إلى مبتغاه .
- د - بروز وعود خاصة للمخاطبين : لأن القادة المرشحين لا يخطبون الجماهير إلا في أحداث معينة من أجل وضع تنظيم جديد ، أو تادية انتخابات جديدة . وفي هذه الحالات لابد من تقديم صورة موجزة عن المستقبل المرتجى ، وفيها دائما وعود للأفراد والجماعة .
- إن رئيس الدولة حينما يوجه خطابا إلى أمته يبرز لهم ما آده . وما سوف يؤديه في القريب الآتى .
- والمرشح حينما يطلب من الناس أن ينتخبوه بمنبيهم بمستقبل جديد فيه الأحلام والمنى .
- والواجب أن ترتبط هذه الوعود بالواقع . لأن المبالغة فيها تؤدي إلى عكس المراد حيث يتضح الكذب من المبالغة .
- وأیضا فإن الجماهير تراقب دائما هذه الوعود السياسية . وتحكم على صاحبها بمقدار صدقه فيها . خاصة أن الانتخابات تتكرر والمناسبات السياسية عديدة لا حصر لها ، وإذا ظهر الكذب ، أو بانئت المبالغة فإن الجماهير لن تسمع له ، ولن يؤثر فى غيره .
- هـ - وجود المقارنات فيها : وذلك لأن الرجل السياسى مضطر لإبراز رسالته بالتفصيل . وشرح مزایا اتجاهاته . وهو لهذا يقارن بين منهجه ونظريته وبين مناهج الآخرين ونظرياتهم . وذلك كله فى أدب واتزان .

أما الخطبة النيابية :

وهى التى يلقىها مسئول داخل المجلس النيابى سواء كان هذا المسئول رئيس الدولة أو رئيسا للوزراء . وهؤلاء جميعا من الخاصة شأنهم مثل شأن أعضاء المجلس كله على اعتبار أن الشعب لا يختار لتمثيله . ولا يزكى لقيادته

إلا شخصا أمتاز بالعقل والثقافة والإدراك ، ولذلك وجدنا هذه الخطابة تتميز بالخصائص التالية :

أ - **الدقة الثامة** : لا بد أن تكون هذه الخطبة دقيقة اللفظ والمعنى

دالة على هدفها بوضوح . حتى لا تقابل بمعارضات المستمعين الذين يتابعون بوعي ويرفون بإدراك ، ولا بد أن تعتمد على وثائق صحيحة ، وأدلة ثابتة مؤكدة .

إن المسئول حينما يوجه خطاب الافتتاح إلى مجلس نيابي يضع خطابه في شكل نظريات مختصرة دالة على المقصود في دقة متناهية .

والنائب الذي يخطب في موضوع ما مطالباً بالإصلاح عليه هو الأخيرة أن يتمسك بالدقة حتى يصل إلى مراده من أقصر طريق .

والنائب الذي يقدم استجواباً لمسئول ، أو يتقدم بطلب إحاطة حول موضوع ما لا بد له أن يجمع البيانات ، والوثائق ، وكافة المعلومات المتصلة بهذا .

ومن هنا نرى أن هذه الخاصية من أهم خصائص خطاب السياسة النيابية .

ب - **مراعاتها للنظم السياسية الموجودة** : يجب أن تراعى الخطبة

السياسية النظام السياسي للدولة . ذلك أن للنظم الملكية تغاير للنظم الجمهورية . والنظم الرأسمالية تغاير للنظم الشيوعية . وأيضاً فإن كل مجلس نيابي له لائحته الذي تنظم العمل في داخله . وعلى الخطيب أن تسير في النظام الموضوع لها داخل المجلس . ووفقاً للائحته .

ج - **اشتمالها على دراسة واسعة** : تتضمن الخطبة السياسية النيابية

على دراسات واسعة حول موضوعها . وذلك شرط لازم لدقتها

والتزامها بالنظام الموضوع ، وقد كفلت الدساتير والقوانين لأعضاء المجالس المنتخبة حق الحصول على ما يريدون من معلومات ، وضمنت لهم حرية الحركة والتنقل فى أى مكان للحصول على المعلومات التي يريدونها .

إن المسئول الذى يتحدث فى موضوع ما ، عليه أن يحيطه بالدراسة والمعرفة ، ويقدمه فى صورة متكاملة للمجلس حتى يوافق عليه . كما أن النائب الذى يتكلم فى موضوع ما عليه أن يحيطه بالدراسة الوافية . ولا يخلطه بغيره فالموضوع الزراعى يغاير الصناعى والطبى مثلا ، ومن هنا كانت أهمية سعة الدراسة .

د - ميلها إلى العقل أكثر من العاطفة : وذلك أمر عادى نظرا للمستمعين لأنهم جميعا من الطائفة الراقية التي يهتما المعنى المحرر أكثر من الإثارة اللفظية ، ولكن يجب أن يكون الأسلوب بعيدا عن الجدل السفسطى ، والإطراب الخطابى .

أما خطب الهيئات :

فهى تلك الخطب التي تلقى فى النوادى المحلية فى المناسبات المختلفة ، أو فى المؤتمرات المحلية ، أو فى المؤتمرات العالمية . وهذه الخطب لها طابعها الخاص . ولذا تتميز بالآتى :

أ - مراعاة المناسباتية : وهذه الخاصة وإن كانت عامة فى جميع الخطب إلا أنها فى هذا النوع أكثر أهمية . لأن الهيئة تعقد اجتماعاتها من أجل غرض معين . وأحيانا يقسم المجتمعون أيام مؤتمراتهم لبحث موضوعات معينة كل موضوع فى يوم . ومن هنا لزم مراعاة المناسباتية حتى يتضح الموضوع ولا يخلط بموضوع آخر .

- بـ **الدقة التامة** : وهذه خاصية لازمة لأن المؤتمرين جميعاً من الخاصة ويجب مراعاة ذلك حين الخطبة فى المؤتمرات المحلية والعالمية .
- جـ **شمول التحليل** : إن المتحدث السياسى عليه أن يجعل خطبته متفتحة الفكرة من كافة جوانبها ، وذلك بعرض الأوجه المختلفة للموضوع .

النوع الثالث الخطابة القضائية

افتضى الاجتماع البشرى وجود منازعات ومشاحنات ، وهذه تحتاج دائما إلى الفصل فيها ، ليستقر الحق ، وينتهي الباطل ... ومن هنا وجد للقضاء وعرف الناس التقاضى واستلزم ذلك ظهور الخطابة القضائية التى يلقبها القاضى بتريرا لحيثيات حكمه ، أو يلقبها ممثل الادعاء وهو النائب العام الذى يوضح بخطبته دوافع الاتهام ، أو المحامى الذى يوضح بخطبته براءة موكله ، أو ثبات حقه .

وقد عرف أرسطو بعض هذا النوع وسماه * الخطبة المشاجرية * لاتصالها بالمشاجر والتنازع . وبين أن غاية هذا النوع تحقيق العدل . ورد الجور ، ومنع الظلم بين الناس إلا أن تسميتها بالخطابة القضائية أولى ، لتشمل سائر الأفضية سواء كانت مشاجرة أو إثبات حق ، أو صيانة لأمانة ، أو حفظا للخير في المجتمع .

ومن المعلوم أن كل طرف من المتخاصمين يريد إثبات أن الحق له . ولذلك يجب أن يكون المستمعون على قدر كبير من فهم القانون ، وتحليل ما يقال حتى يكشفوا الحق من الباطل .

إن المصريين القدماء حرّموا المرافعات بالخطابة . وقصروها على المذكرات المكتوبة ، فى محاولة منهم للوصول إلى الحق بعيدا عن التأثير الخطابى . والانتفال اللفظى .

وحاول اليونانيون منع الخطباء من الاسترسال فى أقوالهم ، فعينوا فى المحكمة رجلا يقاطع الخطيب أو يسكته . إذ رآه يحاول التأثير بقوة العاطفة والألفاظ . وإثارة الإعجاب .

أما الرومان فإنهم لم يقيدوا الخطب وثوقا منهم بوضوح القانون . وتقدم

فتونه في بلادهم^١ .

إن الإسلام لا يقف أمام أي بيان يلقيه خصم في المحكمة على اعتبار أن هذا البيان يساعد على وضوح الحق . وإيراز الجوانب التي يستند إليها للقاضي في إصدار حكمه ، وإنما اكتفى الإسلام بتوجيه سائر أطراف التقاضي نحو الصديق ، والبحث عن الحق . ومن هذه التوجيهات ما قاله النبي من تعليمنا للقضاء قال : " قاضين في النار . وقاض في الجنة ، قاض عرف الحق ففضى به فهو في الجنة . وقاض عرف فجار متعمدا ، أو قضى بغير علم فيما فسى النار " . فجدده عليه السلام يسوى بين القاضى الذى يجور متعمدا وبين القاضى الذى لا يجهد ذهنه . ولا يبحث عن الحق الذى يجب عليه أن يتمسك به . ويحكم بمقتضاه .

ويقول عليه الصلاة والسلام : " إنما أنا بشر ، وإنه يأتيني الخصم ففعل بعضكم أن يكون أبلىغ من بعض فأحسب أنه صادق فأقضى له بذلك ، فمن قضيت له بحق مسلم ، فإنما هي قطعة من النار ، فليأخذها أو يتركها " .^٢ وذلك من أجل أن يبتعد المتخاصمون عن الظلم ، وترك البيان لكاتب الذى يوصلهم إليه .

وفي العصر الحديث يبذل القضاة كثيرا من القراءة والتفكير من أجل الوصول إلى العدل فنجدهم يجلسون الحكم أكثر من مرة . ويطلبون المستندات من الخصوم : ويسمعون الشهود . ويطلبون الإطّاب قسى المرافعة عما هم يتمكنون بهذا من معرفة الحق الذى هو بغيثهم وأملهم ، وتتميز الخطابة القضائية بالخصائص التالية :

أ - المحافظة على التقسيم العلمى للخطبة : ذلك أن الموقف خطير ويحتاج إلى وضوح كامل ، ومما يساعد عليه المحافظة على

١- أصول الخطابة ص ١٩٧ بتصرف

٢- رواه الحاكم في مستدرکه عن أبى بريدة ، الجامع الصغير ج ٢ ص ١٢٢

٣- صحيح البخارى - كتاب الأحكام . باب من قضى له بحق أخيه ج ١١ ص ٥٣

التقسيم . فنجد الخطيب - محاميا أو مدعيا - يفتتح خطبه بالتزام العدل ويحث عليه . ويحدد موضوعه بأنه في براءة المتهم أو إدانته ويبرز عناصره الأساسية بين كسل عنصر وبغذ الاتهام بشواهد القانون ، وأخيرا يختتم خطبته طالبا براءة أو إدانة للمتهم .

ب - الإيجاز الموفى بالغرض : لا تحتاج الخطابة القضائية إلى الإطناب والتطويل نظرا لكثرة القضايا بالنسبة للزمن . وأيضا لأن المستمعين من الخاصة الذين يفهمون باللمحة . ويفتخرون بالحق من بدء ظهوره . ولذلك فهم لا يحتاجون إلى إشارة العاطفة . وإنما يهمهم الأسلوب العلمي وحده .

ج - التزام الحق : يجب أن نلتزم الخطابة القضائية بالحق حتى تكون الأحكام دائما صحيحة ، ومنصفة . ولا يسمح فيها لمرتزق أن يأخذ من المتهم مالا . ويحاول بعد ذلك تحويل الباطل إلى حق . ويجب أن يمارس المحامون الصدق النفسي ولا يترافعون إلا عن الحق . ويتعدون عن الباطل . هذا وقبل أن ننهي من بيان هذا النوع من الخطابة نذكر أنها أنواع ثلاثة هي :

- ١- خطبة القاضي : وهي اقصرها ، وفيها يصدر الحكم ويبين حيثياته .
- ٢- مرافعات النيابة : وهذه تقدم الادعاء . وتبين للمحكمة لئلا ثبوت التهمة ومدى انطباق القانون عليها .
- ٣- مرافعات المحامي : وهذه تشمل على الأتلة المؤدية على براءة المتهم . وإدانة الخصم ، ويسهل على للقاضي استنباط الحكم . والوصول إلى الحق ، ويمكن أن يقوم المتهم بعرض قضيته في خطاب طويل .

النوع الرابع الخطابة العسكرية

أحاط الناس منذ القديم بقيمة القوة المعنوية بجوار القوة المادية . ولذلك اهتموا بها ، ومن هنا عينوا الخطباء للجيوش ، وألزموهم بمعايشة الجنود في حياتهم .

إن اليونان هم أول من وضع الخطباء على قمة الجيش . حيث أسندوا لهم القيادة فعينوا " كلبون " قائدا للجيش . وعينوا " نيموستين " قائدا لهم في حرب فيليب .

وعرف العرب ذلك فكثرت فيهم خطب الحمض على القتال والأخذ بالثأر .

وسجل تاريخ الخطابة نماذج مختلفة لخطب المناهرات . والدعوة إلى الحرب . عند سائر الأمم ، والإسلام بدوره دعا إلى الجهاد العادل . وأمر الله رسوله به فقال تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ حَرَّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴾ . وفي محاولات تحريض النبي ﷺ لأصحابه برزت خطبه العسكرية ، داعية إلى الجهاد في سبيل الله من أجل نصرة الحق . ونشر الدعوة . وإنقاذ المنيذرين والضعفاء في هذا العالم الذي لا يؤمن بحق الغير إلا بالقوة . ولا يفكر في المصلحة إلا إذا خاف . إن الجهاد الإسلامي حماية للحق ، ورد العدوان ، وصيانة الدعوة والدعاة . ولولاه لاجتاحت الظالمون الإسلام ودياره ، وهو ليس قتالا فقط . ولكنه كما يكون بالسيف يكون بالكلمة . بل إن الجهاد بالكلمة في بعض الأحيان أوجع

ولنجح . يقول النبي ﷺ : "جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم" ^١ فتجدد يأمر بالجهاد قتالا وكلاما ومالا .

إن شحن المجاهدين إلى هدفهم عمل عرفته سائر الأمم . ومنه ظهرت للخطبة العسكرية التي يلقيها الفأدة ، أو بعض الجنود ، أو وعاظ الجيش . وعلى الجملة فهذا النوع من الخطابة يتميز بالخصائص التالية :

أ - الفخامة اللفظية :

ذلك لأن الفخامة اللفظية تزكى القوة في نفسية المستمعين وتقفهم إلى الالتزام بالموضوع الذي يدعونهم إليه .

ب - وضوح الهدف :

تهدف الخطابة العسكرية إلى شحن الجنود نفسياً لقتال عدوهم الذي يحتل أرضهم ، ويهدد دينهم وكرامتهم . ولذلك نجدها واضحة في وجهتها ، ودائماً تركز على موضوعها الواحد وإن اختلفت صور التركيز . فمثلاً تأتي مرة في عقيدة العدو وأهدافه ، وأخرى في طبيعة جنوده وضعفهم ، وثالثة في أسلحة العدو وعدته ، ورابعة في المقارنة بين الأهداف ... وهكذا تكثر الصور إلا أنها تتركز في موضوع واحد واضح هو تقوية الجنود معنوياً تجاه عدوهم .

ج - بيان أثر الحرب :

يبين الخطيب العسكري لجنوده الأثر المترتب على الحرب التي يحرض جنوده عليها . ويذكر أنها شرف يجب السعي إليه . لأنها حماية للعرض والوطن والدين . إن الأمة اليابانية فائتت بروح وثابة في الحرب العالمية الثانية لأنها عرفت الأثر المترتب على صعودها .

١- رواه أحمد في مسنده وابن حبان في صحيحه عن أنس * الجامع الصغير * ج١ ص ٢٤٥

والأمة الإسلامية الأولى حاربت وضحت لأن الأثر كان هو حماية الدعوة ، ونشر الإسلام .
وفي العصر الحديث نشب حروب كثيرة لتتصغر فيها الأقطان أحيانا لوضوح الأثر المترتب على الحرب أمامهم ، ومن هنا ترى أن الخطبة العسكرية لابد أن تكون بينة الأثر .

د - الارتباط بعقيدة قتالية :

الخطبة العسكرية الموافقة هي التي ترتبط بعقيدة قتالية معينة لأن العقيدة هي المشعل الحي للمقاتل ، وحينما يحل المراقبون حرب يوليه سنة ١٩٦٧ بين العرب وإسرائيل يرى أن وضوح العقيدة عند الجنود الإسرائيليين ، وارتباطهم بها هو الذي ساعدهم على النصر في وقت كان الجنود العرب لا يرتبطون بعقيدتهم رغم أن عقيدتهم هي الحق .

ولما تغير الحال وارتبط الجنود العرب بعقيدتهم الإسلامية في حرب أكتوبر سنة ١٩٧٣ تغيرت النتائج وانتصر العرب على الإسرائيليين .

إن أحد الدروس المستفادة من هذه الحرب هو إحياء العقيدة القتالية عند الجنود .

إننا ندافع عن أرضنا . ونحمي مقدساتنا . ونذود عن ديننا ، وهل هناك شيء أعلى من بعض هذا إن لم نقل من جميعه .
إن ارتباط الخطبة العسكرية بعقيدة قتالية سمة هامة فيها . ولو خلت منها لقل أثرها . وأصبحت بلا فائدة .

علاقة الخطبة العسكرية بخطة الجيش :

يسير كل جيش وفق خطة معينة ، ويتبع تكتيكا مرسوما . ويجب أن لا

يتناقض الخطب مع التخطيط بشكل عام ، ولكن ليس بالآزم أن نتناوله بالتحليل لأن التخطيط من عمل القادة وحدهم .
وأما الخطبة فهي تعبئة معنوية للجنود من أجل دفعهم إلى طاعة القادة . وتنفيذ الأمر ، والصمود حتى النصر أو الموت .
إن طارق بن زياد رضي الله عنه خطب جنده بعد أن عبر بهم البحر . وبعد أن رسم خطته في ذهنه التي كسر بها السفن . ولم نجده يتناول خطته في خطبته . ولكنه أشار إلى المحسوس . ولم يتناقض معها في شيء .
وهكذا يجب أن يعيش الجنود ظروفًا واحدة لهدف واحد .

النوع الخامس الخطابة الاجتماعية

وهي الخطب التي تلقى في المحافل والمجالس لغرض من الأغراض التي لها ارتباط بالنشاط الإنساني كتكريم شخص ، أو تهنئة في مناسبة سعيدة ، أو تعزية في وفاة ، أو تبريك زواج ، أو في إصلاح ذات البين . وكل هذا يعرف بالخطابة الاجتماعية ونحن هنا سوف نعرف كل نوع مبيتين خصائصه الفنية .
(أ - خطب التكريم)

وهي التي تقال من أجل مدح شخص جزاء فضله وعظمته . وهي تكون في مناسبة خاصة به . كأن تكون في يوم عيد ميلاده . أو في يوم ترفيته فسي منصبه ، أو بمناسبة نقله إلى عمل آخر . أو في مناسبة إحالته على المعاش ... وكل هذا عرف بخطب التكريم لأنها تتعلق بمدح طيب . ووصف كريم . وهذه الخطب أرقى أنواع الخطب الاجتماعية . لأن الخطيب يبذل فيها جهدا كبيرا من أجل الوصول إلى قلب من يوجه الخطبة له .

ومن قديم والعرب تشترط في هذا النوع الإعداد الدقيق . والدربة الطويلة يقول الجاحظ : " إن ابتليت بمقام لا يد فيه من الإطالة فقدم أحكم العبارات ليلوغ المراد من الحديث في شرف المحتفل به ، وإياك أن تعدل بالسلامة شيئا . فإن قليلا كافيا خير من كثير غير شاف " .

وفائدة خطب التكريم تعود على الشخص المكرم سعادة وفرحا . وعلى غيره من المستمعين حيث يعملون ليكونوا مثله في التكريم والتقدير .
وخطب التكريم تتميز بالخصائص التالية :

١ - مناسبة المقام طولا وقصرا : تختلف المناسبة عن غيرها . ففي الوقت الذي نرى فيه وقتا طويلا يخصص للتكريم فسي

بعض المناسبات . نجد وقتا قصيرا للبعض الآخر . ومن هنا
وجب أن تناسب خطب التكريم الوقت المخصص لها فتطول
وتقصر تبعاً لذلك .

٢- التركيز على صفات المكرم : هذه الخطب مديح يوجه إلى
شخص معين . ولا بد لها أن تتضمن بالتفصيل صفات
الشخص المكرم . على أن نتناولها مقدمين ما وضع على ما
خفى . وما عظم على ما كان أقل منه . ويجب أن يكون
واضحا أن تعداد الصفات هام جدا لأن ذلك يحقق السعادة
والسرور للشخص المكرم . وذلك هو الغرض الأساسي
للتكريم .

٣- المبالغة في الوصف : لا يقف علماء الفن ضد المبالغة في
خطب التكريم بل يخترون بعض المبالغة فيها بشرط أن
يكون لها ارتباط بالواقع . يقول أرسطو : " وقد ينبغي أن
نأخذ في المدح تلك القريبات من الأمور كأنها هي بأعيانها .
كقول الغائل : " إن الزاهد حسن المشورة ، أو أن الفاسق
له حسن العشرة ، أو أن الغي حليم أحيانا فيوصف كل واحد
من هذا النحو بالذي يلزمه أبدا من جهة الفضيلة " .
ويوضح ابن رشد قول أرسطو هذا فيقول : " وينبغي أن نأخذ
الأمور القريبة من الفضائل فيمدح بها لأنها توجد عنها
أفعال الفضائل . ومثالها الغي الذي قد يكون عنه أفعال
الحليم فيوهم به أنه حليم ، وكذلك المتهور قد يوهم فيه أنه
شجاع " .

١- الخطابة ص ٤١

٢- تلخيص الخطابة ص ٧٨

وهكذا نادى العلماء بجواز المبالغة بشرط أن يكون لها ارتباط
بالأفعال المكرم ، وأن تكون منتجة للخير والفضيلة . لأن
إطلاق المبالغة يفتح باب الكذب والتناقض وهذا مسالاً لرضاء
خطية لنفسها .

٤- الإطناب : تحتاج خطب التكريم غالباً إلى الإطناب لأنها تريد
التفصيل في الصفة ، والتعداد لسائر الصفات . ويجب أن
يوضع التفصيل والتعداد في شكل ينمى الصفة ويعظمها .
يقول ابن رشد : " وينبغي أن يستعمل في المدح الأثنياء
التي يكون بها تعظيم الشيء وتتميمته . وهو أن يتخيّل في
الشيء أنه بالقوة أثنى كثيراً . كما يقال .
إنه أول من فعل هذا .
أو أنه وحده الذي فعل هذا .
أو أنه فعل هذا في زمان يسير ما شأنه أن يفعل في زمان
كثير .

فإن هذه كلها مما يفيد عظم الفعل^١ .
٥- قوة التأثير في المستمعين : هذا النوع من الخطابة وصلى
دائماً . ولذا فعليه أن يتمتع بالأسلوب الرائع ، والتركيب
المؤثر . كما أن عليه أن يهتم بالتأثير المعنوي في المستمعين
فيوجه إليهم ببعض قوله . فيذكر موطن المكرم بالخير ،
ويبين فضل أهله وأترابه في تشليلته وتكوينه .
يقول ابن رشد : " وينبغي أن يمدح كل إنسان بما هو
مدح عند قومه وأهل مدينته " .
ومن الأمور المؤثرة في المستمعين الاستدلال بالمقدمات

الموجودة في عقيدتهم لأن ذلك أدى إلى الانتباه واليقظة .
يقول الجاحظ : " إن العرب كانوا يستحسنون أن يكون في
الخطب يوم الحفل . وفي الكلام يوم الجمع أي من القرآن .
فإن ذلك مما يورث الكلام البهاء والوقار ، والرنة وحسن
الوقع "١ .

٦- وضوح الخطبة : يحسن لهذا النوع أن يكون واضح الأسلوب

مفهوما للمستمعين . مرتب العناصر .

وأخيرا فنحن لا ترتضى لخطيب المدائح أن يقصر قوله على السرد
التاريخي للشخص المكرم . لأن ذلك يدفع إلى الملل . ولا يصنع للتأثير
المطلوب ولكننا نطالبه بأن يتخير أحداثا مؤثرة ومثيرة ويركز عليها . وبذلك
يفيد المكرم : ومن يريده أسوة لنفسه ولغيره من المستمعين .

(ب - خطب التأبين والتعزية)

وهي الخطب التي تقال في فقد شخص له خطرته الاجتماعي ، وقد تكون
لشخص عادي .

ويجب أن يلاحظ أن خطب التأبين تفرق عن خطب التعزية . وذلك أن
خطب التأبين يتجه فيها الخطيب إلى الميت . يعدد مناقبه وسجاياه التي طواها
الغير ، ويصور ما خلفته الفاجعة من الحسرة والأسى في القلوب . ثم يطلب
للفقيد الرحمة ، ويدعو لأهله بالصبر . فيعزيهم بذلك عن فقده ويدعوهم إلى
التزجر بالصبر . وللتجدد أمام هذا الخطب . ثم يتجه إلى الفقيد يعدد مناقبه .
ويبين للوعدة التي تركها في أهله ومحبيه بعد فقده "٢ .

وتتميز خطب التأبين بصدق المشاعر . وملازمة الحقيقة لأن الخطيب
فيها أحد أقرباء الفقيد . ولا يتجه بها إلا إليه إرضاء لنفسه . وإشباعا لغيره .

١- البيان والتبيين ج ١ ص ١١٨

٢- الخطبة العربية في عصرها الذهبي ص ٢٣٦ ، ٢٣٧ بتصريف

ولوعته . وكلما كان الخطيب أشد قربا من المفقود تلمح فى كلامه صدق
العاطفة . وحرارة التعبير .

كما تتميز بالأسلوب المؤثر لأنها تشتمل تلقائيا على الصور المتعددة من
علوم البلاغة . لدرجة أن الخطيب يضمن قوله كثيرا من الشعر المحفوظ أو
المرتل إن كان من أهل صناعته .

أما خطب التعزية فإنها لا تكون بالضرورة من خطيب قريب للفقيد . بل
إنها تكون من القريب والبعيد . ولذلك نجدها تتميز بالمبالغة التى يتقرب بها
الخطيب لأهل الفقيد . ونجد فيها أثر الصنعة والتكلف .

ومن ملاحظتنا العملية نرى أن الخطباء فى التأيين والتعزية يخرجون
كثيرا عن الحقيقة فيظهرون الفاسد صالحا طمعا فى جاه أو مال ، كما أنهم فى
بعض الحالات لا يلتزمون بجلال المناسبة فيخطبون بين المعزين فى
موضوعات السياسة أو الوعظ ، وهذا عمل غير سديد ، والواجب هو التركيز
على جلال الحدث لأن الموت يهز النفس ، ويحرك الوجدان ، والتركيز مفيد
للأحياء . فإن كان ولائد من خروج . فيلكن يربط الموت بالحياة . فإن التعريف
بالموت أكبر خاتم لإصلاح الحياة " وكفى بالموت واعظا . وكفى باليقين غنى " ^١
و " وكفى بالموت مزهدا فى الدنيا . ومرغبا فى الآخرة " .

(ج - خطب الزواج)

وهى الخطب التى تلقى فى مناسبات النكاح وعقد الزواج . وقد جرت
العادة فيها منذ القديم أن يرد أحد أقرباء الزوج أو الزوجة على الخطيب بكلمة
موجزة تعرف بالمجاوبة والشكر . وهذا النوع قديم منذ وصول الإنسان إلى
تنظيم الزواج ليبين للمستمعين قيمة الزواج وأهميته .

وتكاد خطب الزواج أن تُلزم صورة واحدة تتميز بالآتى :

١- رواه الطبرانى فى الكبير عن عمر . الجامع الصغير ج٢ ص١٥١

٢- رواه أحمد فى مسنده عن الربيع بن أنس . الجامع الصغير ج٢ ص٥١

- ١- جلوس الخطيب وسط الناس : حيث نراه دائما يجلس بلا إعداد مكان . لأن المناسبة لا تتكرر في مكان واحد . يقول الهيثم بن عدى : " إن الخطباء لم يكن يخطبون جلوسا إلا في خطبة النكاح " . وكان لذلك أثر في مشقة الخطبة وعسرها . لأن قرب الخطيب من الناس . وجلوسه بينهم يجعلهم كمنظراته وأنداده .
 - ٢- التزام الافتتاح الديني : فيبدأ الخطباء فيها دائما بالحمد لله والتشهد .
 - ٣- مدح العروسين : حيث تشمل سائر الخطب على مدح العروسين وبيان مزاياهما . والتوافق المنشود بينهما .
 - ٤- التوصية : لا تخلو خطب الزواج من توصية للخطيبين بمراعاة حقوق الزوجية وواجباتها .
 - ٥- بيان فائدة النكاح : وذكر الفائدة عنصر هام يتجه به إلى العروسين وإلى المستمعين تشجيعا لهم على الزواج كسبا لفوائده . وقد كان لبعض الخطباء عبارات ثابتة يكرونها عند أى زواج يخطبون فيه ، وبالطبع تكون خطبهم عامة وموجزة كقول الحسن البصرى بعد حمد الله والثناء عليه :
 "أما بعد فإن الله جمع بهذا النكاح الأرحام المتقطعة .
 والأكساب المتفرقة . وجعل ذلك في سنة من دينه . ومنهاج من أمره . وقد خطب إليكم فلان . وعليه من الله نعمة .
 وهو يبذل من الصداق كذا فاستخبروا الله وردوا خيرا
 رحمكم الله"١ .
- وعلى الجملة فإن هذا النوع من الخطابة يتفق في الجملة مع

ما سبق ذكره من خصائص الخطبة الوعظية .

(د - خطب الإصلاح)

وهي الخطب التي تقال في مناسبات الإصلاح بين الناس . وقد جرت العادة في العصر الحديث أن يجتمع المتخاصمون في مكان عام ، ويحضر معهم بعض المسؤولين ، وأحد الوعاظ الذي يقوم ويخطب خطبة الإصلاح . وهي خطبة وعظمية في حقيقتها . إلا أن المناسبة وطريقة إلقائها . ومكان الإلقاء هو الذي جعلها جزءاً من الخطابة المحظية .

وخطب الإصلاح تتميز بما يلي :

١- الإطالة : والإطالة في هذا اللون مرغوب حتى يقتنع

المتخاصمون ويضعو حداً للتنازع فيما بينهم . بقول الجاحظ:

" أما خطب إصلاح ذات البين . فالإكثار في غير خطب .

والإطالة في غير إمال . "

٢- الدعوة إلى التواصل : وهذه الفكرة العامة التي تدور عليها

الخطبة الإصلاحية لأن ذلك هو هدفها الوحيد .



وهكذا تكون الخطب المحظية . وبها تنتهي من بيان خصائص الخطب

وفق التقسيم الحديث .

المبحث الخامس

بين الخطبة وأشباهاها من فنون القول

الخطبة أقوال مؤثرة ومقنعة . تساق من أجل تحقيق هدف معين وتتنوع إلى أنواع عدة ، ولكل نوع خصائصه ، ووظائفه . وهي في جملتها تعمل على خدمة الإنسان بمناقشة قضاياها وتقديم الحلول المناسبة لها ، ومحاولة إقناعه بالمعروف وإبعاده عن المنكر بأسلوب بين ، وبرهان سديد .

وحتى يتمكن من إعداد الخطبة الجيدة فإننا نحاول تعريف الخطيب ، بخصائص الخطبة ، وتمايزها عن سائر الفنون الكلامية منطوقة أو مكتوبة ... حتى يتمكن من إعداد الخطبة على الوجه الذي نرجوه له ، ونتمناه منه .

ولما كان الأمر هكذا فإننا نجد أن للخطبة أشباهاها من فنون القول الأخرى وبينهما وبين كل منها التقاء في بعض الجوانب ، واختلاف في جوانب أخرى ، وفي هذا المبحث سنبين بإذن الله تعالى أهم الفروق الموجودة بين الخطبة وبين الأقوال الأخرى نذكرها إحاطة بها ، وتمييزا للخطبة عن غيرها ، وتعريفا بهذه الفنون الأخرى .

وأبضا فإن الخطبة وسائر هذه الفنون القولية هي كلمات الداعية إلى البشر ، ولابد من إحاطته بجميعها . ليسائر التطور العلمي للإعلام والدعوة . وبملك القدرة على تبليغ الدعوة ونشرها بين الناس أجمعين بالخطبة ، وبسائر هذه الفنون وذلك .

وسوف يتضمن هذا المبحث تناول ما يلي :

- ١- بين المناقشة والخطبة .
- ٢- بين المحاضرة والخطبة .
- ٣- بين المناظرة والخطبة .
- ٤- بين النرس والخطبة .

بين المناقشة والخطبة

لا نقصد بالمناقشة الجدل العارض ، والحوار الذي يدور بين الناس خلال عملهم ونشاطهم ، ولكننا نقصد به الصورة العلمية المنظمة التي وضع علماء الاتصال أسسها وقواعدها .

إن المناقشة فن من فنون القول له أصوله العلمية . وتطبيقاته العملية . وفوائده الكثيرة في مجال الاتصال والتوجيه . جاء في مقدمته كتاب " فن المناقشة " أن علماء النفس الاجتماعي توفروا على بحث فن المناقشة . ووضعوا له أصولا محكمة . حتى كاد أن يكون علما مستقلا . وتحدثوا عن الأطراف المشتركة ، في النقاش من ناحية عددهم ومسئولياتهم سواء كانوا هم المنظمين للمناقشة أو المتحدثين فقط ، وبينوا مسئوليات كل من الرائد والأعضاء وحقوقهم . والشروط التي بها تسير المناقشة سيرا مثمرا . ووضعوا الوسائل العملية التي يمكن بها ضبط اتجاهات المناقشة . وتقويم نتائجها^١ . والمناقشة العلمية عبارة عن أقوال جماعية يقوم بها عدد لا يقل عن ستة ولا يزيد عن عشرين لتسهل المناقشة ويتمكن الجميع من المشاركة . ويمكن الاتفاق .

والغرض العام من المناقشة توفير أكبر قدر ممكن للدراسة الجماعية وتبادل الأفكار حول موضوع يهم الجماعة وإيجاد الحلول المناسبة له . وقد اشترط العلماء لنجاح المناقشة وجود موجه . وملاحظ مع الجماعة والموجه هو قائد مجموعة المناقشة ، ويجب أن يكون مخلصا للفكرة ، محبوبا من الجميع ، واسع الأفق . ودوره هو استخلاص الرأي من المجموعة ، ودفع الجميع للمشاركة بلا حرج أو تردد .

١- فن المناقشة ص ٣ ، وفي الكتاب تحليل واف المناقشة العلمية

والملاحظ : هو الذى يسجل كل ما دار فى المناقشة من أجل تقييمها بعد ذلك لتدارك أى تقصير ، والاستفادة بأى بادرة طيبة .
والجماعة هى التى تقوم بالمناقشة ويجب أن يعدوا للموضوع . ولن يهتموا به . وأن يدرسوه دراسة مفيدة ومقنعة .
وعلى ضوء دراستنا للخطبة فإننا نلاحظ أنها تتفق مع المناقشة فيما يأتى:

- ١- كلاهما قول معد . يهدف الإقناع والاستحالة ، ونشر المعروف .
- ٢- كلاهما يخدم الناس لأنه يعايش مشاكلهم . ويهتم بإيجاد حلول لها.
- ٣- كلاهما يحتاج من قائله إلى الإخلاص . ومسعة الأفق . ومحبة الجماعة .

وأيضاً فإننا نجدهما يختلفان فيما يأتى :

- ١- الخطبة يؤدبها شخص واحد بينما المناقشة يؤدبها أشخاص لا يقل عددهم عن ستة ولا يزيد عن عشرين .
- ٢- الخطيب وحده هو الذى يعد خطبته وهو الذى يقيمها بعد لقائها ، بينما المناقشة ينظمها الموجه . ويقيمها الجميع اعتماداً على مشاهداتهم الشخصية . وما دونه للملاحظ .
- ٣- إذا أورد الخطيب قصة جدلية فى خطبته . فهذه ليست المناقشة العلمية التى نحن بصددنا لأنها تنور على لسان شخص واحد بينما المناقشة تدور على السنة جميع الحاضرين .
- ٤- أدلة الخطبة أمور محفوظة أو مكتوبة يقرأها الخطيب نفسه بينما أدلة المناقشة تكون هكذا ، وتكون بصور أخرى

كالرسوم الإيضاحية والأفلام المسورة ، والتسجيل الصوتي.

والمناقشة ليست هي المناظرة لأن المناقشة في هدف واحد . واتجاه نسبة واحدة . وتكون تعاوناً بين أشخاص عديدين . بينما المناظرة توجه المتخاصمين إلى موضوع واحد بهدف مغاير لكل منهما . حيث أن كلا من المتخاصمين يريد إثبات عكس ما يريد الآخر .

والمناقشة وسيلة ناجحة للوصول إلى غرض معين .

والمواعظ الداعية يمكنه أن يستفيد بهذا الفن الذي توصلت إليه الحضارات الحديثة لأن تطور العلوم يلزم الدعاة بضرورة مسايرة التطور في الأسلوب ، والوسيلة ، والحركة لا في أصول الدعوة . ليتمكنوا من الوصول إلى الناس أجمعين بدعوتهم .

والندوة العلمية . نوع من المناقشة إلا أن عدد المشاركين فيها قليل ، ويقوم المشاركون فيها بمعالجة قضية عامة ، أما المناقشة فإن عدد أفرادها أكبر ، ويمكن الاستفادة بها في كل القضايا التي يعيشها الدعاة في مجتمعهم الصغير ، وفي كل وقت يريد ، والمسجد متسع لعقد حلقات المناقشة .

وتفيد المناقشة في تبادل الآراء . وفهم الآخرين . وإرضاء المعارضين وزيادة المعلومات . وتحقيق الكرامة لكل فرد . وتعبير عن كل المواطنين الوجدانية . وتحل المشاكل بصورة ملزمة للجماعة لأن الجماعة هي التي اتخذت القرار . وأيضاً فهي توسع دائرة الشورى بين المتناقشين وتعلم الجماعة ضرورة الشورى .

إن المناقشة صورة ديموقراطية ثقافية ، والمشاركون فيها يمثلون المجتمع الذي يعيشون فيه ... وأي مشكلة وأي موضوع بهم الجماعة في أي مجال معنوي أو مادي يمكن إيجاد الحلول له بواسطة برلمان المناقشة ... ويسا حبذا لو تبنت الدولة تنفيذ الوصايا والمقترحات التي يتوصل إليها المناقشون لأنها تمت بصورة جماعية .

والموجه قائد لا يتطرف ولا يفرض رأيه . ويساعد الأعضاء على القيام بدورهم ، فإذا وجد عضوا خجولا جذبته إلى المناقشة بالأمثلة التي تحتاج إلى إجابة مطويلة ، وإذا وجد عضوا ثرثارا سمح له بقدر معين من الوقت ، وعليه أن يتصرف مع المشاغب ، والشكلى ، والمهرج ، والمتحمس ، كل بما يناسبه بما يضمن المناقشة الجماعية المفيدة التي سبقها التفكير في الموضوع المعين والاستعانة بالمعلومات من مصادرها الأصيلة .

ويجب أن لا يتخيل البعض أن المناقشات التي تدور بين أصحاب المهن وأصحاب العمل . أو بين طلبة فرقة دراسية . هي المناقشة التي نتكلم عنها . لأن هذه المناقشات تسير بطريقة عشوائية . وفي غير موضوع محدد . ولا تنتظر نتيجة ، وليس فيها موجه أو ملاحظ .

إن المناقشة فن فولى تروى . يعالج كثيرا من المشاكل التي يصلحها هذا الأسلوب .

بين المحاضرة والخطبة

يختار المحاضر موضوعه مما يعرض له من مشاكل الحياة والناس ، وهذا يجعله قريباً من قلوب الناس . محبوباً لديهم .

ويجب أن يكون الموضوع المختار مدروساً دراسة وافية مستفيضة ، بعد تحضير طويل وعميق ، محللاً إلى عناصر بارزة . وخطوات واضحة مرتبة ترتيباً طبيعياً . ينتقل بالسامع من حلقة إلى حلقة . ويفضى في النهاية إلى ختام يستحسنه المستمع .

والذي يقوم بإلقاء المحاضرة هو الشخص الذي حضر الموضوع وجهزه وفي أحيان قليلة نادرة يقوم بإلقائها شخص آخر لزيادة عن المحاضر إن تعذر حضوره .

والمحاضرة عادة تكون من أهل التخصص الدقيق وتلقى في جمهور يهتم بموضوعها ، ويصاحبها استعداد خاص كتجهيز مكان . والإعلان المسبق عن موضوعها .

وقد ذكر الأستاذ البيه الخولي تخطيطاً لمحاضرة في موضوع "مقومات الإنسان الفاضل" نوجزها هنا استفادة بها لأهميتها ، ولأنه استخرج العناصر بعد تفكير شامل في الموضوع وعرض طريقة التفكير ومراحلته أمام القارئ ليستفيد بكيفيته ، وكأنه كان يفكر بصوت عال . يقول :

" إن من السهل عليك أن تقرض في هذا الإنسان الفاضل أن له رسالة في الحياة يعمل جاهداً لتحقيقها وهو عزيز ولذلك فهو عبد عزيز له رسالة . أما الرجل الذي يعيش بلا غاية معينة . ولا مبدأ معروف فهو من السوائم المهمة " .

وأخيراً لابد لعبد العزة والرسالة من العلم . ليكون من أمره على بصيرة وهدى ومن لا علم له لا يبصر له ، ولا رسالة له ، ولا يعرف حدود عزته .

يجب أن يكون واضحا أننا نقصد بالعلم هنا العلم بالله عز وجل فهو
يرزق عبده للعهز والكرامة .

ويتم العلم بالله تعالى عن طريق التأمل في السماء وما فيها ، من عجيب
صنع الله وآياته ، والأرض وما أحدث فيها من كائنات وأثار ، وما بين السماء
والأرض من ظواهر كونية ، وما أفاض علينا من نعم فسي أبداننا وأرزاقنا
ولسرار نفوسنا وطباعنا ... إلى غير ذلك مما يفضي بنا مع النظر والاعتبار
إلى الله عز وجل .

وهذا العلم الحق الذي يجب أن نتجه إليه جهود الإنسانيّة هو الذي
يوصلنا لله تعالى ، وكل علم لا يوصل إلى الله فهو علم لا بركة فيه .

وليس معنى ذلك أننا نترك تعلم الصناعات ، وطرق معالجة الأشياء
للعيش وتآكل . بل المقصد هو أن علم الرجل الفاضل يقصد به دائما ربه ،
ويجعل عرضه الأعلى فيه الله عز وجل سواء كان علما دينيا أو علما دنيويا .
فدعائم بناء المحاضرة إذا هي :

عزة .

ورسالة .

وعلم .

فإذا وضع المحاضر ذلك إقتنع السامع بالمحاضرة ، ويمكن المحاضر
أن يقسم هذه الدعائم الأساسية إلى عناصر ، ويستحضر لكل عنصر ما يؤكد
من كتاب الله ، ومن سيرة رسوله ﷺ قولاً وعملاً ، ومن سيرة صحابته . ومن
حركات التاريخ ، وحوادث الزمان التي تسمع . أو تقرأ . أو تشاهد .
ومن العناصر أن المحاضر ينظر في الدعائم فيجد أن العزة معناها ألا
ينزل المرء لمخلوق مثله . ويجد أن الإسلام يغرس العزة في نفس المسلم . لأنه
من ناحية ابتغاء المنافع والخوف على الأرزاق قد علم أن رزقه في السماء ،
وما كان في السماء فهو مصون ، بعيد عن أن تتناول إليه يد عابث في
الأرض ، ولا بد من الحملة على الرجل الذليل بمقارنته بالرجل العزيز .

ف نجد أن عناصر العزة هي تعريفها ، والعوامل التي تحافظ عليها ، وفوائدها والأضرار التي يقع فيها من لا يتمسك بها . وعلى ضوء عناصر الدعامة الأولى تكون عناصر بقية الدعائم . وعلى نمطها يتمكن المحاضر من تقسيم موضوعه أيا كان إلى دعائم . ثم يقسم الدعائم إلى عناصر .

ويجب أن يتحكم العقل في استنباط الدعائم ، وترتيب العناصر . وفي جمع الشواهد . وفي سوق الحديث ، ويجب أن نتحكم في كل ذلك العقلية العلمية العملية الواعية .

وعلى المحاضر أن يحذر من بيان تقسيم موضوعه في المقدمة ، أو بيان حقيقة عناصره ، أو ينحو نحو التقسيمات الفلسفية ، أو التعميق النظري . ففي الموضوع الذي حللناه . لم يذكر كل شيء فيه ، ومن السهل أن يحلل المحاضر موضوعه بوجه آخر . ولكل محاضر أن يأخذ الجوانب التي يراها مفيدة في موضوعه وفي مستمعيه .

وعلى ضوء ما ذكر نرى أن المحاضرة تشبه الخطبة في أنها تقصد إقناع الناس ، وإنها تعتمد التقسيم العقلي والعلمي لموضوعها . وأنها تحتاج للإثبات والتفنيد ، وأنها تحوي أقساما تشبه الأقسام التي تحتوي عليها الخطبة . كما أنها تتخذ موضوعات متنوعة تجعلها تتلوع إلى محاضرة سياسية واجتماعية ودينية .

ومع ذلك فإننا نلاحظ فروقا بين الخطبة والمحاضرة نذكر أهمها فيما

يلي:

١- موضوع المحاضرة أكثر سعة من موضوع الخطبة . لأن التقسيم يبدأ في المحاضرة بالمبادئ ثم تقسم المبادئ إلى عناصر . بينما الخطبة تقسم إلى عناصر ابتداء . وعلى ذلك فالمحاضرة أقرب

- إلى البحث العلمى . المطول ، المكون من أركان وفروع وأطراف
بينما الخطبة تشبه البحث العلمى القصير المكون من عناصر قليلة .
- ٢- يغلب على المحاضرة أسلوب تقرير الحقائق وتثبيت المعانى .
والاعتماد على المنطق ، والتحليل ، والتوضيح . أما الخطبة
فيغلب عليها صيغة إثارة العواطف والمشاعر . وتهيج الدوافع
والانفعالات بجانب الأدلة العقلية ، والبراهين التحليلية .
- ٣- عناصر المحاضرة أشبه بالقواعد والمبادئ الأساسية . أما عناصر
الخطبة فأشبه بالخواطر العارضة . والمعانى الطارئة .
- ٤- المحاضرة تستغرق وقتا طويلا . ومن الممكن تقسيمها على عدد
من الأيام ، أما الخطبة فوقيتها قصير . ولا تحتمل تقسيما واسعا
لأنها لا تصلح إلا لوقت واحد تلقى فيه .
- ٥- جمهور المحاضرة من الخاصة غالبا بينما جمهور الخطبة من
سائر الطوائف .

ومع وجود هذه الفروق بين الخطبة والمحاضرة فإننا نلاحظ أن
المحاضرة أقرب شيئا بالخطبة من المناقشة لأن المحاضرة يعدها ويلقيها
شخص واحد كالخطبة بينما المناقشة تحتاج إلى عدد من الأفراد لكل منهم دوره
وظائفه فى المناقشة .

وعلى الخطيب الداعية أن يعقد بين الحين والآخر محاضرة فى موضوع
يختاره ، ويدعو إليه الناس لكي يكون فى أسلوبه لأن ذلك لجدى لدعوته وأكثر
فائدة فى مهمته .

بين المناظرة والخطبة

المناظرة فن من فنون القول الهامة التي تفيد إتساع المعارف والمعارضين ، وهي حوار بين طرفين في موضوع واحد . كل منهما يقصد إثبات عكس ما يقصده الآخر . حيث يرى أنه هو الصواب ، ولا بد أن يكون هدف المناظرة هو الوصول إلى الحقيقة في الموضوع لأنها لو بعدت عن قصد إثبات الصواب تتحول إلى سفهة وجدل لا طائل من ورائها .

والمناظرة تغاير الخطبة لأن الخطبة من قائل واحد للمستمعين يواجه الجمهور لإحاطتهم بموضوع اختياره وأعدله ، بحيث يتصل هذا الموضوع بواقع الناس وأن لم يعلموا به سلفاً ، بينما المناظرة يقوم بها أكثر من طرف على النحو السابق . في موضوع معين يعلمه الناس ، مجيئهم للمناظرة لاهتمامهم بهذا الموضوع وحاجتهم إليه .

والخطيب قد يجد نفسه في مناظرة بعد إلقاء الخطبة والانتهاؤها منها إذا واجهه معارض أو ناقد ، وحينئذ يجد نفسه قد انتقل من كونه خطيباً وصار مناظراً ، الأمر الذي يحتم عليه أن يكون مستعداً لمثل ذلك أثناء إعداد الخطبة . وعلى المناظر أن يراعى ما يلي :

أولاً : أن يترك كل رغبة في الغلبة والانتصار على مناظره بلا حق ، أو باستعمال القهر والسطوة . لأن هدف المناظر العلمية هو الحق دائماً ، حيث أن المناظر الأولى يأتي بالدليل المستلزم للمطلوب المؤيد للقضية ، وبذلك يتقدم لخصمه بالقضية ودليلاً ، والمناقشة التي تؤدي قضيتها .

والمناظر الآخر يزد بمنع الموضوع ، أو ينقض الدليل ، أو بإيراد موضوع مغاير بدليل آخر على نقيضه . أو يمنعه بطلب دليل على مقدمات للدليل الأول وهكذا يستمر الحوار بين المناظرين . ولكل منهم أن يلجأ إلى واحد من الطرق المقررة في علم المناظرة وهي :

- بالمتع وذلك برد الموضوع وعدم مدافضة الدليل ليدور الحوار حول الموضوع .
- أو بالنقض وذلك برد الدليل لضعفه ، أو توجيه معناه إلى غير ما استدل به ، أو لتعدد دلالاته ...
- أو المعارضة وذلك بإيراد دليل آخر يثبت خلاف ما بثبته الدليل الأول .
- أو بالنفي المطلق للقضية ودليلها وإنسأت ما يريد بأدلتها وموضوعه .

وهكذا حتى يصل المتناظرون إلى الصواب.

- ثانيا : على المناظر أن يترك الحديث عن النفس . لأن الناس يكرهون من يتحدث عن نفسه . وعليه أن يتحلى بالتواضع والإقبال على الموضوع بعقل منفتح وذهن سليم لأنه حين يتحدث عن نفسه بعيدا عن الموضوع ينصرف للناس عنه ، ويمهلون قضيته وبذلك ينتصر الطرف الآخر .
- ثالثا : للمناظرة أصولها ، ويجب أن يعرفها ويتبعها المناظر الداعية لكي يصل إلى نتائج طبيعية . ولا يتحول إلى مجادل يقصد إلزام الخصم فقط . ولا يصير مكابرا يهدف العناد فقط حتى لا يضيع الوقت سدى .

بين الدرس والخطبة

جرى العرف بين العلماء أن الدرس الدينى هو ما يؤديه الخطباء الوعظيون فى دور العبادة فى صورة شرح آية . أو تفسير حديث . أو عرض موضوع من السيرة النبوية . أو ذكر أقصوصة تاريخية من تراث المسلمين الصالح ، وهناك الدرس المنهجى الذى يرتبط بعلم معين ، ومدرس خاص ونظام معين ، وهناك الدرس الإعلامى وهو حديث الظهور حيث يجلس المذيع مع مجموعة من الناس لعرض موضوع معين ، والسماح لهم بالتعليق والسؤال ، وإيراد ما يرون من آراء وهو أشبه بالمتناقشة مع أنه درس فى موضوع معين مقصود والدروس عديدة .

والدرس الدينى يختلف عن الدرس المدرسى الذى يسير فيه المدرس على منهج خاص حيث يتتابع الشرح وفق جزئيات المنهج على نحو تربوى خاص . وهناك الدرس فى الوسط المهنى والعسكرى والفتى ... وغيرها ولكل منهجه ومسلكه .

وقد مر الدرس الدينى بتطورات مختلفة . فبعد أن كان تردشة عادية من غير أن ترتبط بموضوع معين ، وبعيدا عن قصد غاية معينة ، مع خلوه من التحليل الدقيق . بعد ذلك أصبح للدرس الدينى نظام معين . حيث يدور مع أيام الأسبوع . ليذكر الداعية فى كل يوم موضوعا خاصا ، من علم خاص . ومعنى ذلك أن الدروس الدينية فى المسجد أصبحت تمثل مدرسة منظمة لها خطة ومنهج . أستاذها هو الداعية المدرس ، وطلبتها هم الجماهير الذين يجتئون للمسجد مفتوحا أمامهم على قدم واحدة . وبلا أدنى تكلفة ، وكل ما يميز الدرس الدينى عن الدرس المدرسى هو الاستطرد ، وعدم وضع حد للحوار والسؤال الذى يكون من المستمعين .

إنّ الدرس أصعب من الخطبة . لأنّ الخطبة تنحصر في موضوع لا تتعداه ، وكافة الأدلة فيها تؤخذ من الوجه المناسب للخطبة . بلا تناول الوجوه الأخرى ، ودائماً لا تتعدى الخطبة صورتها التي أعدت بها ، بينما الدرس يتعدى موضوعه بسبب روح الاستطراد الموجودة في الدرس ، وبسبب أسئلة المستمعين . ومن هنا نجد فيه الدقة وعمق التأمل . والوجوه المتعددة في النظرة الواحدة ، وقد يلتقى الإمام للمدرس بعدد من العلماء يناقشونه في درسه بنظرات جديدة ، وأفكار متعددة ، وقد يواجه بأفراء يحبون للنقد والهدم ، وواجب عليه أن يستعد لذلك بالعلم والقراءة .

إنّ الخطبة والدرس يخاطبان العقل والروح إلا أن فائدة الدرس أشمل لأنّ المستمع يتمكن من الاستفسار عن ما يجول بخاطره وبذلك تكون فائدته أصغى ، وأدق ، وأشمل .

ويجب أن يشمل الدرس على التمهيد والافتتاح ، والتسلسل ، والخاتمة . وعليه أن يشتمل على الرفائق والقسمين .

وقد سمي القديما مجلس الدرس بمجالس الوعظ والذكر .

وأخيراً فإن الفرق بين الدرس والخطبة يتلخص من التزام الخطبة لموضوع واحد . والخلو من الاستطراد . واستغلال الدليل للموضوع فقط * وليس كذلك الدرس في شئ .



إنّ هذه الفنون القولية على تنوعها هي عدة الداعية للوصول للناس ، ولذلك كانت مسئولية إتقان هذه الفنون ، والإحاطة بها وبخاصة بعدما وضع العلماء لها الأصول والقواعد ، واتخذها المعارضون طريقاً لهم لإثبات ما يريدون .

الفصل الثانى

الخطيب

تمهيد

الخطيب هو مؤلف الخطبة ومعدّها . وموجهها إلى الناس من أجل التأثير والإقناع ، وحمل المستمعين على هدف يعرفه ويقصده . ولذلك كان التألف ضروريا بين الخطبة والخطيب .

وفي الفصل الأول درسنا ما يتصل بالخطبة ، وفي هذا الفصل سنحاول بإذن الله تعالى دراسة ما يتصل بالخطيب .

والخطيب هو الذي يعالج الحدث بخبرته ، ويعرضه على المستمعين بصورة سهلة مقبولة ، وهو الذي يلون العلم بصورته الإنسانية . وهنئذ المؤثرة وأى إصلاح للتطبيق الخطابي يعتمد على قدرة الخطيب الفنية . وتمكنه من قواعد علم الخطابة .

إن كل ما درس . وما سبق أن ذكرناه وصايا نهمس بها في أن للخطيب لكي تأخذ الخطبة صورتها المؤثرة . ودورها المدروس .

وحيثما ندرس المستمعين من ناحية ما يثرهم . ويؤثر فيهم . وكيفية تحقيق النفع لهم ، حينما ندرس ذلك فإننا نقدم الدراسة للخطيب من أجل أن يحقق الإصلاح المنشود .

والخطيب الذي نقصده هو الخطيب المثالي الذي جعل الدعوة إلى الله غاية ، وأخذ الخطابة حرفة وهواية . وأمن بالكلمة طريقا للإصلاح الاجتماعي والديني . وتيقن الإسلام منها لقيادة الجماهير ، وإفادتهم بالتأثير للنفس . والإقناع العقلي السليم .

وهذا الخطيب ليس مستحيل الوجود أمام مظاهر الحياة المعاصرة ، وليس عديم الجدوى أمام تنوع وسائل التوجيه والإعلام ، وليس سطحي الثقافة أمام نقّة التخصص العلمي في العصر الحديث .

إن المظاهر العلمية في الحياة المعاصرة هي التي تجعلنا نؤمن بضرورة هذا الخطيب ، وسهولة تكوينه ، وإمداده بقواعد العلم . وفن التطبيق . ليساهم كعامل له دوره البناء في صناعة الأجيال .

وتنوع وسائل الإعلام تؤكد لنا جدوى الخطيب الناجح ، لأنها جميعا تعرف أهميته في التأثير .

وأیضا فإن عملية الإعلام ذاتها تحتاج إلى الخطيب في تقديم البرامج وإلقاء الكلمات ، ومعالجة عديد من القضايا مع الناس .

وتفرح العلوم وتنوعها تدعیم للخطيب لأنه يستغلها جميعا . من أجل معرفة أصول الخطابة ، وفهم المستمعين . وتخیر وسائل التأثير والإقناع .

إن العصور القديمة والحديثة تؤكد أهمية الخطيب . وتعرف علو مكانته وترى ضرورة الاهتمام بتكوينه وتربيته .

ونحن نرى أن الخطيب الناجح أمل يجب الوصول إليه في العصر الحديث من أجل صالح المجتمع . وتبليغ الدعوة الإسلامية . ويجب أن تتعاون كافة الأجهزة المعنية بهذا الواجب . خاصة وأن الممتازين من الخطباء قلة لا تتمكن من القيام بكافة المهام وحدها .

وفي هذا الفصل سنحاول معتمدين على الله أن نرسم أسسا لتكوين الخطيب ونبين أهم الصفات التي تمكنه من النجاح في مهمته .

والنقاط التي سندرها عن الخطيب هي كما يلي :

- ١- الخطيب بين الفطرة والاكتماب .
- ٢- إعداد الخطيب .
- ٣- الصفات العقلية للخطيب .
- ٤- الصفات الأخلاقية للخطيب .
- ٥- الصفات الصوتية للخطيب .
- ٦- الصفات العملية للخطيب .

وسوف نتناول كل نقطة من النقاط المذكورة بشئ من التفصيل والتحليل

في مبحث خاص بها .

المبحث الأول

الخطيب بين الفطرة والاكْتساب

يولد الإنسان ومعه بعض الصفات الموروثة من أبويه . ويكتسب باقي صفاته من بيئته وأقرانه . وقد اصطلح العلماء على تسمية الصفات الموروثة بالصفات الفطرية . وتسمية الصفات الأخرى بالصفات المكتسبة .

والخطيب واحد من الناس يملك سائر الصفات التي تعينه على أن يكون إنساناً اجتماعياً ، والذي يعنينا هنا هو الصفات التي تمكنه من الخطبة الجيدة والتأثير بها في الناس . وبالبحث في سير الخطباء وجدنا بعضهم في العصر القديم يباشر خطبته فطرة بلا تركيب أو استعداد وهؤلاء أصبحوا خطباء بالفطرة .

ولكننا في الوقت نفسه وجدنا كثرة من الخطباء أحاطوا بقواعد علم الخطابة . وتعلموا فن المشافهة . وبذلك صاروا خطباء بالاستعداد والتعلم . إن الخطابة الفطرية لا تتمكن من القيام بدورها وحدها في هذا العصر ، ولا بد للخطيب . من ممارسة واستعداد . وفهم وتعلم حتى يستطیع النجاح . إن من يقول بالفطرة المجردة للخطيب لا يلامس الصواب في شيء . لأن معنى ذلك إلغاء دور التربية وأثرها في تكوين الإنسان وتنشئته ، مع أن أثرها لا ينكر أبداً .

وكثيراً ما ترى أشخاصاً يملكون موهبة الخطابة ، لكنهم لم يصقلوها بالتعليم والممارسة مما أدى إلى عجزهم عن مباشرة الخطابة ، وبذلك فتلوا موهبتهم ، ولم يستفيدوا بطاقتهم الفطرية .

وأيضاً فإن الخطابة عند الخطيب صفات بيانه . وملاحظات نفسية وترتيب عقلي منظم . ومن المعلوم أن الصفات البيانية نتاج طبيعي لتعلم علوم اللغة والأدب والبلاغة وغيرها ، والملاحظات النفسية آثار ضرورية لإجادة

علوم الاجتماع والنفس والإدارة وفروعها المختلفة ، ولتنظيم العقلي المرتب، أحد الآثار التي يحققها تفهم علوم المنطق والكلام والفلسفة . والخطابة .
وما دامت الصفات الأساسية الموجودة للخطبة أثارا لعلوم مختلفة فإنها تكون اكتسابا يتحقق بالدراسة والتعلم .

إن العلوم الحديثة تعتمد في تعلمها على المنهج النظري والطريقة العملية والخطيب يمكنه أن يكتسب فنه الخطابي ، وتمكنه في الإلقاء بالدراسة النظرية والتطبيق العملي لهذه العلوم .

وأضاً فإن كثيراً من الخطباء المجيدين بدأوا في عي وعجز . ولم يصلوا إلى درجة الإجادة إلا بالتعليم والدراسة .

هذا " واصل بن عطاء " أحد شيوخ المعتزلة . وجد نفسه عاجزا عن الخطابة الجيدة بسبب اللثغة التي نشأت معه في حرف الراء . لما وجد "واصل" نفسه كذلك لم ييأس ولم يترك الخطابة . ولم يبتعد عن الناس . وإنما أخذ يقوم نطقه فلجأ إلى الراء وأسقطها من كلامه . حتى استقام لفظه ، وصار من أوائل الخطباء . يقول الجاحظ معلقا على هذه الظاهرة عند "واصل" ، ومبينا غرابة الجهد المذكور . " ولولا استفاضة هذا الخبر . وظهور هذا الحال . حتى صار لغرابته مثلا . ولظرافته معلما لما استجزنا الإقرار به والتأكيد له . ولست أعنى خطبه المحفوظة . ورسائله المخلدة . لأن ذلك يحتمل الصنعة . وإنما عنيت محاجة الخصوم . ومناقلة الأكفاء ومفاوضة الإخوان " . فنجد الجاحظ يشير إلى قدرة التخلص من الراء عند واصل وأنه كمل نفسه بتقويم بيانه وتوجيه لسانه . وتمكن من ذلك بفضل علمه الغزير . وأفقته الواسع .

يشير " بشار بن برد " إلى هذه الظاهرة في خطب واصل فيقول :

تكلفوا القول والأقوام قد حفلوا	وحبروا خطبا ناهيك من خطب
فقام مرتجلا تغلى بدايته	كمرجل اليقين لما حف بالهيب

وجانب الراء لم يشعر به أحد قيل التصفيح والإغراق في الطلب^١
 فإذا علمنا أن بشار بقوله هذا يقارنه بـ " خالد صفوان ، وشبيب بن
 شيبه والفضل بن عيسى . يوم خطبوا عند عبد الله بن عبد العزيز وإلى العراق
 إذا علمنا ذلك رأينا كيف وصل عطاء إلى إجادة الخطابة بالاكستساب " .
 وكان " ديموستين " خطيب أثينا العظيم عيبا . ومثار سخرية واستهزاء
 إذا نطق ، وقرب من اليأس في أن يكون خطيبا ، ولكن أستاذة شجعه على
 اصلاح عيبه . فعكف على المطالعة . وإصلاح لسانه ، حتى روي أنه كان
 يحلق نصف رأسه . ويقوم في بيته أشهراً . يتمرن على الخطابة والإشارة ،
 وأنه كان يذهب إلى شاطئ البحر . ويضع في فمه حصاة . ويخطب على هدير
 الموج . كأنه جمهور عظيم حتى صلح لسانه^٢ .
 وكتاب " الجمهورية " لافلاطون يوضح أن خطباء الاغريق كانوا يتقنون
 الفن دراسة قبل إلقاءه على الجمهور .

و " لنكون " نفسه مؤسس أمريكا الحديثة كان لا يجيد الخطابة . إلا أنه
 اكتسبها بعد قليل بالتلقى والمران ... يقول " هرندن " كان لنكون يبدو من
 العسير أن يلائم بين موقفه وبين ما يحيط به ، وقد ناضل بعض الوقت تحت
 وطأة شعور ظاهر من التردد . والخوف وكان صوته يبدو شبيها بالولولة
 والصياح . ولكن هذا كله لم يلبث إلا وقتاً ثم اختفى بعد ذلك^٣ .

وهكذا تجد أن الخطابة تكتسب بالتعلم . والدراسة . والممارسة .

فمثلا يمكن لأولي الأمر أن يتولوا أمر من يريدونهم خطباء من مفلولتهم
 ويربوهم على الثقة بالنفس . وحب الجماعة . وتشابه الأعمال للأقوال
 والاشتغال بالعلوم والفنون . وتعلم بعض الرياضيات ومقامات الموسيقى، ينفقون

١- معجم الأنبياء ج٩ ص٢٤٤ تكلفوا أي صنعوا بمشقة ، ويراد بهم بعض الخطباء كانوا

يخطبون عند عبد الله بن أمير المؤمنين عمر بن العزيز

٢- فن الخطابة ص١٨ ، أصول الخطابة ص٢٠

٣- التأثير في الجماهير عن طريق الخطابة ص١٤

عليهم الأموال . ويوجهونهم إلى الجماهير ليتعودوا على الالتقاء بهم .
إن منهجا يحقق هذا سهل التنفيذ ومؤكد النتيجة ، لو وجد له العاملون
المخلصون .

إن على الخطيب أن يتمتع بمجموعة من الصفات المتنوعة . وواجب
على من وكل إليهم أن يكونوا خطباء أن يؤتوها . إجادة للعمل . وأداء للأمانة .
وتكويننا ذاتيا إلى أن يهتم المربون بتخريج الخطباء المجيدين .
وقبل أن نذكر الصفات الواجبة نتصح بما يأتي :

أولا : البدء برغبة قوية :

يجب على من وكل إليه أن يكون خطيبا أن يبدأ عمله برغبة قوية .
ونهم شديد لأن الرغبة الهزيلة لا تحقق النجاح أبدا وتأتي بالوهن ، وفقدان
الأمل والثقة ، والواجب على الداعية أن يتفهم دراسته المتخصصة . ويقتنع بها
ويعمل لها . ويفكر فيما تعنيه بالنسبة له ، ويستشعر المسؤولية التي القاها الله
عليه .

ليس هناك من هو أكثر شهرة وجاها من خطيب يرضى الناس .
ويجذب انتباههم ، وكثيرا ما عشنا ورأينا خطباء يبلغ بهم التأثير الجماهيري
درجة أكبر من تأثير مسئول كبير .

وليس هناك من طريق يرضى الله ، وينفع الناس ، ويفيد سالكه أكثر من
الدعوة إلى الله تعالى . يقول الله تعالى ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ
وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ ٣٣ ﴿

يقول فيليب أرمور : " كنت أفضل أن أكون خطيبا مفوها على أن أكون
رأسماليا عظيما " .

وما دامت النتائج مفيدة للإنسان فالواجب أن يبدأ الخطيب في عمله برغبة

١- سورة فصلت آية ٣٣

٢- نفس المصدر ص ١٥

قوية وابتعد عن التكاسل . ومحاولات الهروب التي يبديها في بداية الطريق وعليه وهو يعمل في مجال الدعوة الإسلامية أن يخلص في رغبته ، ويعتبرها نوعاً من الجهاد لإعلاء كلمة الله ، ويحسب أجره عند ربه الكريم الذي يملك خزائن السموات والأرض وهو على كل شيء قدير .

ثانياً : الممارسة والارتياض

على من يريد الخطابة أن لا يخل من نفسه . لأن الحديث لا يقوية إلا حديث يشبهه ، والخطبة لا تجود إلا بتكرارها ، وسبب ذلك أنها أعمال قولية تحتاج إلى فنية التطبيق ، ومنهجية الاستمالة والإقناع .

وهذا أمر مسلم هو أن من يريد أن يتعلم السباحة عليه أن يلقى نفسه في الماء . فلماذا لا يلجأ إلى الخطابة من يريد أن يتعلمها ويتقنها .

يقول روزفلت : " إن أي مبتدئ معرض لـ " حمى الكلام " وهذا معناه حالة هياج عصبي شديد يترتب عليها أن يهجر المبتدئ الخطابة كلية ... وهذه قد تؤثر في الشخص في أول موقف خطابي له أمام جمهور المستمعين ومثل هذا الرجل لا تنقصه الشجاعة . ولكن ينقصه ضبط الأعصاب ورباطة الجأش ، يجب عليه بعد التدريب المتوالي التعود على ضبط النفس ، وأن يجعل أعصابه باستمرار خاضعة لمسيطرته ، وهذا أمر مرده في معظم الحالات إلى العادة ، ويعنى أنه جهد معاد . وتدريب متكرر لقوة الإرادة ، فإذا كان لدى الشخص المادة الملائمة . فإن قوته ستزيد مع كل تدريب ^١ .

يقول الشيخ محمد أبو زهرة : ورياضة النفس على الخطابة تكون بأمر كثيرة بعضها يتعلق بالفكرة وبعضها يتعلق بالأسلوب . وبعضها يتعلق بالإلقاء لأن الخطابة فكرة وأسلوب وإلقاء محكم ...

ومن للرياضة التي تتعلق بالفكرة أن يعود نفسه ضبط أفكاره . ووزن آرائه . وعقد صلة بينها وبين ما يجرى في شؤون الناس ، وعامة أمورهم .

ومنها أن يكون كثير التأمل في شؤون الحياة . وأن يتعود الاتصال بالناس ليخلط نفوسهم بنفسه لتظهر الفكرة في عقله مرتبة ، سلسلة .
ومن الرياضة المتعلقة بالأسلوب أن يتحدث بجيد الكلام ويكتبه كثيرا ويقرأ للأدباء وبخاصة للمجيدين منهم . ويحاكي البلغاء في مرانه الخطابي .
ومن الرياضة المتعلقة بالإلقاء أن يعود نفسه إخراج الحروف من مخارجها . وأن يقرأ كل ما يستحسنه بصوت مرتفع . مصورا بصوته معاني ما يقرأ . وذلك بتغيير النبرات ورفع الصوت وخفضه ... وهكذا .
ويحسن كثيرا أن يستحضر المبتدئ في الخطابة موضوعه قبل إلقائه بمدة كافية ، فلا يؤجل إلى ظهر يوم الخميس ما سيلقيه يوم الجمعة ، بل عليه أن يستحضر خطبة الجمعة من أول أسبوع لأنه كلما عاش مع خطبته وقتا أطول زاد إلفه بها . وكثرت أفكارها وتضحيت ، وعندما يكون الذهن مشغولا بالموضوع التقط عديدا من المعاني . واخترع غيرها ... ويا حبذا لو سجلت سائر الأفكار كلما وردت بلا ترتيب . يقول ديل كارنيجي : ' حافظ على تسجيل جميع الأفكار التي ترد إلى ذهنك وفكر فيها بقوة واستمرار كل الوقت ولا تتعجل هذه العملية . لأنها من العمليات العقلية الهامة التي ستستفيد من ممارستها . وهي كذلك الوسيلة إلى نمو العقل نموا منتجا حقا ' .

ثالثا : حب الخطابة والعمل في مجالها

دللت النتائج العلمية على أن الإنسان في الحقيقة يبدأ من داخله، وكل أمر لا يربط بالباطن الإنساني فمآله إلى الضياع، من هنا وجب على كل من وضع نفسه ، أو وضعته ظروفه ليكون خطيبا أن يعشق عمله . ويخلص له ليتمكن من النجاح فيه .

لابد من وجود الحافز النفسي على النجاح . وبخاصة في مجال الخطابة

١- أصول الخطابة ص ٢١

٢- للتأثير في الجماهير ص ٣٠

الذى يحتاج إلى القراءة ،ودوام التفكير ، وقوة الملاحظة ، ومواجهة الجماهير بين الحين والحين .

إن الخطيب الكاره لعمله لا يستعد له . وإذا ما واجه الناس خارت قواه لعدم ثقته في دوره الذى يقوم به .

إن الخطبة رحلة ذات هدف ، ولابد لها من تخطيط يبدأ من نقطة معينة وينتهى عند نقطة أخرى . والخائفون لا يمكنهم التحكم فى أنفسهم فكيف يتحكمون فيما يخططون له .

لا بد من حب الخطابة وعشقها . والإخلاص لها .

وكم رأينا أناسا يكلفون بالخطابة وهم لها كارهون ، رأيناهم وقد أساءوا لخطبهم ولأنفسهم ، ولم يحققوا للدعوة إلا الضرر .

تلك أهم النصايا التى يجب الاهتمام بها لينجح الخطباء فى أدائهم لدورهم .

المبحث الثاني

إعداد الخطيب

تحتاج عملية الخطابة إلى الفطرة والاكتساب كما ذكرت ، ولابد من تخير صاحب الفطرة كلما أمكن عند إعطائه الخبرة والممارسة .
ويقع المشتغلون في إعداد الخطباء في خطأ وهو قبول كل من يتقدم لهم مهما كانت فطرتة . ومهما كان استعداده ، والواجب بذل الجهد في اختيار من سيعمل في هذا المجال الحيوي الهام .

ونظرا لتعدد نشاط الخطباء نرى ضرورة اعدادهم على النمط التالي :

١- الاختيار المبكر :

يولد الطفل بمجموعة من الصفات الموروثة من والديه ، ويكتسب مجموعة أخرى من بيئته الأسرية ، فإذا ما بدأ دراسته الأولى في المدرسة أو الكتاب أخذ في اكتساب المزيد من الصفات عن طريق أقرانه وأساتذته .
وكم كنت أتمنى اختيار طلبة الدعوة والخطابة مع بدء تعليمهم ، لكن صعوبة ذلك يدفعنا إلى اقتراح اختيار هؤلاء الطلاب عند قبولهم في المرحلة العليا على أن يستفاد من هذه المرحلة بما يدرس فيها كمعرفة أصول اللغة وحفظ بعض القرآن الكريم ، وتربية بعض الملكات الفطرية عند الدارس .
وينبغي في المرحلة الأولى من الدراسة الجامعية أن توضع بطاقة لكل طالب تدون فيها ميوله ، ورغباته ، ومستوى ذكائه ، وقدراته على التحصيل الدراسي ومدى إستجابته لتوجيه أساتذته أمرا ونهيا ، ومدى تأثره بأقرانه وتأثيره فيهم ومدى حبه للخطابة وإقباله على علوم الدعوة ، لأن هذه المعلومات تعتبر مؤشرا على شخصية الطالب واتجاهاته فيما بعد .
ومن الممكن اختيار بعض الطلاب لدراسة علوم الدعوة للتخصصية على

أساس استعدادتهم وميولهم . يقول ابن سينا : " إذا فرغ الصبي من تعلم القرآن الكريم وحفظ أصول اللغة أنظر عند ذلك إلى ما يراد أن تكون صناعته فوجهه لطريقه بعد أن يعلم مدبر الصبي أن ليس كل صناعة يرومها الصبي ممكنة له موالية لكن ما شاكل طبيعه وناسبه " .

وتلك ملاحظة هامة لأن وضع الإنسان في موضع يتفق مع ميوله واستعداداته أول شروط النجاح ولنقتد في ذلك برسول الله ﷺ فهو الذي اختار أبا بكر وعمر رضي الله عنهما للشورى ، واختار عليا ومعاذا للحكم والقضاء ، وهكذا كان اختياره ﷺ لسائر الصحابة الذين وكل إليهم أعمالا معينة . وما تم ذلك إلا وفق استعداد كل منهم ليقوم بما يعهد إليه من مهام .

ومن الممكن أيضا عقد لقاءات شخصية للطلاب لاختيار قدرتهم واستعدادهم لهذا النوع من الدراسة لأن الاستعداد الشخصي أساس للتفوق العلمي ، ولقد كان السلف رضوان الله عليهم يختبرون من يعلمون حتى لا يضعوا البذرة في أرض سيخة ، من ذلك ما حدث من الخليل بن أحمد عالم العربية حينما أتاه النظام بولده إبراهيم وقال له : علم لي ولدي هذا .

فقد اختبره أولا ، وقال له : صف هذا الكأس . وأشار إلى كأس في يده . فقال الغلام : بمدح أم بدم .

قال : بمدح

فقال الغلام : تريك القذى ، ولا تقبل الأذى . ولا تستر ما وراء .

قال : فذمها

فقال الغلام : يسرع إليها الكسر ، ولا تقبل الجبر .

ومن ذلك أيضا أن الحافظ العراقي لما ذهب إلى شيخ ابن البايا لبتلقى

عنه الحديث اختبره أولا حيث قال له : من ابن البيع ؟

قال الحافظ : الحاكم أبو عبيد الله التنيسابوري .

فقال له : من أبو محمد الهالكى ؟

قال : سفيان بن عيينة .

قال له : هلم يا بنى ، وعرف مكانته من الوعي والإدراك ، واستعداده للتعلم وعلمه .

إن مثل هذا الاختبار يتم اليوم فى عدد من الدراسات المتخصصة التى تبدأ من وقت مبكر كدور المعلمين والمعلمات - ومعاهد الخدمة الاجتماعية - والمدارس العسكرية المتنوعة ، وذلك كله لإنجح الطالب بعد تخرجه فيما يوكل إليه من أعمال .

وقد أدرك قدر هذا الاختبار المبكر مع الاختيار لأصحاب المذاهب الوضعية ورجال الأكيان الأخرى فعملوا به وأخذوا يعدون لياهم دعوة فيهم للذكاء والنشاط والإخلاص . وغير ذلك من الصفات التى تنتشر بها الأفكار والعقائد .

وإعداد الدعوة إلى الإسلام يجب أن يندرج فى هذا الخطط الطبيعى ، حيث يختارون فى سن مبكرة ، وتختبر مستوياتهم الذهنية وقدراتهم الشخصية ليسهل إعدادهم ، ويكونوا بعد تخرجهم على مستوى أهمية الدعوة وأهمية العمل لها . وعلى القائمين بالاختيار أن يركزوا على الجانب الفطرى لدى الطالب ومعرفة مدى استعداده للخطابة والمواجهة ، وسرعة بديهته فى الرد والإجابة .

٢- مدارس الدعوة :

مع أن الاختيار المبكر لطلاب الدعوة منذ طفولتهم أمر شاق لغلبة المادية على النفوس ، واتجاه غالبية الناس إلى زخرف الدنيا ، ومظاهرها ... مع ذلك فإننا نأمل فى فئة قليلة من الناس أن توجه بنيتها لدراسة الدعوة أداء لتواجب ، وحيا لدينهم ، وإلى هؤلاء وأمثالهم يكون حديثنا عن الاختيار المبكر لدراسة علوم الدعوة .

وبعد إنتهاء المرحلة الأولى يلتحق الطلاب بالمرحلة المتوسطة ، وأقترح هنا إنشاء مدارس متوسطة وثانوية للدعوة والخطابة بجانب الكليات

الجامعية حيث يتلقى بها الطلاب الذين وقع عليهم الاختيار دراساتهم المتوسطة والثانوية.

ومن المتصور أن الطالب في المرحلة الأولى أجاد القراءة والكتابة وحفظ قدرا كبيرا من القرآن الكريم . وعرف مبادئ عدد من العلوم كالحساب والهندسة . وبعد ذلك يلتحق طالب الدعوة بمدارس الدعوة المتوسطة لبعده مع المراحل بعدها للدعوة وفق خطة تتطور بتطور عصره وعلمه ، ومناهج هذه المدارس بالضرورة تشتمل على دراسات للإعداد العام ، وأخرى للإعداد الشامل ، وثالثة للإعداد التخصصي . ويقوم المشرفون بوضع المناهج والمقررات المطلوبة .

وينبغي أن يقوم نظام هذه المدارس على أساس الرعاية الكاملة طوال اليوم بحيث يعيش الدارسون بين أساتذتهم وقت الدراسة ، ويقضون أوقات راحتهم وترريضهم مع الموجهين والمشرفين ، وبذلك يعيش الطلبة بين الأساتذة والموجه مما يجعلهم يسيرون تلقائيا نحو التربية المقصودة والهدف المنشود . إن النظام الداخلي خلال الدراسة في هذه المدارس هو أحسن ما يحتاجه الدارسون وبخاصة في المجتمعات الحديثة التي كثرت فيها المؤثرات . وتعددت معها الأهداف والغايات ، مما جعل الأفراد بسببها في تناقض ذاتي . واضطراب فكري .

ولو كانت المجتمعات الإسلامية تسلك المنهج الأمثل في كافة أنشطتها تلقائيا إن أنشطة المجتمع تكمل دور مدارس الدعوة وتساهم بجزء هام في تكوين الشخصية الإسلامية ، تماما كما كان المجتمع الإسلامي في عصر رسول الله ﷺ حيث كان الصحابة يسمعون الإسلام من رسول الله ، ويرون تطبيقاته في مختلف الأنظمة والأنشطة مما جعلهم خير أفراد كونوا خير أمة أخرجت للناس بإيمانها ، وأعمالها ، وتمسكها بالمعروف ، وبعدها عن المنكر .

إننا نتمنى للمسلمين أن يعاودوا سيرتهم الأولى ، وحتى يتحقق ذلك نقتراح لمدارس الدعوة أن تقوم على الأساس الذي أشرنا إليه من أجل تكامل الداعية ،

وإعداده سويا خاليا من التضارب والسلبية .

إن التفرغ الكامل للدارسين يسهل أمام المسؤولين تكوين الدعاة بالصورة المرجوة في الدين والعلم والخلق ، وليس للتفرغ للدراسة بالأمر الصعب على من يختار للدراسة ، لأن نوعيات عديدة من المدارس والمعاهد في جميع أنحاء العالم أخذت بنظام التفرغ خلال الدراسة في مقابل تحقيق بعض المزايا المادية والمعنوية للدارسين ، وكان الإقبال عليها شديدا ، ودلت نتائجها على تحقيقها لأغلب الأهداف التي وضعت للبرامج من أجل الوصول إليها .

ويجب أن تشمل مدارس الدعاة على مزايا عديدة يجدها الدارسون خلال الدراسة وبعدها ، وذلك لاختيار أفضل العناصر للقيام بالدعوة ، وإعدادهم الإعداد المطلوب ، ومن المعلوم أن صناعة الدعوة تعنى صناعة الأمة ، فإذا ما أحسن المسلمون إعداد الدعاة وتربيتهم فقد أدوا بعض ما وجب عليهم ، ونفعوا في نفس الوقت أنفسهم وأمتهم بنشر العدل ، وتحقيق الأمن ، ومحاربة الغي والفساد بواسطة من أعدوا من الدعاة .

إن مناهج ومقررات مدارس الدعاة يجب أن تتجه جميعا إلى بناء شخصية الدعاة بصورة متكاملة ، وقد ضرب رسول الله ﷺ من نفسه نموذجا لهذه الشخصية لتكون ماثلة أمام المسلمين في مختلف العصور ينشئون أجيالهم على نمطها ، ويتخذونها المثال لحياتهم ومعاشهم ، ولا غرو في ذلك فرسول الله ﷺ بعث ليتمم مكارم الأخلاق بالهدى ودين الحق ، وليروجه الإنسانية إلى ما يصلح شأنها ويعلى قدرها .

إن الدعوة إلى الإسلام تحتاج في كل وقت إلى التكاملي في شخصية الدعاة ، ومن هنا ندرك حرص الرسول على تربية الشخصية والاعتداد بالنفس عند أصحابه رضوان الله عليهم حتى أصبح كل منهم أمة في نفسه ، لا يعرف غير الحق ، ولا يخشى في الله لومة لائم ، وصنق رسول الله ﷺ في قوله عنهم

* لسحابى كالنجوم ، بأبهم إفتدبتم إفتدبتم *^١ رضوان الله عليهم فلقد انتصر الإسلام بهم .

وتكامل شخصية الداعية يتم بتمكته من الصفات الواجبة له وهى إيمان متين ، وخلق قويوم ، وعلم دقيق ، وألق واسع .

ويجب أن تقدم مدارس الدعوة لطلبتها الدراسة التى تساعد على هذا التكامل وفق خطة مفررة يضعها الإشراف المتخصص على إعداد الدعاة .

٣- كليات الدعوة :

تعتبر الدراسة فى كليات الدعوة إمتدادا للدراسة فى المدارس المتوسطة والثانوية من حيث الهدف والغاية مع تميزها بالعمق والتحليل والمقارنة وإجراء البحوث الميدانية والعلمية .

وعلى المسئولين المشرفين أن يحددوا المقررات والمناهج المطلوبة لمدارس وكليات الدعوة . من أجل تحقيق التكامل بين الدراسات المقررة ، وفى نفس الوقت على المشرفين ملاحظة أن المرحلة الثانوية تكون نهاية الدراسة لعدد من الطلاب مما يحتم اعتبار الدارس المتخرج من هذه المرحلة معدا على مستوى معين ، ويمكن الاستعانة بهؤلاء كدعاة فى القرى الصغيرة والمجتمعات البسيطة ، كما يمكن جعلهم مساعدين للدعاة فى المجتمعات الواسعة .

ويجب عدم تكليف من يقل مستواه عن الدراسة الثانوية فى علوم الدعوة بأى عمل فى مجال الدعوة ، وكما جاز اقتضار بعض الطلاب على الدراسة الثانوية فإنه يجوز أن يستمر بعض الطلاب فى الدراسات العليا للحصول على الماجستير والدكتوراه فى علوم الدعوة . وعلى كليات الدعوة أن تهتم وتخطط لذلك .

وبعد ما يتخرج الدعاة يكفون بما أعدوا له وينضمون إلى ما سبقهم من الدعاة ، وبذا لا تقطع الصلة بهم بعد عملهم حيث يستمر معهم الإشراف والعون

٤- دراسة اللغات الأجنبية :

تعتبر دراسة اللغات الأجنبية من أهم الدراسة اللازمة للدعاة في العصر الحديث لأن أغلب من توجه إليهم الدعوة من غير العرب ، كما أن العديد من المؤلفات التي تتعلق بالإسلام إيجابا أو سلبا كتبت بغير اللغة العربية ، وحتى يمكن قراءة كل ما يقال عن الإسلام . ومن أجل تبليغ الإسلام لجميع الناس يجب إحاطة الدعاة بصورة تامة بلغات من سيد عونهم ، وهذا واجب بدهى لأن مصادر الإسلام نزلت بلغة عربية ، وحفظها الله للناس كما أنزلها على رسوله محمد ﷺ ، وألزم المؤمنين تبليغ الإسلام على وجه بين واضح ، ولا يتم ذلك إلا باتحاد اللغة بين الداعية والمدعوبين أيا كانت هذه اللغة ، ولهذا المعنى أرسل الله رسوله السابقين إلى أقوامهم بلسانهم حيث يقول سبحانه وتعالى ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رُسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِمْ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۗ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ ١ ، وبسبب كون القرآن نزل أولا في العرب كان نزوله بلغتهم لأنه لو كان بغير لغة العرب لما فهموه ولطلبوا نزوله بلسانهم ليفقهوه لكن الله تعالى بحكمته أنزله عربيا وقال سبحانه : ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَبَيِّنَاتٌ ۖ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۗ أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ﴾ ٢ . ولعل في قوله تعالى ﴿ أَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ﴾ إنكار للإختلاف اللغوي بين الداعية والمدعوبين إذ لا يصح أن يكون الكلام أعجميا والمخاطب به عربيا ، لأن ذلك لو حدث لاحتاج المخاطبون إلى

١- سورة إبراهيم آية ٤

٢- سورة فصلت ٤٤

التفصيل والبيان .

وتحقيقاً لعالمية الإسلام مكن الله العرب من اتقان لغات للعالم كله .
ويجب على الدعاة أن يتمكنوا من ذلك دائماً ، وقد وجه رسول الله ﷺ المسلمين
والدعاة إلى هذا الواجب بما فعله مع الصحابي زيد بن ثابت : حيث قال له :
يا زيد أتحسن السريانية ؟ إنها تلتيني كتب بها .

قال زيد : لا .

قال ﷺ : تعلمها .

يقول زيد : فتعلمتها في سبعة عشر يوماً .

وهكذا وضع الرسول للمسلمين طريق مخاطبة الناس وتوجيههم إلى الله
تعالى . ونظراً لكثرة اللغات العالمية فإنه يمكن تقسيم الطلاب إلى مجموعات
تختص كل مجموعة بدراسة لغة أو لغتين وبذلك يمكن تخصيص كل مجموعة
لدعوة إقليم من أقاليم العالم .

وينبغي تعريف كل جماعة بالأقليم الذي ينطق لغة دراستهم من ناحية
عاداته ، وتقاليده ، والأديان والمذاهب المنتشرة فيه ، وبغير ذلك ليكون الدعاة
على بينة تامة ممن سيدعونهم^١ .

١- الفتح الرباني - كتاب العلم ، باب فضل العلوم والعلماء .

٢- لقد تقدمت بحطة كاملة لإعداد الدعاة أقرها مؤتمر توجيه الدعوة والدعاة الذي عقد في
المدينة المنورة عام ١٩٧٦ م

المبحث الثالث

الصفات العقلية للخطيب

الخطيب يعرض عقله على الناس كلما التقى بهم ، لأنه يخاطبهم بما وصل إليه من كافة الأدلة والعناصر المرتبطة بالموضوع .
وقديما قيل لعبد الملك بن مروان عجل عليك الشيب يا أمير المؤمنين .
قال : وكيف لا يعجل علي . ولنا أعرض عقلي على الناس في كل جمعة مرة أو مرتين .
ونظرا لأن المستمع يتأمل فيما يسمع ، ويحكم بدقة صاحبه وسعه أفقه ، وفطنته ، وتمكنه من خطابه ، وفنونه على الجذب والاستمالة ... نظرا لذلك صار لازما أن يتميز الخطيب بعدد من الصفات العقلية التي منها :

= ١ =

عمق النظرة

صاحب العقل يعيش الحياة فأهملها ، متأملا منها ، يأخذ للدروس ، ويستنتج العبر ، ولذلك نراه دائما ينظر ويحائل ويستفيد وهو ليس سطوحيا في نظرته ولا بسيطيا في أحلامه وتوقعاته وإنما هو شخص يضم إلى هدوئه دقة الفكر ، وعمق التركيز ، يستنتج مما ينزل أكثر مما يعرفه غيره ، ولذلك نجده محيطا بأحوال الناس ، عارفا بحاجاتهم ، ولديه إمكانية معونتهم ، وحل مشاكلهم وإذا أراد أن يتحدث إليهم لمس لوتار الحركة ، وعوامل التأثير فيهم ، وهو بواسطة عقله وذكائه يختار موضوعه ويجمع أدلته ، ويصبه في أذان الناس بصورة بليغة فصيحة ، لتحقيق ما يريد منهم .

سعة المعارف

لا يستغنى الخطيب عن الاطلاع الدائم في كافة العلوم . وسائر أنواع المعارف حتى يمكنه أن يتعامل مع دوره الهام . حيث له الصدارة . ومنه الفتوى والمناصحة والتوجيه .

إن الخطيب لا يمكنه القيام بدوره هذا إلا بعد جهد طويل ، وبذل متواصل في التحليل العلمي . والبحث الموضوعي .

واعلم أن العلم في حد ذاته ضروري . يقول الإمام الغزالي : " إذا نظرت إلى العلم رأيتَه نديداً في نفسه فيكون مطلوباً لذاته . ووجدته وسيلة إلى دار الآخرة وسعادتها . وذريعة إلى القرب من الله تعالى . ولا يتوصل إليه إلا به " .

يقول النبي ﷺ : " تعلموا العلم فإن تعليمه لله خشية . وطلبه عبادة ومذاكرته تسبيح . والبحث عنه جهاد . وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة . وبذله لأهله قرية . لأنه معالم الحلال والحرام . ومنار سبل أهل الجنة وهو الأمان في الوحشة والصاحب في العزبة . والمحدث في الخلوة . والدليل على السراء والضراء والسلاح على الأعداء . والزين عند الأخلاء ، يرفع الله به أقواماً فيجعلهم في الخير قادة وأئمة تقتص آثارهم . ويقضى بالفعالهم وينتهي إلى رأيهم " .

وعلى المربين أن يوجهوا طلبتهم إلى النزود العلمي . ولا يصيخوا سمعهم لبعض المعوقين الذين يركنون إلى الدعة والكمال . ويمكن للمربين أن ينشئوا تلاميذهم على للتعليم الاجتماعي بالرحلة . وهذه الطريقة هي أحدث الطرق في التنشئة والتكوين . ويقول صاحب كتاب " الكرازة المثلى " : إن المسيح كان بهتسماً دائماً

١ - الإحياء ج١ ص ١٢

٢ - رواه ابن عبد البر عن معاذ بن جبل . جامع بيان العلم وفضله ج١ ص ٦٥

بمتابعة رحلات تلاميذه . وبهذا الإحساس يمكننا أن نقول إن أحاديثه كانت تدور حول إعطاء التوجيهات . وتحديد الأماكن التي يذهبون إليها ، وكل أسئلته وتوصياته وإنذاراته ونصائحه كان الغرض منها أن يعطيهم ما يحتاجون إلى معرفته لكي يتمموا عملهم وهو الكرازة^١ .

ومن أهم المعارف التي يجب أن يهتم الخطيب المسلم بها ما يلي :

أ - القرآن الكريم :

الخطيب الإسلامي الناجح هو الذي يهتم بالقرآن الكريم حفظا وفهما . ويقتبس منه في خطبه وكلماته . ويورده مؤثرا به في المستمعين . ويعتبر القرآن الكريم مقياس الإجابة عند الخطيب . ذلك أنه كتاب لا يكتفى بإيراد الحقائق عن الموضوع للمعنى به فقط ، وإنما يوردها بصورة ثلاث عقول المستمعين وأرواحهم . وتهتم بالشكل والمضمون . ولذا نجد في لفظ بهيج^٢ - ومعنى مرتب دقيق .

ومن هنا يكتسب الخطيب من القرآن أسلوبا رائعا . وأفكارا مؤثرة . وتسلسلا دقيقا ، والتزاما للموضوع للوحد بلا خروج عنه . ومراعاة لأحوال المستمعين واتجاهاتهم ومناسبتهم ، كما أن القرآن يقدم للخطيب فن التشير والإنذار الذي هو هام في التأثير .

ولئن ذكر بعض الفقهاء ، أن بعض آيات القرآن الكريم تكون خطبة كاملة للجمعة لما فيها من نصائح وذكر ، وقد صح أن للنبي ﷺ اكتفى في بعض خطبة بقراءة سورة (ق) ، ومع ذلك فإننا نطلب من الخطيب أن يضمن خطبته بعضا من القرآن الكريم . ليحقق شروط سائر الفقهاء . وليتمكن من الإفادة والإقناع .

وهنا أمر ذوبال نلغت النظر إليه . وهو وجوب مراعاة الحفظ الدقيق

١- الكرازة للمثالي ص ٨٢ . ومعنى الكرازة الدعوة والتشير ، ومع تحفظنا على منلول للنص إلا أنه يشير إلى أهمية التعلم بالعمل والسلوك .

للآيات التي يوردها الخطيب في خطبته ليكون حجة موثوقا به عند المستمعين .
ليس من العيب أن يبذل كثيرا من الوقت في الحفظ ، لكي العيب كله أن
يخطئ في الآيات حين يقرؤها أمام الجمهور . لأن هذا الخطأ يدفع الجمهور
إلى اللامبالاة ، ويجعلهم يشعرون بالملل والضيق . ويكثرون من النقد والتعلق .
فعلى الخطباء جميعا أن يهتموا بالمصادر المقدسة . ويا حبذا لو أحاط
الواعظ المسلم بسائر الكتب المنزلة وغيرها ليفهم ما عند الناس . ويخدم دينه
بهذا الفهم .

ب - السنة النبوية :

السنة النبوية هي كل ما أوثر عن النبي ﷺ من وقول أو فعل أو تقرير
أو صفة أو حال . وهي تتضمن عددا من أنواع البيان . حيث أتت موافقة
لنص الكتاب . أو موضحة لمجمل النص . أو أتت بزيادة عليه . أو نسخته ،
وهي بذلك تؤكد ضرورتها وأنه لا يمكن الاستغناء عنها لخطيب يعمل في خدمة
الدعوة . لأن القرآن يحتاج لبيانها أكثر من احتياجها هي للقرآن الكريم .
يقول الإمام أحمد بن حنبل : " إن السنة قاضية على الكتاب أى أن
السنة تفسر الكتاب وتبينه "١ .

ومع دور السنة في البيان فإننا نجد لها قمة في البلاغة العربية . قد خلت
من كل شذوذ حيث الألفاظ متناسقة . والمعاني محكمة واضحة . وذلك لأن
النبي ﷺ بعث بجوامع الكلم .

إن السنة النبوية^٢ تتمتع بمجموعة من الخصائص التي تقيد الخطيب .
حيث تهتم بالموضوعات الواقعية التي تلامس حياة الناس . ولا شأن لها
بالنظريات الخيالية أبدا ، وأيضا فإنها تشتمل على أساليب الترغيب والترهيب

١- جامع بيان العلم ج٢ ص٩٥

٢- لفتى ابن حجر بتعزير من ينقل حديثا من كتاب في الخطبة . وهو لا يعرف رواية إجمالا
منه ، أو بسبب ترك الكتاب ذكر الراوى . حاشية الأجهورى ص١١٦

الذى هو فن عظيم النتائج قوى الأثر بين الناس .
 ولست أقصد أن يرثبط الخطيب بما يحفظه من قرآن وسنة . بل أزيد
 الخطيب وأقول له : " إذا حفظ للخطيب القرآن الكريم وأكثر من حفظ الآثار
 النبوية . ثم نقب عن ذلك تنقيب مطلع على المعانى . عرف حينئذ كيف يجيد .
 وهنا يستفيد بما ينشئه من ذات نفسه ، ويستعين بالمحفوظ على الغريزة الطبيعية
 ، وأصحاب الاجتهاد لا يستغنون عن هذا الحفظ أبداً " .

ج - المثل والنحل :

معرفة المثل والنحل هام للخطيب حتى يتمكن من المقارنة فى موضوعه
 ليثبت الحق فيه . ويدفع للشبه التى تثار ضده .
 ومع اشتمال القرآن والسنة على كثير من المثل والنحل بشكل مجمل أو
 مفصل إلا أننا نرى وجوب متابعة الخطيب للأبحاث لكثيرة التى تصدر تبعاً
 فى هذا الموضوع .

فى كثيرا من العادات تتأصل فى الناس بسبب بعد الزمن . وتتحول إلى
 نحلة يعتقها أصحابها على أنها مذهبهم ودينهم ، والدعاة مسئولون عن معرفة
 ما هو ملة أو نحلة ليتمكنوا من المواجهة الصحيحة ، والتحليل الدقيق .

د - علوم اللغة :

وهذه العلوم كثيرة وعديدة ، بعضها يتعلق بالتركيب اللفظية ، وبعضها
 يتعلق بطرق تحسينها . والتعبير عنها بصور مختلفة وبعضها بإعرابها
 وضبطها . والداعية يحتاج إليها جميعاً فى الخطابة وفى غيرها .
 إن مداومة الاطلاع فى علوم اللغة بمختلف فنونها يعطى للخطيب طاقة
 لفظية لا حدود لها ، وتمكنه من تشكيل معانيه فى صورة بهية جميلة .
 ويجب أن يكون واضحاً أن الاهتمام بهذه العلوم يفيد الخطبة من حيث
 سهولة اللفظ ، ويسر المعنى ، والقرب النفسى من المستمع .

هـ - العلوم الإنسانية :

سد بالعلوم الإنسانية كافة العلوم التي تنور حول الإنسان تحلل وتقد
النظريات التي تخدم الإنسان بعد ذلك .

ومن العلوم الإنسانية علم التاريخ . وعلم الاجتماع . وعلم النفس . وعلم
المنطق . وعلم الجمال . ونظريات هذه العلوم ضرورة للخطيب لكي يلاحظها
حين يضع علاجاً خطابياً للمستمعين .

إن الخطيب المسلم بصورة خاصة صاحب رسالة تحتاج منه الاخلاص
النقيق . والاصرار الواعي على النجاح . والشمول الواسع للمعارف والفنون .
ومن هنا فواجب أن يكون للخطيب مكتبة ثقافية يحرص على اقتنائها ،
وعليه أن يعيش بين الكتب . ولا يكتفى بنشرة مختصرة ، أو بأدلة محددة ، ولا
يساعده على ذلك إلا مكتبة بها مؤلفات في المعارف التي أشرنا إليها مع
استعداد في الخطيب ليقرأ . ويستوعب . ويفهم . ويستفيد .

ما الذي يمنع استفادة الخطيب من الفن التمثيلي . والإلقاء المسرحي .
والتوزيع الصوتي . وكل تلك وسائل مفيدة ومؤثرة ؟؟ وعليه أن يستفيد بها
ويغيرها في إطار الضوابط الشرعية .

ولماذا لا يهتم الخطيب بسائر الأفكار . وبكل العلوم الإنسانية . وهي
ضرورية لذاته ورسالته ؟؟

أو ليس واجبا على الخطيب أن يحفظ كتاب دعوته . والسنة الميينة
للكتاب ، وهما معا يوضحان للتين . ويمدانه بوسائل التأثير والافتتاح ؟؟
إننا في عالم لا مكان فيه لغير العلم . وعلى الخطيب أن يلحظ ذلك .
ويعمل له . لينجح في دعوته ويربطها - كحقيقتها - بالحياة .

قوة الذاكرة

يحتاج الخطيب إلى حسن الذاكرة . ليتمكن من أداء رسالته . ذلك لأن للذاكرة الضعيفة تنسى كثيرا من المعارف . وتضرب كثيرا من العبقريات . إن المرء قد يكون متقفا . غزير المادة . واسع الاطلاع . ومع ذلك إذا صادفه موقف حساس إرتج عقله . وخانته ذاكرته . وقديما قالوا : " إن المرء بأصغريه قلبه ولسانه " .

ذهب غلام مع وفد فومه لتهنئة عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه . ولما وقفوا بين يدي الخليفة اشرب الغلام للكلام ... فقال عمر رضي الله عنه : يا غلام . ليتكلم من هو أسن منك .

فقال الغلام : يا أمير المؤمنين . إنما المرء بأصغريه . قلبه ولسانه . فإذا منح الله عيده لسانا لافظا . وقلبا حافظا فقد أجاده له الاختيار . ولو أن الأمور بالسن لكان ههنا من هو أحق بمجلسك منك . فقال عمر : صدقت^١ .

والقلب الحافظ لا يكون إلا من ذاكرة حسنة . وبديهة حاضرة . وقد درس علماء النفس ظاهرة ضعف الذاكرة فوجدوها ضارة بالإنسان وخاصة الإنسان العادي .

يقول " كارل سپشور " : " إن الرجل العادي لا يستخدم أكثر من عشرة في المائة من قدرته الموروثة في الاستذكار . ويضيع منه تسعون في المائة بإهماله قوايين للتذكر الطبيعية^٢ " .

وقيل أن نقدم قواعد علم النفس في تحسين الذاكرة كما بينه العلماء نبين أن العلم ابتداء هبة إلهية يعطيها الله للمتقين من عباده كما يقول تعالى : ﴿ وَأَتَقُوا

١- شخصية ص ٢٢

٢- لتأثير في الجماهير ص ٦١

اللَّهُ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ ۝

ويقول الإمام الشافعي :

شكوت إلى وكيع سوء حفظي فأرشدني إلى ترك المعاصي
وأخبرني بأن العلم نور ونور الله لا يعطي المعاصي
وأهل التقوى يقولون بالإلهام الاثرائي . ويذكرون أن أهل الله يكون الله معهم دائما عونا ونصيرا مستدلين بقوله تعالى ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ بَلِغُ أَمْرِهِ ۚ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝ ﴾ .

ومع أن الأمر هبة إلهية فإننا نطالب بالأخذ بالأسباب ومطرده العادة ليتحقق العطاء الإلهي للصالحين .

هذا وقد درس العلماء طرق تحسين الذاكرة . وحصروها في ثلاثة هي :

الطريقة الأولى ' التركيز '

لتركيز عملية عقلية تساعد صاحبها على الإلمام بالموضوع واستحضار كافة المعلومات التي تتصل به ، ومن الناس من تشغله الحياة ، وتنسيه همومها كثيرا مما يحتاج إليه ، وهؤلاء يحتاجون إلى إتباع الوسائل التي تساعد على التركيز والتذكر .

ويجب على من يريد تحسين ذاكرته أن يحدد المطلوب عند قراءته . حتى لا يتغلب منه ويضيع . ويكون التركيز باستحضار المعنى عند قراءة الكلمات . وترتيب الأفكار حسب ورودها في الألفاظ . ويا حبذا لو ارتبطت هذه الأفكار بصورة حية في النفس، إن التشبيه أسلوب مبين لأنه يربط المشبه بما هو معروف وحي ، ولذلك كان ارتباط الأفكار بصورة حسية مؤديا لتحسين الذاكرة .

١- سورة البقرة آية ٢٨٢

٢- سورة الطلاق من الآية ٢ : ٣

ويكون التركيز أيضا بالقراءة بصوت مرتفع حيث تشارك حينئذ حاستان في النقاط المعنى .

إن اللسان والأذن في هذه الحالة يمدان العقل بالمعاني . وهذا يؤدي إلى تحسين الذاكرة .

ويأتى التركيز كذلك ، بكتابة المقروء وبخاصة ما يحتاج إليه .
إن العقول تعتمد على رؤية المكتوب أكبر من إدراكها لسموع خمساً وعشرين مرة ، ومن الإمكان أن تنسى اسم الشخص في وقت تحافظ فيه على تذكر صورته .

ويمكن أن يسجل الخطيب أو القارئ ما يقرؤه في جمل قصيرة .
يقول "مارك توين" : كنت ألقى محاضرة كل ليلة . وكان لابد لي أن أستعين بمذكرات تملأ صفحة كاملة حتى لا يختلط على الأمر . وكانت هذه المذكرات عبارة عن بدايات الجمل .

الطقس في ذلك الأقليم ...

جرت العادة في ذلك الوقت ...

ولكن لم يسمع أحد في كاليفورنيا أن ...

جمل من هذا الطراز يتكون منها ملخص الموضوع يبقى صاحبه من الحصر والارتجاج^١ ويمكن صياغة هذه الطريقة بتسجيل العناصر الرئيسية ، وكتابة رموز المسائل ، لأن الخطيب حين يراها يتذكر ما وراءها .
ويأتى التركيز أيضا بإعداد كافة المعوقات الحسية وقت القراءة لأنها تصرف بعض الفكر إليها . ولذلك نجد البعض لا يفهم جيدا إلا في مكان بعيد عن الناس .

ولسنا نقصد من هذه الصور الكثيرة سوى تنويعها أمام الأشخاص لأن من الناس من يركز بصورة أو بأخرى أو بغير ذلك كله .

١- للتأثير في الجماهير ص ٦٥

إن دقائق بسيطة من التركيز العقلي النشط تأتي بنتائج أعظم من التفكير
الذاهل الموزع لمدة أيام عديدة .

الطريقة الثانية - التكرار -

هذا هو القانون الطبيعي للثاني لقوة الذاكرة . وهو قانون مضمون
النتيجة لأنه الذي يمكن للكثيرين من حفظ النصوص الطويلة . والمسلمون لا
يحفظون القرآن إلا بالتكرار .

ويجب أن لا يكون التكرار آليا . بل يجب أن يكون ذاكيا . بمعنى أن
يستمر التكرار مدة طويلة على فترات منقطعة . لأن العقل الباطن يكون
مشغولا بين فترتي التكرار بتكوين ترابطات أكثر ضمانا ، ولأن العقل حينما
يقوم بعمله على فترات لا يرهقه التعب المتواصل .

وهناك كشف مفيد جدا يتصل بقوة الذاكرة وهو وجوب النظر في
الموضوع قبل إلقائه . لأن العقل ينسى في الثماني ساعات الأولى أكثر مما
ينسى في خلال ثلاثين يوما بعد ذلك .

الطريقة الثالثة - الترابط -

يستطيع الخطيب أن يتذكر نقاط موضوعه ويربطها بشئ موجود في
العقل . أو يربط بعضها ببعض في تسلسل وتتابع كان تكون العناصر بعدد أيام
الأسبوع ، أو بعدد أصابع اليد الواحدة ، أو بأي شئ مادي ملموس ، حتى إذا
بدأ في النقطة الأولى تتابعت أمامه باقي النقاط .

وأنكر أن بعض الخطباء في أول أمره كان يربط عناصر خطبته بعدد
أدوار البيت الذي يسكن فيه ، ويسمى كل عنصر بدور ... وهذا يسهل عليه
إيرادها وقت الإلقاء .

وهكذا يجب على الخطيب أن يحسن ذاكرته ليتمكن من النجاح في
مهمته .

المبحث الرابع

الصفات الأخلاقية للخطيب

يحتاج الخطيب إلى مجموعة من الصفات الأخلاقية من أجل القدرة على النجاح ، لأن هذه الصفات تعطيه الثقة في نفسه ، وتجعل المستمعين يقبلون على كل ما يقوله بنفس متفتحة ، ورغبة أكيدة . ومحبة تتعلق بالقول والقال ، وبالبحث في أهم الصفات الواجبة نرى أنها تنحصر فيما يأتي :

أ - الثقة بالنفس :

كثير من الناس حينما يكلفون بالخطابة يشعرون بأنهم حملوا أمرا فوق طاقتهم ، ويضمون إلى هذا الإحساس عجزا واضحا حين إلقاء الخطبة . حيث يصابون بالاختلال العصبى . فيحمر لونهم ، ويبلهم العرق ، ويصيبهم فزع شديد ، يقول خطيب عاش هذه الحالة : " إن أول مرة حاولت فيها إلقاء حديث عام كنت فى حالة من الشقاء . وليس هذا مجرد تشبيه ولكنه الحق بعينه فقد تبيس لسانى فى سقف حلقى . فلم أستطع أن أنطق بكلمة واحدة " .

إن حالة الخوف هذه يجب مطارذتها بحب الخطبة نفسها ، لأن الحب الكامل لها يدفع الخوف كله . ويؤدى إلى ثقة الخطيب فى نفسه ، وهذا الحب لا يتم إلا بعد إعداد جيد قبل الإلقاء . لأن الإعداد تسعة أمثال الإلقاء فى صنع الثقة ، ومما يدفع إلى تحقيق الثقة المطلوبة إيمان الخطيب بدعوته لأنه يخطب حينئذ فى أمر بهمه شخصيا ، وحينئذ يسمع جمهوره له . يقول عامر بن عبد القيس : " للكلمة إذا خرجت من القلب وقعت فى القلب " .

١- التأثير فى الجماهير ص١٢

٢- البيان والتبيين ج١ ص٨٣

ب - المشاركة الوجدانية :

وهي صفة هامة للخطيب تجعله يعيش حياة الناس ليشعر بشعورهم وينفعل مع آرائهم وحياتهم ويتداخل في تقاليدهم وكافة شئونهم ، بصدق وفهم ، وتحليل ، ويجب أن تأخذ هذه الصفة عنده شكلا عاما بمعنى تواجدها تلقائيا مع الجميع بلا تفرقة بين غني وفقير أو رئيس ومرؤس ، أو رفيع أو وضعي لكي يصل إلى الجميع .

إن المشاركة تضيء إحساسا عمليا له قوته في الوصل والتأثير ، ومن المعروف أن المشاركة الوجدانية هي الرباط الحريري الذي يصل القلب بالقلب ويربط العقل بالعقل ، وبالروح ، وبالروح ، وهي التي تتشئ كل التصرفات والسلوك ، وتأثيرها في الحياة الاجتماعية مؤكد بسبب خلوها من الزيف والتصنع ، لأنها تظهر مع أول مقتضى ، ولكل أمر ، ولا تحتاج إلى عناء كبير لكي تعرف وتترك لملازمتها القول والسلوك والعمل ، وبها ينتظر للناس الخطيب ويقدمونه عليهم فيأخذون رأيه وينهجون نهجه ويجعلونه رائدهم ، وما لستحق ذلك عندهم إلا بعد أن تأكدوا من الصور العملية لهذه الصفة ، فهو حبيب يتمنى الخير للجميع كما يتمناه لنفسه فيصل الرحم ، ويكرم الجار ، ويقرى الضيف ويخلص للجميع ولا يترك أمرا فيه مصلحتهم إلا ويبحث عليه ، ويبعدهم عن سواء ، ودائما تلقاه مهتما بالخير والنفع فيكرر النصيحة ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، وتعاونه مع الجميع يلمسه الجميع في كثرة ووضوح ، وهو في كل هذا لا ينتظر من الناس جزاء أو شكورا ، وكل ما يتمناه أن يجعل الأفهام مفتوحة لدعوته ، مقبلة على تديرها واليقين بها .

و الخطيب المسلم يطبق أشكال هذه الصفة عن إقتناع بها لأنها أوامر دينه إليه وحياة رسول الله ﷺ مع الناس بعد البعثة وقبلها ، وإذا كانت هذه مصادر دعوته فهو أحق الناس بتطبيقها .

إن الدروس المستفادة من فهمه لحقيقة الإنسانية ودعوة الإسلام للتعارف تحتم المشاركة الصادقة وجدانيا وعقليا وحسيا ليصنعوا جميعا ما يفيدهم وينفعهم.

وليس بدعا أن القرآن يمدح المؤمنين الأول لأنهم تركوا أنانية الذات إلى حب الجميع حيث كانوا لا يدعون للأحياء وحدهم بل يقولون ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٥١﴾ . ولم تكن بالقول فقط وإنما بالعمل كان إيتارهم كما يفيد قوله تعالى : ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥٢﴾ . فنرى الانصاري ساكن المدينة يحب المهاجر إليه من مكة بكل صفاء ويؤثره على نفسه خاصة ، وسبب ذلك أن وجداناتهم قد آمنت بهذه المشاركة عن اقتناع فتمكنوا بعد ذلك من تأسيس مجتمعهم على الحب والخير والمشاركة وكل ما حرصوا عليه هو أن ينمى الغل من قلوبهم وأن يوقفوا شح النفس ليصلوا إلى الفلاح ، وذلك درس للداعية الخطيب .

ج - الطبيعة العملية :

يجب على الخطيب أن يمسك بالتطبيق العملي لكل ما يقال حتى يستجيب المستمعون لتوجيهاته وأوامره . لأن من المعلوم أن الأشخاص أكثر إفا ومطاعة للأعمال من الأقوال .

١- سورة الحشر آية ١٠

٢- سورة الحشر آية ٩

ومن المعلوم أن المسلمين يوم الحديبية لم ينفذوا أوامر الرسول ﷺ إلا بعد أن رأوها عملاً منقاداً من الرسول نفسه .
 ويجب أن يسير الخطيب على خطة مرسومة مدروسة توصله إلى هدف معين . وقد دلت التجارب العملية أن الناس يتابعون كل أخبار مرشدهم فلو اكتشفوا مخالفة بين القول والعمل لكانت الطامة ... وهذا أمر مسلم به لأن الخطيب لو كان يؤمن بما يقول لمطبقه . وما لم يطبقه فهو غير مقتنع بقوله .
 وليس على المستمعين لوم بعد ذلك ، يقول أرسطو : " إن للصفات الخلقية التي يتمتع بها الخطيب أكبر الأثر في قوة الاقتناع ، ومن هنا نرى وجوب تمسك الخطيب في أعماله بكل ما يقول ، وأن يثق بنفسه ، وأن يكون مع الناس في كافة مشاعرهم وأحوالهم . حتى يتحقق له ما يريد " .

د - عدم التردد أمام الناس :

تدل كافة التجارب النفسية والاجتماعية على أن البشر يؤخون بمدى الجدية التي يدعون إليها ، والمؤمن بفكرة ما حينما يدعو بها يجد من حوله أنصاراً عديدين .

لقد وقف النبي محمد ﷺ وحده يدعو إلى الله . ومع أن عمه حاول إثنائه عن دعوته وطلب منه ذلك صراحة . مع كل هذا لم يتردد في دعوته ولم ينتن عن إرشاده للناس . ولقد أدى تمسكه بفكرته أن آمن الناس بها ودخلوا في دين الله أفواجا بعد مدة وجيزة .

يقول الشيخ محمد أبو زهرة : " إن قوة الاعتقاد تكسب الكلام حرارة . والصوت رنات مؤثرة ، والألفاظ قوة ، والمعاني روحاً ، وتجعل من الملامح والنظريات نورا يشع شعاعاً ، يصور ما في القلب من إيمان قوى وإخلاص عظيم " .

هـ - مراعاة المستمع في الخطبة :

ينبغي أن يسمع الناس من الخطيب حلولاً لاهتماماتهم . و أعمالهم . ومتاعبهم . ونجاحها ومشاكلهم .

يقول جون سيدال : " الناس أتايون في طبيعهم وسلوكهم . فهم بوجه خاص لا يهتمون إلا بأنفسهم . ولا يعيهم مثلاً إن كان يجب على الحكومة أن تكون على وضع معين . وكل ما يهمهم أن يتقدموا في أعمالهم . وأن يناولوا أجوراً مختلفة أكثر من تلك التي يحصلون عليها، وأن يحافظوا على صحتهم " .
ويقول جيمس هارفي روتسون : " ظاهر أننا نفكر طوال ساعات اليقظة ، ويدرك معظمنا أننا نستمر في التفكير حتى أثناء النوم ، ونحن نسمح لأفكارنا أن تأخذ مجراها ، وهذا العجز بآماننا ومخاوفنا ورغباتنا التلقائية ، وليس هناك شيء آخر أهم لأنفسنا من أنفسنا ذاتها . وجميع الأفكار العاملة التي نسيطر عليها . ونوجهها إلى حد ما لا بد أن تدور حول " الأنا " أو " الذات المحبوبة " .

وهذه الأتانية الشخصية عالجه الإسلام بربطها بقيم عليا ، وغايات نبيلة وجعل سعادة المسلم في إتباعه سلوك الحق . والتوجه إلى الله لنيل خير الدنيا والأخرة ، وربط النصر والظفر والأمن بطاعة الله ورسوله ... ومع ذلك لا بد من ربط الشخص بمصالحة الذاتية ، ودعوته إلى الحق من خلال استقامته ، وتكريمه .

وللخطباء المسلمين في هذا أسوة برسول الله ﷺ فما كان يحدث للناس إلا بما يشغلهم . ويهمهم .

إن أكثر أعمال الإنسان ناشئة من أجل الحصول على مصلحة . وللبعد عن مقسده . ومن المعلوم أن الوجدان يشكل النتائج تبعاً لذته وألمه .

١- التأثير في الجماهير صـ ١٧٧

٢- نفس المصدر صـ ١٩٥

والخطيب الجيد هو الذى يأتى المستمع من هذه الناحية . فيخطب الناس بما يثير لذاتهم ، ويشبع رغباتهم ، وما يرون فى الأخذ به انقاء لآلام متوقعة . ويبين لهم أن الآلام فى تقيض ما يدعو إليه . وليس ذلك صعبا على الخطيب إذا درس مستمعيه ، وأحاط بنفسياتهم . وتعلم الطرق المثلى لمخاطبتهم .

و - ملاحظة الروح الجماعية فى المستمعين :

أهم ما تتميز به الجماعة أنها لا تسير دائما تبعا لعقل الفرد . وإنما يتحكم فيها اتجاه عام ، ويحركها ، ويؤثر فيها ، وهو اتجاه لا يعرف منشأه ، وهدفه ، وهو عبارة عن روح عامة تسيطر على الجماعة ، ويعرف بالعقل الجمعى . وهذا العقل الجمعى يحول الفرد الضعيف إلى قوة قوية مع الجماعة ، وينقله من إنسان سلبى إلى آخر إيجابى يشارك فى العمل . ويندفع فى التنفيذ . وهذه الروح تسيطر على العامة والخاصة . يقول لوبون: وأعظم الرجال لا يتفاوضون عن العامة فى الأمور التى مرجعها إلى الوجدان^١ .

فعلى الخطيب أن يلاحظ ذلك ويستثير الجماعة بهذه الروح . وذلك العقل . وليس ذلك بشاق عليه إذا استعمل الأساليب المثيرة المشوقة من شرط واستفهام وقسم وتوكيد . وراعى أصول العلم وقواعده .

ح - عدم مصادمة الغرائز :

الغريزة ميل فطرى فى النفس يدفع الإنسان لأن يسلك مسلكا خاصا أو يصدر حركات مؤتلفة ، تودى إلى غاية عامة ، وإن لم يشعر بها الإنسان نفسه وهذه الحركات ليست نتيجة خبرة أو تعلم . ويتصل بها لفعال نفسى يكون واضحا بارزا فى كثير من الأحيان . وهذه الغرائز فطرية وحتمية . ولا أمل فى إزالتها كلية . ومن هنا بحث علماء النفس طريقة علاج الغرائز الضارة . ورأها فى ترويضها بالاستعلاء أو

بالإبدال أو بالتقليل .

وعلى الخطيب أن يلاحظ غرائز مستمعيه لكي لا يقع في تناقض لا أمل في الخلاص منه ، وهو يتمكن من ذلك بمواصلته قراءة علم الاجتماع وعلم النفس وغيرهما من العلوم الإنسانية الحديثة .
وهكذا يجب على الخطيب أن يهتم بالمستمعين فهم موضوع خطبته .
وفيهم يتحقق مراده ورسالته ينشرها من أجلهم .

المبحث الخامس

الصفات البيانية للخطيب

أهمية البيان للخطيب

الداعية الخطيب يحرس لدعوته أن تكون بيّنة واضحة في جوهرها ، وحركتها وهدفها ، ويجعلها تقف أمام العقل ، وتناقشه ، وتشتبك مع الفهم لتأسره ، وتستميله بصنفها ، وأصالتها .

والدعوة الإسلامية ما كانت . ولن تكن بغير البيان . إذ البيان أحد لوائمها والمصدق فيه يضمن لها الخلود والعمق ، ولذا كان من الأوصاف القرآنية لإبلاغها " المبين " ، وكثيرا ما يذكر القرآن أن المرسلين جاءوا بالبينات . ويقصد بها دعواتهم .

وقد اكتسب البيان هذه الأهمية لأن تبليغ الدعوة بصورة غامضة غير موقفة للعقل والنظر لا يعد أداءا للواجب ، ولا يخلص الدعاة من مسئوليتهم عند الله تعالى .

وتحقيقا للبيان أرسل الله رسله بلغة الأقوام الذين بعثوا فيهم حتى لا يكون لهم حجة تجعلهم يقولون : لم نفهم ما خاطبنا به فكيف نسأل عنه . لأنهم لو خاطبوا بغير لغتهم لعجزوا عن الفهم وكان ذلك مدخلا إلى عدم إيمانهم يحتاجون به كما قال تعالى ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ أَعْجَمِيًّا وَعَرَبِيًّا ۚ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَبَيِّنَاتٌ ۖ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ .

ولعل قوله تعالى بعد ذلك " أعجمي وعربي " إنكار لهذا التناقض إذ لا يصح أن

يكون الكلام أعجميا والمخاطب به عربي لأنه لو كان كذلك لتمادوا في عنقهم وقالوا لولا فصلت آياته بلسان نطقه .

ولما كان النبي ﷺ مبعوثا إلى كل الأمم ولكل لغاتهم فقد اختار الله أمة تملك العناصر التي تمكنها من نشر ما تعتقده وتؤثر به . فاختار الأمة العربية . أمة النبي ﷺ وجاء القرآن بلغتها ، وحملته هي بدورها إلى كل مكان محفوظا مفسرا . ومترجما . وقد استطاعت ذلك لفهمها طبيعة الأمم واختلاطها بها . ومعرفة لغاتهم ، وتوسطها جغرافيا بين الجميع . ويرغم ذلك فقد عمل المسلمون من غير العرب إلى تعلم اللغة العربية . لغة القرآن الكريم مما كان سببا في تحول أمم شتى بلسانهم إلى اللغة العربية وأصبحت هي لغتهم بعد ذلك . ولأجل البيان كان تتجيم القرآن من السماء الدنيا بعد ما نزل جملة إليها لأن التجيم يفيد إجادة الترنيل . والتفسير الحسن . والدفاع الحق عن الحجج التي تنشأ . كما أفاد ذلك قوله تعالى ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِيُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ٢٢٥ وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا ٢٢٦ ﴾ . وكل ذلك يهدف إلى تبيان الدعوة واتساحها ، إذ بالترنيل يقرأ القرآن في تودده وتسهيل . مصاحبا للتدبر . والانتعاض ، وكل فهم لمعنى القرآن الكريم هو بيان للدعوة ، وتذكير للمسلم ، ونداء للإيمان عند سواء ، وبإيراد الأمثلة الحقيقية تنهدم مجالات الباطل ، وتؤسس فكرة الحق واضحة لإيرادها . ولذلك فهي أحسن تفسيرا ، وذلك كله من فوائد التجيم .

أنظر قوله تعالى : ﴿ وَقُرْآنًا أَنزَلْنَاهُ لِقُرْآنِهِمْ لِنُقَرِّئَهُمْ عَلَى الْقُرْآنِ وَإِن يَلْمِزْكَ أَهْلُ الْبَلَدِ الْمَكِّيَّةِ فَخَرِّمْهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْلَ الْبَلَدِ الْمَكِّيَّةِ ٢٢٧ ﴾ . يقول أبو السعود : على مكث أي على تسهيل ، وتثبيت ،

١- سورة الفرقان من الآية ٣٢ - ٣٣

٢- سورة الإسراء آية ١٠٦

لأن ذلك ليس للحفظ وأعون على الفهم^١ . كما أن التنجيم يعطى لتكرير الموقف الواحد فائدة حيث أن الموقف يتكرر موجزا مرة ومفصلا . ومطولا . مرة أخرى . ومختصرا وشاملا مرة ثالثة ، وفي كل مرة يهدف إلى غير ما هدف إليه سابقا ، بصورة مستقلة ، وكأنه الفرد في هذا الموقف وذلك كله بيان للدعوة وإيضاح للمقصود .

ومما يظهر البيان ويجليه ما يلي :

- أولا -

النطق الحسن

النطق الحسن هو الدعامة للإلقاء الجيد ، لأنه يقوم على تخير المعنى ، وتحسين اللفظ ، والاستعانة بالأساليب الفخمة وبعد ذلك يأتي دور الإلقاء بغنيته المؤثرة ، وصورته البليغة الرائعة . وإذا اعترى المعنى غموض وخفاء ، أو أصيب اللفظ بجفوة وغرابة ، أو ظهر الأسلوب في تنافر وشذوذ . ضاع الإلقاء وإذا ضاع الإلقاء ضاعت الخطبة وفقد الخطيب ما يسمو إليه من وراء البيان . ونحن هنا نوجه بعض الملاحظات للخطيب ليهتم بتحسين نطقه وإجادته .

١- على الخطيب أن يجود لفظه :

على الخطيب أن يخرج حروفه من مخارجها الصحيحة فلا ينطق بالثاء سينا ، ولا بالذال زايا . وهكذا كل مخارج الحروف فيجب أن يعنى الخطيب بإخراج الحروف من مخرجها .

وليس معنى ذلك أن يتشدق الخطباء ويمططوا الألفاظ لأن ذلك مكروه للخطيب . لأن التشادق يوقع أولئك المتكلمين في نقوض ما يرغبون . إذ ينطقون بالحروف من غير مخرجها . كبعض الخطباء الذين يدفعهم التشدق إلى أن ينطقوا بالجيم ثينا^١ أو يمتون في موضع القصر، أو يقصرون في موضع

١- تفسير لبي السعود جـ ٣ صـ ٢٢٩

٢- مجانية اللحن :

يجب أن يهتم الخطيب بتصحيح الكلام الذي ينطق به . ويلاحظه في مفرداته وعباراته . وذلك يتأتى بدراسة علوم اللغة والبلاغة .
إن الحركة الواحدة تغير اللفظ وتقلبه من معنى إلى معنى آخر . حدث أن خارجيا قال في قصيدة :

ومنا يزيد والبطين وقعب ومنا أمير المؤمنين شبيب

فلما علم عبد الملك بذلك طلبه وسأله ثم قال هذا . فأجاب بأنه قال: ومنا أمير المؤمنين شبيب 'يفتح للراء في أمير لا يضمها' . وبذلك نتقل من الإخبار إلى النداء وأنقذ نفسه أمام عبد الملك يجعل الضمة فتحة .

٣- تصوير المعاني :

على الخطيب أن يتقن إلقاء ألفاظه بشكل يجعل المعاني مصورة من خلال الألفاظ . وذلك يبرز الاستفهام . ويجسم التقرير ، ويظهر السرور . ويخفي الحزن . وهكذا .

وعلى الخطيب أن يستفيد في ذلك بتعلم فن الإلقاء المسرحي والإذاعي . إذ نجد هؤلاء يستعينون بالصوت والموسيقى ، وبإبراز الأصوات من أجل إظهار المعاني التي يقصدونها .

إن علماء الإعلام يستفيدون بالمؤثرات الصوتية في إبراز المعاني ، ولذلك يضعون بعض الفواصل الموسيقية بين الكلام ، ويلجأون إلى الصمت والسكون ، ويكثرون من الحركة والانتفات ، وتركيز النظر ، ويوهمون المستمع بأنهم في بيوتهم وبين أهلهم وعلى الخطيب أن يستفيد من كل جديد مشروع .

٤- المهل :

يحتاج الخطيب إلى التمهّل في إلقاء خطبته ، لأن للنطق السريع المتعجل بشوه اللفظ ويضييع المعنى ، ويجعل المستمع لا يستطيع متابعة سرعة الخطيب

ومن حسن شرع الله تعالى أن علم المسلمين التمهّل في القراءة لينتدبروا المعنى وكان النبي ﷺ إذا قرأ بعض الآيات يمكن للعاد أن يعد حروفها معه .

٥ - إبراز الكلمات الهامة :

ومعنى هذا أن يضغظ الخطيب على بعض المقاطع دون بعض ، بشرط أن لا يكون هذا الضغظ عشوائيا . ولكن يجب اختيار الكلمات الهامة الدالة على الموضوع . أو المؤيدة للعناصر . أو الموجزة للخطبة كلها . وهكذا يجب إبراز بعض النقاط الهامة في الموضوع ، كأنه يضع سطورا تحت كلمات مكتوبة .

٦ - تغيير ارتفاع الصوت :

الصوت له أثر كبير في وقع الكلام على المستمع حسنا أو قبحا ، لذلك على الخطيب أن يغير صوته بين الارتفاع والانخفاض ليؤثر بالصوت وبالمعنى معا . وأيضا فمن الواجب على الخطيب أن يجعل صوته مناسبا لسعة المكان أو ضيقه .

إن هذا التغيير يؤثر في الإنسان بصورة واضحة وثقلانية . وينبه الغافل ويوقظ النائم ، ويجذب الشارد . وحينئذ يسمع الجميع ويستفيدون .

٧ - تغيير سرعة الصوت :

إن تغيير سرعة الصوت من الأمور السارة التي تمكن الخطيب من الوصول إلى هدفه .

يقول ديل كارنجي : " إن هذه كانت إحدى الوسائل المحببة عند لتكوين حين يريد الوصول بفكرته إلى الهدف . وكان ينطق بعدة كلمات بسرعة كبيرة حتى يصل إلى الكلمة أو العبارة التي يريد تأكيدها ، ثم يبطئ في صوته عندها ويضغظ عليها . ولا يلبث أن يندفع مسرعا في الحديث حتى يصل إلى نهاية العبارة كالبرق الخاطف . وكان يخصص أطول وقت مستطاع للكلمة أو الكلمتين

للتين يريد تأكيدهما^{١٠} وهكذا يجب أن يكون الخطيب .

٨- التوقف قبل وبعد كل فكرة :

يجب على الخطيب أن يركز في تقسيم خطبته ، ويوقف المستمع معه على هذا التركيز . وهذا لايتأتى إلا بمؤثرات صوتية في الإلقاء تأتي عن طريق التوقف عن الإلقاء قبل كل فكرة وبعدها ، ولو للحظات قليلة لأن المستمع سوف يبحث عن سر هذا التوقف . وفي خلال بحثه يجد أن الفكرة المقصودة قد أتته فيفهمها بإتقان ، ويعلم أن الفكرة السابقة قد تمت . والواقع أنه ليس أجدر بالصمت أن يكون من الذهب إلا حين يستخدم بحكمه أثناء الحديث . فهو وسيلة ناجحة . ومع هذا نجد كثيرا من الخطباء يهملونه .

= ثانياً =

التخلص من العيوب الصوتية

هناك عيوب تلحق بالصوت والواجب على الخطيب أن يسعى للتخلص منها بكل وسيلة ممكنة ، ومن هذه العيوب :

- عدم قدرة الخطيب على بيان موضوعه ، واختفاء غرضه من خلال سرعة الصوت لديه مع مراعاته لتصانح الإلقاء الجيد ، وهذا العيب يمكن تلافيه بالترتيب على النطق الهادئ ، والتمهل في التلفظ بالكلمات ، والتزام أصول " علم الخطابة " .
- العيوب الشائعة في اللسان . كاللثغة^{١١} ، والتمتمة^{١٢} ، والغافاة^{١٣} واللفف^{١٤} . وعلاج هذه العيوب يكون بالطب الجسماني فإذا تعذر

١- التأثير في الجماهير ص ١٠٠

٢- اللثغة : يدل حرف بأخر في النطق كبديل السين ثاء ، والغاف طاء ، وللام ياء . والراء لاما .

علاجها وجب على الخطيب أن يتجنب الكلمات المعيبة عنده
فإن عجز عن ذلك فليترك الخطابة لأهلها .

— خفوت الصوت : وهذا يكون بسبب ضعف صحنى فى الخطيب
ويعالج هذا العيب بالمطرب البشرى . ولتقة بالنفس . وبالشجاعة
الأدبية .

وهذه للعيوب لابد من التخلص منها ، لأنها تضرر الخطابة فى
مقتل ، ولا تحقق للخطيب هدفا ... ولذلك وجب الحسم إزاءها
صيانة للخطبة ، ومحافظة على الخطيب .

== ثالثا ==

تكمير المعانى الجادة

يأتى المستمع إلى الخطيب ليخرج فى النهاية بمعنى يبقى فى ذهنه ،
وكل ما يضعه علم الخطابة من دراسات بهدف فى النهاية إلى إمداد الجمهور
بشئ يؤثر فيه ، ويفيده ، ويوضح له منها صالحا للقضايا التى تساعده فى
حياته .

ولا يكفى فى الخطبة أن تكون ذات لفظ جميل مع خلوها من المعانى
الدقيقة .

على الخطيب أن يلحظ أنه يخاطب عقول المستمعين وعليه حينئذ أن
يجود كلمته . وينظم عناصرها ويجعلها فى مستوى فهم الناس . مع ضرورة
استعمال الصور البيانية المتعددة .

١- التتمة : التمتع فى الناء

٢- الغافأ : التمتع فى الغاء

٣- التلف : إدخال بعض الكلام فى بعض

المبحث السادس

الصفات الشكلية للخطيب

لا بد للخطيب من مراعاة مجموعة من الصفات الشكلية التي تحيط به .
والتي تؤثر كثيرا في انتباه المستمعين . ذلك لأن الأشخاص يستفيدون بكافة
حواسهم حيث تجدهم يوجهون آذانهم لصوت الخطيب . وفي نفس الوقت
يتابعونه بعيونهم ومن المعلوم أن تحريك كافة الجوارح مدعاة لليقظة والانتباه .
وللصورة الحسية أثر بالغ فيمن يرى الخطيب ، وينظر إليه ، ويسمعه ،
لأن المظهر يدل على المخير ، وللصورة تأثير يسبق الحدث ولذلك كان
النبي ﷺ يأمر أصحابه بليس أحسن ثيابهم حين استقبال الوفد عليهم ليرى فيهم
حسنا وبهاء يعظم فيه دينهم الذي حقق لهم الحسن والجمال والنظافة .
ولذلك وجب على الخطيب أن يهتم بهذه الصفات التي سنوجزها فيما
يلي :

١- الوقوف في مواجهة المستمعين :

على الخطيب أن يلحظ مكانه بالنسبة للجمهور . فلا بد أن يكون أمامهم
ويستحب له أن يكون واقفا . وعلى مكان مرتفع ، وأن لا يبدأ في خطبته فور
وقوفه ، بل يتمهل قليلا حتى يلحظه الجمهور الناظر .
إن الخطيب الجاهل عرف هذه الميزة . فكان يخطب على ظهر دابته .
أو على مرتفع من الأرض ، وأول خطبة خطبها النبي ﷺ من فوق جبل الصفا...
وقد ثبت أنه ﷺ استمر مدة طويلة يخطب للناس وهو واقف على جذع
نخلة إلى أن انتقل إلى مدير أقامه المسلمون في مسجد المدينة للخطبة خاصة .
إن هذه المواجهة تمكن الخطيب من اكتشاف أثر خطبته على الجالسين
أمامه ، وهذا يدفعه إلى الإجابة والدقة .

وفى العصر الحديث عرف الجميع قيمة هذه الصفة فاهتموا جميعا بتأسيس مكان خاص للخطيب ، يتميز بالارتفاع ، وبأنه فى مواجهة المستمعين فى دور العبادة حيث الخطب الوعظية . وفى المؤتمرات والهيئات العالمية ، وفى دور القضاء يحتل الخطباء الأماكن ليقفوا خطبهم منها .

إن المستمع يؤثر فيه رويته للخطيب . ومن هنا رأينا البعض ينادى الخطيب بأن يمتنع عن تحريك أصابعه . لو لعيت بملابسه . أو الأتيان بحركات عصبية لأن المستمعين يرقبون كل ذلك ، ويتابعونه ، ويفكرون فيه ، فى وقت يجب أن لا يهتموا إلا بالخطبة ، وبالكلام الموجه إليهم .

إن الدين الإسلامى دعا الناس إلى الحضور لخطبة الجمعة قبل بدئها بوقت مبكر ، ورجعهم فى أن يبدلوا الحضور من مطلع الشمس ، وذلك لكى يستعدوا استعدادا كليا لحصر لنتباههم فى ذكر الله . وحتى لا تؤثر حركة قائم متأخر فى نفسيات المستمعين وتصرفهم عن الخطبة .

ولنفس السبب كان بعض الحكمة من مشروعية عدم تخطى الرقاب . ومن باب أولى يجب أن يلحظ الخطيب ذلك ولا يقوم بأى شئ يصرف الناس عن الخطبة .

وينادى بعض العلماء بأن ينفرد الخطيب وحده بمنصة الخطابة . لأن الاشتراك فى هذا المكان يؤدي إلى كثرة الحركات فى مواجهات المستمعين ، وهذا يصرف الناس عن الاستماع الجيد للخطبة ، وهذا رأى جر به كثيرون وأمنوا بجدواه لدرجة أنهم طالبوا الخطيب بأن ينتظر فى إلقاء خطبته . ولا يعجل إليها إذا كان قد سبقه آخر ، حتى يهدأ المكان . ويزول صدى الخطيب السابق من الأذان . وحينئذ ينتبه المستمعون إلى القول الجديد .

وبالجملة فإن مكان الخطيب يجب أن يكون محل عناية واهتمام .

٢- جمال الخطيب :

يستحب أن يتمتع الخطيب بجمال الصورة . ولا نقصد بذلك أن يكون أمير الجمال . ولكننا نريده مقبول الصورة غير منفرد . لأن للناس " منذ كانوا "

مولعون بالقوة والسلامة والاستواء في الخلق ، والحسن في الصورة .
 وها هن نسوة مصر في قصر عزيز مصر حينما رأوا يوسف نظروا إليه
 بإجلال . يقول الله تعالى ﴿ فَانظُرْ أَكْبَرْتَهُمْ فَطَعَنَ أَبْدِيَهُمْ وَقُلْنَ حَاشَ إِلَهُ مَا
 هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴿٢١﴾ ١ .

مدح الرمق بن زيد أمام جبلة الغسانی . وكان الرمق دميما قصيرا فلما
 أنشده وحاوره قال : عمل طيب في ظرف سوء .

وقد ذكر الجاحظ أن زيد بن جندب كان أشقى (أسنانه مختلفة طولا
 وقصرا ودخولا وخروجا) أفلج (أسنانه صفراء) ولولا ذلك لكان أخطب
 العرب قاطبة .

ولما رأى للنعمان بن المنذر ضمرة بن ضمرة وكان دميما قال له :
 " تسمع بالمعدي خير من أن تراه " .

فأجاب ضمرة . إن الرجال لا تكال بالمكيال . وإنما المرء بأصغرية
 قلبه ولسانه ٢ .

ومع هذا التصور فهناك خطباء يرعوا في فئهم مع قبح صورتهم من
 أمثال الأحنف بن قيس الذي اتصف بالقبح والدمامة ٣ إلا أننا نشير إلى الغالب
 الأعم الذي يفيد الخطبة والخطيب .

٣- حسن الهندام :

أرسل عالم نفساني إلى مجموعة كبيرة من الخطباء وسألهم عن تأثير
 الملابس فيهم فشهد جميعهم دون استثناء . بأنهم حين يكونون في أيهى زينة .
 وأجمل ملابس . ويعرفون ذلك . ويحسونه فإنهم يملكون زمام أنفسهم ولا
 يخطئون ٤ .

١- سورة يوسف آية ٢١

٢- فن الخطابة ص٣٩ ، ٤٠

٣- زهرة الأدب ج٣ ص٦٢

٤- التأثير في الجماهير ص١٠٧

ومعنى هذا أن حسن الهدام أحد أسباب الثقة بالنفس . وهذا يجعل الخطيب بجود قو له . ويحسن خطبته . وبالتالي يكون تقدير مستمعيه بما يقدم لهم من كلام حسن . مؤثر . مفيد .

٤- أمور جانبية :

هناك أمور أخرى يجب أن يلاحظها الخطيب . وعليه أن ينظمها لتكون مساعدة له في خطبته .

فمثلا على الخطيب أن يعد المكان . أو يأمر بذلك . لأن المكان لو لم يكن مشعرا لجميع الناس ، أو كان سيئ التهوية . أو خاليا من المقاعد ، إن كان المكان واحدا من هذا أو من غيره فإنه يدعو إلى ضجر المستمع من هذه الأمور الجانبية . والتصرفه عن الخطيب إلى شيء يعيد عن الهدف الذي جاء من أجله .

ومثلا يحتاج المكان إلى إضاءة كافية تساعد على الرؤية . ولا بد من ملاحظة ذلك . ففي أثناء النهار يكفي بفتح النوافذ الكثيرة لإدخال الضوء الشمسي . وفي خلال الليل لابد من إعداد الإضاءة الملائمة . سواء كانت من التيار الكهربائي أو من غيره مع مراعاة كافة الظروف .

ومن الأمور الهامة إحضار مكبر للصوت إذا كان المستمعون عددا كبيرا وكان المكان واسعا . لأن هذا يساعد على راحة الخطيب ولستفادة المستمعين . وحفظ النظام .

وهذه أمور نسوقها على سبيل المثال . ويجب مراعاة كل ما هو على نمطها .



الفصل الثالث

المستمعون



”المستمعون“

تهدف سائر الأعمال والأنشطة الاجتماعية خدمة الإنسان ، ومحاولة الترقى به من وهدة التخلف إلى رقى في الفكر والحضارة والنهضة ، وفي إطار تحقيق هذا الهدف تعمل مؤسسات والإعلام ، وهيئات الإرشاد والخدمة الاجتماعية ، ومختلف الجمعيات الخيرية والتنمية .

وقد جاء الرسل عليهم السلام لتحقيق خير الإنسان وسعادته وذلك بإرشاده إلى الطريقة المثلى ليعيش دنياه عابده تعالى ، وينتقل لأخرته سعيدا بما يلقاه فيها . يقول الله تعالى ﴿ اللَّهُ وَرِئُ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ ۗ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٦﴾ ١ ويقول سبحانه ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلُّ أَعْمَلُهُمْ ﴿٢٥٧﴾ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَءَامَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَيْنَا مِنْ حَقِّهِ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢٥٨﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا البَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ ۗ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ ﴿٢٥٩﴾ ٢ ومن ولاية الله للمؤمنين أن وجه الدعوة إليه نحو المنهج الأمثل لدعوة الناس به .

وعلم الخطابة على رأس علوم الدعوة يتجه مباشرة إلى المستمعين لحل قضاياهم بمنهج الله ، وتصحيح مسارهم ، ودعوتهم بالله بالحسنى ، ولذا لزم كل من يلي أمر الخطبة أن يحيط بأحوال المستمعين من كافة النواحي بقدر الإمكان ليتمكن من مخاطبتهم بما يفيدهم ، وبما يحتاجون إليه .

وفي هذا الفصل سأتناول هذا الموضوع في عدة مباحث فيما يلي :

١- سورة البقرة آية ٢٥٧

٢- سورة محمد من الآية ١ : ٣

المبحث الأول

مراعاة عقلية المستمعين

للإنسان طاقة عقلية معينة يمكنه بها أن يفهم كل حديث يتناسب معها . وعلى الموجهين والمخطباء ملاحظة طاقة المستمعين العقلية . ولذلك كان النبي ﷺ يقول لأصحابه : **خاطبوا الناس على قدر عقولهم** : " اتحبون أن يكذب الله ورسوله " ، إن الإنسان إذا لم يخاطب على قدر مستواه العقلي فإنه لا يعقل شيئاً ، وينفر مما يسمعه " ، ويكتفى بالنظر فقط ، وينشغل باطنه بأمر يتخيلها من حياته ومعاشه .

وذلك أمر مسلم به ، شأنه شأن الطفل الرضيع إذا قدم له اللحم طعماً فإنه يؤذيه ويضره .

وفي كتاب " الدعوة التامة " للشيخ عبد الله بن علوي الحداد تقسيم للناس وفق علمهم وإقبالهم على الله تعالى ، وبيان لكيفية دعوة كل فريق . وقد ذكر — رحمه الله تعالى أن البشر أصناف متعددة ، ذكر منهم بعض الأصناف هي :

الصنف الأول : طائفة العلماء ، وهم رموس الناس ، ووجهاتهم وأساس الصلاح أو الفساد في المجتمع . والعامية في حاجة دائمة إليهم ، وهم جماعة تميزت بالقطنة ، واشتغلت بالمعارف ، وعلت بالعلوم التي حصلوها ، وتقتهم فيما جمعوا من علم أرقى من تقتهم بما جمعوا من مال .

وقد ولد العلم لديهم ملكة فكرية تجعلهم قادرين على التخيل والإبداع ، ومنهم يكون المجتهدون في سائر العلوم الدينية .

ولذلك وجب حين دعوتهم وتوجيههم أن يقدم لهم الحديث اللائق بلا تكرار ، ولا إطناب . ولا بد من بث الثقة فيهم ، والرضى عنهم ، وتركيز فكرهم وعقلهم ولو في جانب ما ، وذلك خير من الصدام معهم .

إن الإنسان عموماً لا يحب من يصدّم مشاعره ، وواجب ملاحظة ذلك ، وبخاصة مع العلماء الذين هم قادة الفكر في الناس .
 ويستحسن في خطبهم أن يقوم على الحوار . والجدل . والقصص .
 والمثل التمثيلية ليستتجوا مع الخطيب ما يريد ... ومن الضروري إستشارة روح المسؤولية عند العلماء حين التوجه إليهم بالخطاب .
الصنف الثاني : المطيعون لله . وهم أهل الورع والتقوى . وهم صفوة الله وأحبائه وأوليائه . وهؤلاء تكفيهم الإشارة . والرمز . لأنهم علموا ولتزموا وعرفوا وذاقوا واتباعهم للخير جيلة فيهم . لا يحتاجون لعناء . إنما يكفيهم التذكر . ﴿ وَذَكَرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ٤ .

الصنف الثالث : الأمراء والولاة . وهم أولو الحكم والسيادة إن قاموا بواجبهم وفق أمر الله عدلوا ونصروا ، وإن ضيعوا واجبهم هلكوا وأهلكوا ، وهذا الصنف له هيئته وقيادته ، ودعوتهم تحتاج إلى حكمة ودربة ، إذ لا بد من إعطائهم ما يليق بهم من تقدير ، وعدم التصادم المباشر معهم . وفي نفس الوقت لا بد من نصيحهم ووعظهم بالمسائل التي تنفعهم وتنفع رعاياهم باللين والحسنى وليس بمستحسن أن يتجه الخطيب لهؤلاء بما ينفرهم منه ، ويجعلهم في عداة معه ، واللائق في نصيح هؤلاء أن يذكرهم العالم بمسئوليتهم أمام الله تعالى ، ويروى لهم الأدلة النصية الواردة في نصيحهم لأنهم لا يستعملون على حكم الله كما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية .

الصنف الرابع : أصحاب الحرف والمهن . وهؤلاء طوائف من الناس تقضى وقتها كله في العمل والسعي والكسب ، وفيهم الحرص على الكسب والمال . وقد يفئ الله عليهم فيملكون ما لا كثيراً وهم لم يتعلموا . ولم يتقنوا ، وواجب على من يخطب في هؤلاء أن يعيش مع نفسياتهم ، ويستغل لهم من حياتهم ، ويعلمهم بأسلوب سهل ، ويتخولهم بالموعة ، ويحاول أن يعالج الأمراض

النفسية والاجتماعية التي تنتشر بينهم .

إن أصحاب الحرف يلزمهم معرفة حكم الشرع في عملهم ، كل في اتجاهه . وهذا واجب الخطيب . ومن هنا كانت ضرورة ملاحظة نوعية المستمع لتكون الخطبة ملائمة له ومناسبة لمصلحته .

الصف الخامس : أهل الفقر والمسكنة ويراد بهم من يعيش في بلاء ما كمرض . أو فقر . أو سجن . أو ظلم . وهؤلاء يعيشون بنفسية معينة . وعقلهم وفكرهم دائما يعيش في مشكلهم . ويحاول أن يقارن بينهم وبين غيرهم من الناس ، وخطيب هؤلاء يجب أن يلحظ وضعهم ، فليس الحديث للمسجونين والمرضى كالحديث للأحرار الأصحاء ، ولن يكون الكلام للغنى هو الكلام للفقراء .

الصف السادس : أهل الضعف كالنساء والأطفال وهؤلاء يجب أن يعرفوا واجبهم ، وحقهم أن يخاطبوا على قدر مستواهم للذهني والعقلي .

الصف السابع : غير المسلمين من الناس وهؤلاء قد يكونون أصحاب دين أو مذهب ، أو لا دين لهم ويسلكون مسلكا فوضويا في مجال السياسة ، أو مجال الاقتصاد .

وقد يكون لهؤلاء سبق علمي ، وثراء مادي ، ونهضة حضارية كما هو مشاهد اليوم ، وكثير منهم قد يتصور أن الفضل في تفوقهم يرجع إلى إهمالهم الدين ، واعتمادهم للتوجه العلماني ... ودعوة هؤلاء تتم بالحسنى ، ومحاولة القرب النفسي ، وتقديم الإسلام لهم من حقيقة تعاليمه ، لا من تطبيقات المسلمين وحياتهم ... ومن الممكن فتح باب الحوار معهم ، ومناقشتهم .

وحيث أن الإسلام دين يجب تبليغه للناس جميعا . كان على الخطيب الذي يوجه حديثه إلى غير المسلمين أن يتعب نفسه ويعرف اتجاه مخاطبيته ، ولا يتصادم مع عواطفهم . وتقاليدهم ، ولا يفرهم منه ، وليكن حديثه معهم من باب ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا

أَلَهَ وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِمَّنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا

فَقُولُوا أَشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾ ﴿

وعلى ضوء قوله سبحانه :

﴿ قُلْ مَا تَوْابُوا بِرِضْوَانِكُمْ ﴾ .

وهؤلاء لا يفيدهم الاستدلال بالنص لأنهم لم يؤمنوا ، وإنما لابد من الاستدلال لهم بآيات الله في النفس ، والكون ، والحياة وعند مقارنة سريعة بين النص وما هو موجود محسوس .

ويجب أن يعلم الخطيب أن الناس منذ خلقهم الله جبلوا على احترام النكاه النافع ، والاخلاص الهادئ ، ومحبة الخير والسلام ، وجبلوا كذلك على أن يقبلوا على من يقبل عليهم . إن الإقبال على حل مشكلة ما ، يجعل أصحابها يشاركون في الحل والإقبال .

المبحث الثاني

ملاحظة الاتجاهات السائدة

في كل جماعة من الناس ينتشر اتجاه أو اتجاهات معينة تبعاً لظروف بيئية أو اجتماعية . ومن أمثال ذلك انتشار اتجاه صوفي في جماعة ما ، أو أن تعيش الجماعة في حي يحتم على ساكنيه أن يكونوا تجاراً ، أو أن يوجد في وسط الناس مصلح مخلص يورث فيهم حب العلم . وتقدير أهله ...

وعلماء التربية يوجهون المشتغلين بالتعليم لملاحظة الاتجاهات التي تسود بالضرورة بين مجتمع الشباب ، أو مجتمع المرأة ، أو مجتمع العمال ، أو مجتمع الجنود ، أو مجتمع العلماء والمفكرين ... وهكذا ، لأنها اتجاهات متغيرة ، وفي نفس الوقت متحركة في النشاط الاجتماعي . والمربي الموفق هو الذي ينطلق من هذه الاتجاهات . ينميتها أو يعدلها على وفق ما يرى .

ولو تصورنا مصلحاً اجتماعياً بدأ عمله في وسط ريفي وأخذ يتكلم عن نظريات العلم ، ومستجدات العلماء فإنه لا يفيد شيئاً ، أما إذا جعل حديثه عن آيات الله في الزرع والضرع ، وتزول المطر ، والقضاء على الأوقات ، وتوسيع الأرزاق ، وتيسير الأعمال فإنه يفيد لأنه عاش مع الاتجاهات التي تسيطر على عقول من يرببهم ويعمل لهم .

والخطيب وهو يوجه الجماعة نحو الغاية التي يعمل لها عليه أن يلاحظ ما في مستمعيه من اتجاهات ليتمكن من تحليلها ، وبناء عملته الإصلاحية على أساس فهمي لا يتصادم معها ، ولا يبدأ بالهجوم عليها ، وبخاصة إن تأصلت هذه الاتجاهات في النفوس ، وليس صعباً على الخطيب التوصل إلى هذه الاتجاهات لأنه يعيش بين الناس ومن المفترض أنه درس شيئاً في علوم الاجتماع وعلوم النفس ، وعلوم العمران والسياسة ، لأن هذه العلوم تضع يده على مفاتيح اكتشاف اتجاهات الناس .

ويجب أن يعرف أن هذه الاتجاهات قد تولد وفق ظروف معينة كالحرب والرخاء ، والحرية ، والديكتاتورية ، وغيرها إذ بسبب من هذا وأسائه توجد اتجاهات خاصة كالأثينية والمادية ، والفوضى ، والحقد ، والحب ، والتعاون . وعلى الخطيب أن يبحث في أسباب الاتجاه ، وببسط توضيحه في أثناء ، ويذكر مستمعيه بما فيه من خير أو شر . ويلون خطابه بما يثير ويقتنع .

فمثلاً ينتشر في بعض الجماعات اتجاه عدم الالتزام بالتعاليم الدينية بدعوى التقدم والسلوك العالى . وتلك قضية على الخطباء أن يواجهوها بإظهار الأسباب الأصيلة وراء هذا الواقع ، إنه للجهل بالدين وعدم التزام هذه الجماعات به ، ووجود الغزو المضاد للدين ، واستمرار التأثير بالفساد في مجال التعليم ، والثقافة ، والفنون الذى أريد انتشاره بين المجتمع للمتدين .

إن وجود إعلام غير إسلامى . ووجود تعليم لا يربى على الدين يؤدي إلى صعوبة التربية الجادة وانحراف الناس عن الصراط المستقيم ... والخطيب الموفق هو الذى يعالج هذه القضايا وسط هؤلاء التقدميين العلمانيين واحدة بعد واحدة ، فإذا ما عالجها بدقة وموضوعية ينتهى إلى حب المستمعين لدينهم وتمسكهم بتعاليمه .

ومن المعلوم أن هناك اتجاهات طارئة بسبب الإشاعات والأخبار الكاذبة التى تبثها بعض أجهزة الإعلام بقصد نشر التلبلة ، أو تشوية الحقائق فى مجتمع ما . وهذه يمكن مواجهتها ببيان الحقيقة مدعومة بأدلتها . كما أن بيان كذب الإشاعة . ووضوح القصد من الأغاليط عامل هام فى القضاء عليها .

وقد وجهتها الخطيب وغيره من علماء التوجيه إلى ملاحظة الاتجاهات السائدة لأن هناك اتجاهات طارئة مؤقتة كحادثة وفاة ، أو حريق ، أو سرقة يكون لها أثرها المؤقت . وهذه تعالج بصورة مؤقتة وتنتهى ، بخلاف ما هو سائد ومستمر من الاتجاهات .

إن ملاحظة الاتجاهات السائدة فى المستمعين قضية علمية لا بد منها لكل من يتصدى لعمارة التوجيه والتربية .

المبحث الثالث

مراعاة المناسبات عند المستمعين

هناك مناسبات متعددة يتفعل بها الناس ويعايشونها بعواطفهم وعقولهم ، ولذلك نجدهم يسمعون الحديث عنها ، ويتابعون التعليق المتصل حولها ، وتأهب نفوسهم لفهم كل ما يدور حولها .

إن الجماهير تتفعل بوضوح بمناسباتهم الاجتماعية والسياسية والرياضية ويوقفون كل نشاطهم من أجل المتابعة والمشاركة ، ويتأثرون إلى حد كبير بعقلهم الجمعي خلالها .

وأهم المناسبات ذات التأثير في النفس هي المناسبات الدينية . كيوم العيد وموسم الحج ، وأيام الصيام ، وتلك كلها مناسبات دينية تثير في النفس الآمال والأحلام وبخاصة في الإطار الذي شرعه الله لها ، وعلى نمطها المناسبات الأخرى . وعلى الخطيب مراعاة هذه المناسبات جميعا .

إن الحديث في ذكرى الحرب يغير بالضرورة الكلام في أيام الأمان . والخطبة بعد النصر ليست هي التي تكون بعد الهزيمة .

إن مراعاة المناسبة يعني الاهتمام بالمستمع ويشير إلى النجاح في عملية التأثير والإفادة الذي هو أمل كل خطيب يعرف ما يناط به من مسئولية وواجب . ومن روعة الإسلام أنه يحتوى على كل ما يناسب الإنسان في جميع ظروفه .

ولا يعني الاهتمام بالمناسبات المجاملة ومجازاة الواقع مهما كان سيئا ، وإنما المقصود هو الإجابة والحسن في أداء الرسالة عن طريق مشاركة المستمع والتفاعل معه في القضايا التي تشغل فكرة وعواطفه وتوجهه إلى المعروف برفق ، ونهاه عن المنكر بأدب ، من غير تصادم مباشر مع عواطفه ووجدانه .

كم من خطيب يقصده الناس لأنه يحدثهم عن أنفسهم ، ويوجد الحلول
 عن مشاكلهم ، ويظهر الحلول الإسلامية لما يثار أمامهم !
 وكم من خطيب يتصرف للناس عنه ويتمنون أن يسكت حين يبدأ في
 الحديث !!

إن المشتغلين بالتربية والتوجيه والإرشاد يهتمون بموضوع الساعة لأنه
 المناسبة الحية المتحركة عند الناس . ولذا نراهم يتناولون هذا الموضوع
 بالدراسة والتحليل ، والتعليق ، والشرح وبيان كل ما يتعلق به من أحكام دينية
 وفوائد علمية ... وهكذا .

وما ذلك إلا نوع من الاهتمام بالمناسبة الذي نادى به ليضعه الخطيب
 في مخططة .

والمناسبات عديدة بعضها دوري ثابت ، وبعضها طارئ مؤقت وكلاهما
 يجب الاهتمام به رعاية لإقادة المستمعين .

المبحث الرابع

ملاحظة الاختلافات المهنية

يتأثر الإنسان ببيئته ، وعمله ، وزملائه ، وثقافته ، وتلك كلها عوامل مؤثرة في شخصية الإنسان الاجتماعية ، وتوجهاته العامة ، ونشاطه خلال الحياة . والبيئات المهنية عديدة ، وهي مغلقة على أصحابها ، وذلك مثل بيئة الجند الذين يقيمون في المعسكرات ، ويعيشون للتدريب والاستعداد ، ويحتاجون إلى تربية معنوية تحببهم في الجهاد ، وحب الوطن ، وتعرفهم بأعدائهم ، وتبين لهم أهمية تحسين صلتهم بالله تعالى ، والمحافظة على حقوقهم سبحانه وتعالى ليتمكنوا من النصر وتتهيأ لهم أسبابه .

وهناك بيئة العمال الذين يعيشون في مساكن خاصة بهم تابعة لعملهم ، وهؤلاء يشغلهم العمل ، ويحتاجون إلى توجيههم نحو الإخلاص ، وتقدير العمل وحب النجاح لصاحب رأس المال وهناك بيئة الطلاب الذين يسكنون في مدن جامعية ليقتضوا يومهم مع الدراسة ، وليلهم مع الزملاء والمذاكرة .

وفي كثير من المدارس يكون نظام اليوم الكامل ... وهناك بعض التجمعات الدينية والسياسية الذين يربون إتياعهم على منهج خاص ، ويربونهم تحت إشرافهم طوال الوقت ... وهكذا

والخطيب الناجح هو الذي يفهم جمهوره قبل أن يلتقى به ، ويتقن معرفة البيئة التي تأثر بها ، ويعد خطبته لثلاثم مستمعيه .

إن الخطيب يحتاج إلى استعمال ألفاظ معينة ، ويسوق تشبيهات لتوضيح فكرته ، وحتى تكون مفهومة لابد أن تلامس إلهام المستمعين وأن تكون معلومة لديهم ، وذلك لا يكون إلا إذا تبعت من البيئة التي يعيشون فيها .

ومن هنا وجب عل الخطيب أن يكون محيطا بالبيئات المهنية للمستمعين .

الباب الثانى
فقه الجمعة
والعيدين

تمهيد

يوم الجمعة أحد أيام الأسبوع في دورته الفلكية يسبق بيوم الخميس ، ويعقبه يوم السبت .
 وهو أول أيام الأسبوع عند المسلمين حيث خصهم الله به ، وشرع لهم الخطبة والاجتماع في يومه ، فسبقوا بذلك غيرهم من أهل الكتاب .
 وقد فرض الله على المسلمين صلاة الجمعة في يومها ، وفرض معها الخطبة لتكون مدرسة يتعلم منها المسلمون دينهم ، وملتقى يتعارفون خلالها على إخوانهم ، وجمعا يتدارسون أثناءه قضايا أمتهم ، متعاونين كرماء .
 وكما شرع الله يوم الجمعة شرع العيدين ، عيد الفطر وعيد الأضحى لإتخال الفرحه في قلوب المسلمين ، وإعلانها للناس بعد الانتهاء من عباداتهم .
 وفي العيدين يسمع المسلمون خطيبهم يهنئهم بالعيد ، ويبين لهم أحكامه ، ويذكر بالفرحة الكبرى عند لقاء الله تعالى ، ويوجههم إلى ضرورة المحبة والتعاون بين المسلمين في يوم العيد العظيم .
 وقد حاولت في هذا الباب دراسة فقه الجمعة والعيدين لأبين أهم الأحكام الشرعية لهما ، وأربط هذه الأحكام بالصورة الإسلامية الاجتماعية المستفادة من الأحكام الشرعية .
 وقد تكون الباب من فصلين ، حيث جاء الفصل الأول للجمعة والثاني للعيدين . وذلك فيما يلي :



الفصل الأول

فقه الجمعة



تمهيد

إن يوم الجمعة هو أفضل الأيام وأحسنها عند الله تعالى ، فقد جعله الله عيدا للأمة الإسلامية .

ففيه وحده الأمة حين تتلقى كلها على منسك واحد ، مجتمعاً في بيوت الله ، لتعلم دينها ، وتقف على كافة شؤونها . حيث ينتشر الدعاء في كافة المساجد بخطيبون ويرشدون .

وفي يوم الجمعة يكون الخضوع التام لله إذ يجتمع الناس يؤدون فرضهم ويعلمون دينهم عباداً لله ، خاشعين خاضعين ، ترفرف عليهم السكينة . وتنزل عليهم الرحمة ، ويعمهم الخير والتوفيق .

ولأهمية الجمعة في الحياة الإسلامية عقدت هذه الدراسة لفهم كل ما يتعلق بها من حكم وتشريع . ليكون دليلاً للمسلم يفهم من فقه هذا اليوم العظيم مقاصد الإسلام ، وإصلاحه للعالمين .

وقد جعلت هذا الدراسة مع الحديث عن قواعد علم الخطابة لشدة الصلة بين الجمعة والخطبة . فأبرز ما في يوم الجمعة هو الخطبة، وقصد التجمع خلال اليوم هو لسماعها، حتى أن كل بحث يقدم في المحيط الإسلامي عن الخطبة هو محاولة للنهوض بخطبة الجمعة، والاستفادة بها على الوجه الذي شرعت له . والحديث عن فقه الجمعة متشعب الجوانب . متعدد الجهات ، ولذا ساقفصر على أهمها مع المحافظة على تقديم روح هذا الفقه مدعماً بالنصوص والآثار ، وذلك في المباحث التالية :

المبحث الأول : اسم الجمعة .

المبحث الثاني : فضل يوم الجمعة .

المبحث الثالث : قيم إسلامية من خلال فقه الجمعة .

المبحث الرابع : شروط الجمعة وإيجابية الجماعة .

المبحث الخامس : خطبة الجمعة .

المبحث السادس : نماذج من الخطب المأثورة .

المبحث الأول

اسم الجمعة

كان للعرب يوم قبل الإسلام يعرف بيوم " العروبة " بفتح العين ومعناه " البيان العظيم " يقول الشاعر العربي :

نفسى الغداة لأقوام لهم خلطوا يوم العروبة أورادا بأورك

وهو أحد أيام الأسبوع عندهم . اختاره كعب بن لؤى جد رسول الله ﷺ ليجمع الناس فيه ، يعلمهم مكارم الأخلاق ، ويذكرهم بمبعث النبي ﷺ ويعرفهم أنه سيكون من ولدهم ، ويأمرهم باتباعه ، والإيمان به إذا بعث فيهم . ومن أقواله :

يا ليتنى شاهد فحواء دعوته إذا قريش تبغى الحق خذلاً

وظل العرب يخصصون يوم العروبة هذا بالاجتماع فى الأمور الهامة حتى جاء الإسلام فغير اسمه إلى يوم الجمعة ، وفرض على المسلمين الاجتماع فيه للصلاة واستماع الخطبة .

والجمعة تتلحق بضم الجيم وضم الميم ، أو فتحها ، أو تسكينها ، والجمعة تعنى الاجتماع سميت بذلك للدلالة على ما حدث ويحدث فيها .

يروى ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : " إنما سمي يوم الجمعة لأن الله تعالى جمع فيه خلق آدم عليه الصلاة والسلام .

يقول النبي ﷺ : يا سليمان ما تدرى ما يوم الجمعة .

قلت : الله أعلم ورسوله أعلم .

قال ﷺ : إنه يوم جمع أبوك أو أبوكم^١ .

وقيل إنما سميت جمعة إشارة لما كانت تصنعه قريش فيها حيث تجتمع

إلى قصى في دار الندوة في هذا اليوم . وكان كعب بن لؤى يجمع في هذا اليوم قومه يذكرهم ويأمرهم بتعظيم الحرم . ويخيرهم بمبعث محمد ﷺ . وهو بهذا الاسم كان موجودا عند العرب قبل الإسلام ولو بمعناه .

وقيل سمي هذا اليوم بالجمعة لأن القيامة ستكون فيه حيث يجتمع فيه الناس لرب العالمين .

وقيل إن التسمية كما هي إسلامية الوجود . فهي إسلامية السبب لأنه مأخوذ من الاجتماع للصلاة والخطبة .

وأول من سمي ليوم بالجمعة هم الأنصار في المدينة ، إذ قالوا لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة أيام . وكذا للتصاري فهم فنجعل يوما نجتمع فيه ، ونذكر الله ، ونصلي له ، ونشكره فجعلوه في يوم العروبة المعلوم لديهم ، فلما فرضت الصلاة والجمعة في هذا اليوم سمي بالجمعة .

وظل العرب يسمون اليوم بيوم العروبة فلما اجتمعوا إلى أسعد بن زراره صلى بهم ركعتين ، وذكرهم ، فسماوا الجمعة حين اجتمعوا إليه . وذبح لهم أسعد شاة فتغذوا وتغشوا من شاة وذلك لقتلهم ، فأنزل الله في ذلك بعد ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَكَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ ﴿١﴾ .

وليس هناك مانع من وجود هذه الأسباب جميعا إذ لا تتناقض بينها ، ووجود أحدها كاف في التعليل .

ثم يوم الجمعة يكون بمعنى اسم المفعول أى المجموع فيه . ويكون بمعنى اسم الفاعل أى الجامع للناس . والتاء في الجمعة ليست للتأنيث وإنما هي للمبالغة كعلامة ورجالة ولذلك وصف بها المذكر^٢ .

١- صفة القارئ - كتاب الجمعة ج٦ ص١٦١

٢- سورة الجمعة آية ٩

٣- لسان العرب مادة " جمع "

المبحث الثاني

فضل يوم الجمعة

وردت آثار عديدة تشير إلى فضل يوم الجمعة على غيره من الأيام ، وتبين قيمة الأعمال الصالحة فيه ، ففيه خلق آدم ، وفيه أهبط من الجنة ، وفيه ساعة إجابة ، وبه تميزت الأمة الإسلامية وسبقت سواها من الأمم ، ومن هذه الآثار :

أ - يروى الإمام أحمد في مسنده أن رسول الله قال : " سيد الأيام يوم الجمعة وهو أعظمها عند الله تعالى " .

ب - عن سعد بن عبادة رضى الله عنه أن رجلا من الأنصار أتى للنبي ﷺ وقال : أخبرنا عن يوم الجمعة ماذا فيه من الخير ؟ قال ﷺ : فيه خمس خلال .

خلق الله فيه آدم عليه السلام .

وفيه أهبط الله وفيه آدم عليه السلام إلى الأرض .

وفيه توفى الله فيه آدم عليه السلام .

وفيه ساعة لا يسأل العبد فيها شيئا إلا أتاه الله تبارك

وتعالى بإياه ما لم يسأل حراما .

وفيه تقوم الساعة .

ما من ملك مقرب ، ولا سماء ، ولا أرض ، ولا رباح ، ولا جبال

ولا بحر ، إلا وهن يشفقن من يوم الجمعة ... وسيب الشفق أن

الملائكة ترقيهم إلى قيام الساعة في هذا اليوم .

١- أيام الأسبوع السبعة عند العرب قبل الإسلام هي : (شبار ، أول ، أهون ، جبار ، نبلر ، مؤنس ، عروبة)

ج - عن عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال : ' ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله فتنة القبر ' . وهذا يعنى أنه يسأل ولكنه لا يفتن فى القبر ، أو يسأل سؤالا يسيرا .

د - عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : ' إن فى الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله عز وجل فيها إلا أعطاه إياه ، وهى بعد العصر ' .

وهذه الساعة تعرف بساعة الإجابة .

وقد إستشكل هذا الحديث مع حديث آخر ذكر فيه رسول الله أن الساعة يوافقها المسلم (وهو فى صلاة) ، وقد وردت هذه الزيادة عن بعض الصحابة منهم سريح رضي الله عنه فقال لسعيد الخدرى . إن رسول الله قال فى صلاة . وليست بساعة صلاة .

فرد عليه : أو لم تعلم أن رسول الله ﷺ قال : ' منتظر الصلاة فى صلاة ' .

قال له : بلى هى والله هى ' .

وهذه الساعة تتكرر كل أسبوع .

هـ - عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول : ' ليلة الجمعة غراء ويومها أزهر ' أى ليلته مشرقة ويومه مضئ لكثرة نزول الملائكة فى الأرض يستغفرون للناس . ويباركون لأهل الأرض .

و - عن أوس بن أبى أوس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ : ' من أفضل أيامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه

١- الفتح الربانى . باب فضل الجمعة ج٦ ص٢ والمراد بالأيام أيام الأسبوع . لأن يوم عرفه أفضل أيام السنة .

٢- الفتح الربانى ج٦ ص٩

٣- بلوغ الأمانى ج٦ ص١٤

٤- الفتح الربانى . باب فضل الجمعة ج٦ ص١٠

الصعقة ، فأكثرُوا على الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة على^١ أى تعرضها الملائكة على رسول الله كما تعرض الهدية على صاحبها فيستبشر لذلك ، ويستغفر لصاحبها من المسلمين .

ز - يروى البخارى بسنده عن ربيعة بن الحارث أن أبا هريرة رضي الله عنه سمع رسول الله ﷺ يقول : " نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا . ثم هذا يومهم الذى فرض الله عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله له ، فالتاس لنا فيه تبع ، اليهود غدا ، والنصارى بعد غد " ^٢ والمراد بهذا الحديث أننا برغم تأخرنا الزماني فإننا السابقون منزلة بلا انقطاع إلى يوم القيامة .

وهذه الأحاديث وغيرها تشير إلى فضل يوم الجمعة . وتوضح وقت الخير لمن يريد ، وتدعو المسلمين إلى التسابق فيه بالطاعة والصلاة على رسول الله ﷺ ، والإكثار من الدعاء ، وتذكر ما وقع فى هذا اليوم ، وما سبق فيه ليعرف الإنسان قصة خلقه الأولى ، وصورة نهاية الكون كله . ويعلم ما ينتظره فى قبره من سؤال وحساب .

ومعنى هذا أن المسلم لو عاش فى الخصائص التى أشرت إليها ، وتدير فيها ، وحاول أن يتعظ بها ، لعاش بحق منهج هداية حسن ، وسعد بعبوديته لله رب العالمين .

إن هذه الخصائص تبين بعض الحكمة فى اختيار يوم الجمعة ليكون عيداً أسبوعياً يشغله المسلمون بالعبادة . ويجتهدون به روحهم وأملهم فى الدنيا وفى الآخرة ، ويعلمون أنهم الأعلون عند الله لو كانوا صادقين .

١- المصدر السابق . باب فصل الجمعة ج٦ ص٩

٢- صحيح البخارى - كتاب الجمعة . باب فرض الجمعة ج٢ ص١٥٧

المبحث الثالث

قيم إسلامية من خلال فقه الجمعة

توضح تشريعات الإسلام ليوم الجمعة عظمة الإسلام وسموه في بعض الآداب والقيم الاجتماعية التي يبني بها المجتمع على الحب والمودة ، ويبني بها الفرد على الصفاء والاخلاص والوفاء . ومحاولتي هذه لإبراز هذه الآداب مرتبطة بالبشر ومعرفة الأحكام الفقهية من أجل إبراز الحقائق التالية :

١- الإسلام دين الحياة ينظم العبادة ، وفي نفس الوقت يموس الدنيا ولا يعرف الإسلام أبدا الانفصال بين العقيدة والشريعة فيه ، ولا صحة قول بغير هذا .

٢- الإسلام علم وسلوك ، ثقافة وتطبيق ، تعليم وتربية ، وعلى المتدين به أن يكون مسلما بباطنه وقوله وعمله .

٣- منهجية الإسلام في نشر تعاليمه تتفق مع طبيعة الإنسان وفطرته ، بحيث لا يعاندها إلا معاند جاحد أو جاهل حاقق ، وأمرهم إلى الله تعالى . مالك للملك ، القادر على كل شيء سبحانه وتعالى .

وهذه الحقائق وغيرها تبرز بروزا واضحا من خلال القيم الإسلامية التي يربي الفرد عليها من خلال تعاليم الإسلام وتشريعته ليوم الجمعة . ومن أهم تلك القيم ما يلي :

أ - الجماعة :

أجمع الفقهاء على أن الله فرض صلاة الجمعة لقوله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُوا إِذَا تَوَدَّعْتُمْ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ

ذَلِكَ حَرِّ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ . فإن الأمر في الآية للوجوب ولقول النبي ﷺ ، واعلموا أن الله فرض عليكم صلاة الجمعة ، وقوله ﷺ ، الجمعة على من سمع النداء ، ولقوله ﷺ ، على فرضية الجمعة على الأمة الإسلامية " رواج الجمعة واجب على كل محتلم " ، وعلى فرضية صلاة الجمعة إجماع الأمة من لدن رسول الله إلى يومنا هذا من غير تكبر . فدل ذلك على فرضية الجمعة على الأمة الإسلامية .

وهذه الفريضة لا تصح إلا في جماعة ، وهي صلاة أسبوعية يتحتم أن يتجمع لها المسلمون في بيت الله تعالى . ليعرف بعضهم بعضاً ، ويساهم كل منهم في معونة إخوانه . حيث يجمعهم قصدهم وجه الله تعالى ، فهم لم يقصدوا جاهاً دنيوياً ، أو كسباً مالياً ، أو عرضاً زائلاً من أغراض الحياة الدنيا .

إن المسلم يلتقى مع أخيه في المسجد ليصنع معه أسلماً متيناً للمجتمع الصالح ، وحتى يؤدي هذا اللقاء دوره نجد الإسلام يحسن للمسلمين للتكبير في الذهاب للمسجد يوم الجمعة . فعن أبي هريرة رضي عنه أن النبي ﷺ قال : إذا كان يوم الجمعة قعدت الملائكة على أبواب المسجد فكتبوا من جاء الجمعة فإذا خرج الإمام طوت الملائكة الصحف . فقال رسول الله ﷺ : المهجر إلى الجمعة كالمهدي بدنة . ثم كالمهدي بقرة . ثم كالمهدي شاة . ثم كالمهدي بطة . ثم كالمهدي نجاجة . ثم المهدي بيضة ^١ . وهكذا يؤدي الحضور المبكر إلى الحصول على ثواب أكثر ، وهذا ترغيب فيه مما يؤدي بالضرورة إلى التعارف والتآلف الذي هو أحد أسباب مشروعية الجماعة في الجمعة ... ومن المكث الطويل في جوار الله يكون الخير ، والتعاون ، الأخوة الصانقة في الله تعالى .

١- سورة الجمعة آية ٩

٢- عمدة القارئ ج٦ ص١٦٢

٣- سنن أبي داود . باب فضل الجمعة ج١ ص٢٤٢

ومن أجل الالتزام التام بفريضة الجمعة نرى الترهيب من التخلف عنها
ومن التأخير في الحضور إليها . يقول علي بن أبي طالب عليه السلام : * إذا كان
يوم الجمعة غدت الشياطين براياتها إلى الأسواق فيرمون الناس بالترابيت
ويشطونهم عن الجمعة * . والترابيت هي الشواغل النفسية التي تحبس الإنسان
عن الذهاب إلى المسجد . فكأن المسلم الذي يكمل عن الجمعة بالتأخير أو
للتخلف يسلم أمره للشيطان ، وهذا غاية سوء . ورسول الله ﷺ يشدد على
النهائون في الذهاب للجمعة ويبين أثره السيئ حتى لا يحدث جحود في القلب
وجهالة في العقل . يقول عليه الصلاة والسلام : * من ترك ثلاث جمع تهاونا
بها طبع الله على قلبه *^١ . وعن ابن عمر وابن عباس رضي الله عنهما أنهما
شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال : * وهو على أعواد منبره : لينتهين أقواما
عن ودعهم الجمعات أو ليختمن الله عز وجل على قلوبهم . وليكنن من
الغافلين *^٢ . والمراد بالطبع على القلب والختم عليه فقد التوفيق ، والبعد عن
الخير ، والإحساس بالغفلة ، وعدم الشعور بالواجب والمسئولية .

إن التخلف عن الجمعة سببه الانشغال بالمادة والخوض في مناهات
الدنيا ، والبعد عن ذكر الله تعالى ، واللجوء إليه . والتسليم التام بقدره وقضائه
وفي هذا تصوير بديع بيّنه الرسول الكريم ﷺ : * يتخذ أحدكم الساعة
فيشهد الصلاة في جماعة فتتعذر عليه سألته . فيقول لو طلب لسألتي مكانا
هو أكلاً من هذا . فيتحول ولا يشهد إلا الجمعة فتتعذر عليه سألته . فيقول :
لو طلبت لسألتي مكانا هو أكلاً من هذا . فيتحول فلا يشهد الجمعة ولا يشهد
الجماعة فيطبع على قلبه *^٣ .

والسائمة هي الماشية التي ترعى بلا كلفة . ومعنى الحديث أن الرجل
تشغله الدنيا ويهتم بها فيهجر الجماعة مكثفا بالجمعة . ثم يهجر الجمعة بعد

١- سنن أبي داود . باب التشديد في ترك الجمعة

٢- الفتح الرباني . باب التخليط في ترك الجمعة جـ ٦ ص ٢١

٣- المصدر السابق

ذلك من شدة حرصه على الدنيا وحينئذ يضيع منه كل شيء ويمتلئ قلبه بالذكريات
والجحود .

لقد وصل العلماء في العصر الحديث إلى ضرورة التجمع البشري في
أطر كثيرة كالنادي والرحلات ومعسكرات العمل وغير ذلك لإحداث تفاعل
اجتماعي بين الجماعة الواحدة ، والخلق شعور واحد . كما ينادى العلماء بشحذ
الهمم . وتركيز الانتباه نحو هدف مشترك وهو ما يوجد في التجمع نحو حزب
أو وطن أو قومية وهكذا .

إن الإسلام سبق كل هذه المحاولات البشرية بتشريع الله للجمعة
والجماعة وغير ذلك . وهو بهذا يوجد التجمع الأصيل المؤثر ، النابع من القلب
المرتبط بأهداف عليا رسمها الخالق سبحانه وتعالى .

إن تجمع الإسلام يتم في سكونة وخشوع وفي إطار الخضوع لله ، مع
التجرد التام من كل غرض مادي . وهذا يورث في المجتمعين الصدق
والاستمرار ، بخلاف ما اخترع من اجتماعات ترهيبية إذ فيها ينتشر الهوى ،
وتوجد ألوان من المتع العدوانية على المحارم والحقوق ، وهذه لا تنتج إلا
الآلام والشقاق .

كم سمعنا عن لقاءات تطول أياما وشهورا لتعويد الأفراد حب نظام ،
ونشر منهج ، والولاء لشخص ، ولكن الأفراد سرعان ما يختلفون بعد انتهاء
اجتماعهم لضحالة الهدف . وقلوبهم شيء .

ثم ما هي المرغبات لهذه الاجتماعات البشرية المخترعة ؟

إنها جزء مادي بسيط سريعا ما ينتهي ويزول .

وأرضا ما هي العقوبات لمن يقبل مخلصا على الاشتراك الجماعي في

هذه اللقاءات ؟

لا وجود للعقوبات على هذا إذ لا عقوبة في القانون إلا بجريمة . ولا

جريمة لمن يدعزل ويتوارى في نظر البشر .

أما اجتماع الجمعة فهو عبادة مفروضة يحقق السعادة في الدنيا والفوز

في الآخرة . كما أنه يحرم البيع وكل صناعة وعمل في وقت الجمعة لينتفع المسلمون جميعاً إلى التجمع في مسجدهم لله وفي الله رب العالمين .
ومن حكمة التشريع أن يتخلف عن الجمعة ويغيب عن هذا العيد الأسبوعي عليه أن يتحمل غرماً مالياً يعود على الجماعة كصدقة حتى يتحقق للمسلم دور اجتماعي بالضرورة . فعن سمرة بن جندب رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: " من ترك الجمعة من غير عذر فليتصدق بدينار فإن لم يجد فبنصف دينار ^١ ، وهذا المال للمتصدق به كفارة تمحو ذنب التخلف عن الجمعة لأنها ما سميت كفارة إلا لتكفير الذنب عن مرتكبه لا سيما وأنه خاص بحق الله تعالى . والله عز وجل جعل له كفارة فمن أداها قبلت منه ، ولا حرج على فضل الله تعالى ، ومن لم يؤدها صار مستحقاً للعقاب الوارد في ذلك .

ب - إيجاد التآلف في الجماعة :

تشريع الإسلام للجماعة في الجمعة محاط بعوامل عديدة تنشر التآلف ، وتشجع على التقرب . وتمنع عوامل النفرة والكراهية . ومن حكمة الله تعالى أن وضع هذه العوامل في إطار حكم شرعي له ثوابه عند الله ، وله نتيجة الخير عند الناس في الدنيا .

ومن هذه العوامل المشروعة الأمر بالنظافة النامة بقول النبي ﷺ : " من أتى الجمعة فليغتسل ^٢ والفقهاء مختلفون في حكم الغسل للجمعة . ذهب للظاهرية والإمام مالك إلى أن الغسل للجمعة واجب لا بد منه - لأن صيغة الحديث الذي معنا جاءت بالأمر والأمر يفيد الوجوب . وقال جمهور الفقهاء : حكم الغسل يوم الجمعة الاستحباب والنسب لقوله ﷺ : " من توضأ يوم الجمعة فيها ونعمت ومن اغتسل فهو أفضل ^٣ .

١- سنن النسائي . باب كفارة من ترك الجمعة من غير عذر جـ ٣ ص ٢٤٤

٢- سنن الترمذي . باب ما جاء في الاغتسال يوم الجمعة جـ ٢ ص ٢٦٤

٣- الفتح الرباني جـ ٦ ص ٥٠٠

ورأى الجمهور أولى بالقبول لأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ترك عثمان يصلي الجمعة بالوضوء فلو كان الغسل واجبا ما اكتفى عثمان بالوضوء . وما تركه عمر يصلي . وحينئذ يكون الأمر في الحديث مصروفا عن حقيقته بالأحاديث الأخرى^١ .

إن النظافة بصورة عامة تبعث عن الإشراق للنفس ، وهندء الأعصاب وتريح التفكير ، وتبحث على الطمأنينة والثقة ولذلك وجدنا علماء الاجتماع المعاصرين ينادون بضرورة النظافة والتجمل وبخاصة لأولئك الذين يتحصنون لقيادة الناس^٢ . ويكفي إلقاء نظرة على مجموعة من الأطفال في مدرسة ابتدائية نجد أن النظافة أحد عوامل النشاط والقرب للنفس . لأنه لو حدث أن وجد طفل غير نظيف فإنه يتعزل ويبعد عنه أقرانه .

إن النظافة عامل فطري له أثره للنفس داخل الجماعة ، ولذلك شرع الإسلام الغسل لمن يذهب لجماعة الجمعة .

ومن عوامل التأليف الاجتماعي توجيه المصلين إلى لبس أحسن الثياب والتطيب يقول النبي ﷺ : " إن الغسل يوم الجمعة على كل محتلم ، والسواك ، وأن يمس من الطيب ما يقدر عليه^٣ ، ويقول ﷺ : " إن من الحق على المسلمين أن يقتسل أحدهم يوم الجمعة وأن يمس من طيب إن كان عند أهله فإن لم يكن عندهم طيب . فإن الماء أطيب^٤ .

يقول ابن قيم الجوزية : " الطيب غذاء الأرواح . والقوى الإنسانية تزداد بالطيب لأنه ينفع الدماغ والقلب وسائر الأعضاء الباطنة . ويفرح القلب ويمسر النفس . وينشط الروح . ولذلك كان الطيب أحد المحبوبين إلى أطيب الطيبين رسول الله ﷺ .

١- لنظر الفتح الرباني ج٦ ص٦١ - ٥٣

٢- كيف تكسب الأصدقاء ص٢٣٠

٣- سنن النسائي . باب الهيئة للجمعة ج٣ ص٧٨

٤- الفتح الرباني . باب الغسل للجمعة ج٦ ص٥٥

وفي صحيح البخارى أنه ﷺ كان لا يرد الطيب .

وفي صحيح مسلم عنه ﷺ قوله : " من عرض عليه ريحان فلا يردہ

فإنه طيب الريح . خفيف المحمل " .

وفي سنن أبى داود والنسائى عن أبى هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ

قال : " من عرض عليه طيب فلا يردہ فإنه خفيف المحمل . طيب الرائحة " .

وفي الطيب من الخاصة أن للملائكة تحبه . والشياطين تنفر عنه . وأحب شئ

إلى الشياطين الرائحة المننتة الكريهة، فالأرواح الطيبة تحب الرائحة الطيبة .

والأرواح الخبيثة تحب الرائحة الخبيثة، وكل روح تميل إلى ما يناسبها .

فالخبيثات للخبيثين . والخبيثون للخبيثات، والطيبات للطيبين . والطيبون للطيبات

وهذا وإن كان في النساء والرجال — فإنه يتناول الأعمال والأقوال والمطامع

والمشارب والملابس والروائح، إما بعموم لفظه . أو بعموم معناه ^١ .

إن حرص الإسلام على تهئية المسلم لصلاة الجمعة من أجل إحداث

قربى بين المصلين لأنهم يجتمعون كإخوة لله تعالى يتسودون ويتعاطفون

ويتراحمون كأنهم جسد واحد .

ومن عوامل التآليف الاجتماعى لجماعة الجمعة ما شرعه الإسلام من

آداب يؤدونها المسلم إذا جاء للمسجد .

ومنها أن من كان جالسا بالمسجد وعليه التماس فليتحول من مكانه

ويترك المسجد لأن المقصود من الحضور هو المشاركة الاجتماعية ، وأى

عمل يبعده عن ذلك يجب الإبتعاد عنه . يقول النبي ﷺ : " إذ نعن أحدكم في

المسجد يوم الجمعة فليتحول من مجلسه ذلك إلى غيره " ^٢ ، وذلك حتى يذهب

الدعاس . وينشط عقله وجوارحه ، ويقاس على النوم كل ما يؤدى إلى الغفلة .

ومن الآداب أن يجلس من يأتى إلى المسجد حيث انتهى به المجلس فلا

يتخطى رقاب الناس . ولا يفرق بين اثنين متجاورين . وقد شدد النبي ﷺ على

١- الطب النبوى ص ٢١٥ ، ٢١٦

٢- الفتح الربانى ج ٦ ص ٧٥ ، باب الجلوس في المسجد للجمعة

هذا فقال : " من تخطى المسلمين يوم الجمعة اتخذ جسرا إلى جهنم " . ورأى النبي ﷺ رجلا يتخطى رقاب الناس فقال له : " اجلس فقد أدنت وآتيت " . وإن كان هذا في تخطى الرقاب فمن باب أولى يمنع أن يقسم الداخل غيره ليجلس مكانه . ولكن له أن يطلب للتوسعة .

وقد اختلف الفقهاء في حكم تخطى الرقاب يوم الجمعة ، فقال بعضهم هو حرام ، وقال آخرون : هو مكروه .

وعلى الجملة فإن كل منفر للنفس ، وكل مضعف للألفة . ينهى الإسلام عنه . حتى يتحقق من الاجتماع في المسجد التعاون المطلوب ، والمحبة الواجبة بين المسلمين جميعا بلا فرق بين غنيهم وفقيرهم . ولا بين صغيرهم وكبيرهم فهم جميعا متساوون بين يدي الله تعالى .

المبحث الرابع

شروط الجمعة

وإيجابية الجماعة

يهدف الإسلام من فرض الجمعة ومشروعية الجماعة إلى تكوين مجتمع صالح متماسك . يعمل الفرد فيه لمصلحة الجماعة ، وتحرص الجماعة على حفظ حق الفرد وصيافته . ولذلك وضع الإسلام شروطاً لفرضية الجمعة وشروطاً لصحة أدائها . وكلها توصل إلى تحقيق الإيجابية المطلوبة في هذا الاجتماع الأسبوعي الهام .

وهنا لفضل آراء الفقهاء في شروط الجمعة . سواء بالنسبة لفرضيتها أو لصحتها . وبعدها استنبط الحكم والفوائد المترتبة على هذه الشروط . ومن المعلوم أن شروط الجمعة نوعان . أولاهما : شروط الوجوب وبها تقرض صلاة الجمعة على من استجمع هذه الشروط . وثانيهما : شروط الصحة . وهي التي لا تصح الصلاة إلا بها . وكلا النوعين يؤدي دوره في حياة الجماعة المسلمة . وبحقق الإيجابية المطلوبة .

- أولا -

شروط وجوب الجمعة

وشروط الوجوب هي التي تحقق الوجوب ، وتلزم من تتجمع فيه بضرورة أداء صلاة الجمعة لأنها صارت واجبة عليه بهذه الشروط .
يذهب جمهور الفقهاء إلى أن الجمعة فرضت بالمدينة المنورة بعد الهجرة ، بقوله تعالى ﴿ تَبَايَأُ الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَوَدَّعَتِ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ

فَأَسْتَوُوا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا أَلَيْعَٰ ذَلِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ . وهذه الآية

مدنية فلزم أن يكون زمن ما شرع بها بعد الهجرة إلى المدينة المنورة .

ومن الفقهاء كالغزالي وابن حجر وغيرهما من يرى أنها فرضت بمكة قبل الهجرة مع سائر الصلوات إلا أن المسلمين لم يقوموا بأدائها لعجزهم عن التجمع لأدائها ، ولما تعذر الاجتماع لها لم تؤد قبل الهجرة .

ويمكن جمع الرأيين بأنه طلب فعلها قبل الهجرة ولم يتحقق لها الوجوب لانعدام بعض شروطه ، فلما تحققت الشروط بعد الهجرة وجبت . وليس هناك ما يمنع من أن طلب أدائها حدث بوحى غير هذه الآية ، نزل قبلها .

يروى الدارقطني بسنده عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ أنن له في الجمعة قبل أن يهاجر فلم يستطع أن يجمع بمكة . فكتب إلى مصعب بن عمير أما بعد . فانتظر اليوم الذي تجهر فيه اليهود بالزبور لسبتهم فاجمعوا نساءكم وأبناءكم فإذا مال النهار عن شطره عند الزوال من يوم الجمعة فتقربوا إلى الله بركعتين .

وبهذا يكون مصعب بن عمير أول من صلى بالناس الجمعة في المدينة بعد ما جمعهم أسعد بن زرارة رضي الله عنهم أجمعين ، وهذا يدل على فرضيتها والمسلمون بمكة .

ولكن .

ما شروط فرضية الجمعة ؟

وما دورها في تحقيق غاية الاجتماع في يوم الجمعة ؟

أما شروط فرضية الجمعة فهي :

١- البلوغ :

وهو شرط أجمع عليه الفقهاء لأنه أسس للتكليف مطلقا ، فلا الجمعة على صغير لم يبلغ الحلم ، وإن صلاها جازت صلاته . ويستحب تعويد الأبناء

المميزين على حب المسجد ، ومعرفة آداب الإتيان إليه من نظافة وخشوع ... ولا ينبغي مطلقاً إهمال الصغار ، وتركهم أمام تيارات الغزو الفكري توجهم صباح مساء ، بل على الآباء أن يحبوا المسجد إلى أبنائهم ويعودوهم آدابه والانتفاع به حتى إذا ما بلغوا أتركوا ما فرض عليهم وأدوه عن اقتناع ورضى.

٢- العقل :

وهو شرط مجمع عليه من الفقهاء لقوله ﷺ : " رفع القلم عن ثلاثة عن النائم حتى يستيقظ ، وعن الطفل حتى يحتلم ، وعن المجنون حتى يبرأ أو يعقل "١ .

ومعنى هذا الحديث أن التكليف الشرعي منعدم مطلقاً بالنسبة لهذه الأصناف الثلاثة . ورفع القلم كناية عن عدم التكليف ، ورفع التكليف لا يقتضى سبق التكليف كما قد يتبادر . وإنما أثر النبي ﷺ التعبير بالرفع في الحديث إشعاراً بأن التكليف لازم لبني آدم جميعاً إلا لهؤلاء الثلاثة . وأن صفة الرفع لا تنفك عن غيرهم .

ووجه استدلال الفقهاء بالحديث أن جميع البشر مكلفون مندوبون إلى فعل الخير ، مأمورون ومنهون ، متوعنون بالنار ، وموعودون بالجنة . يحتاجون إلى إنقاذ أنفسهم . الكل في ذلك سواء . لأنهم جميعاً مكلفون لا يخرج من ذلك إلا من أخرجهم الحديث . ورفع عنهم التكليف ، وقد أخرج الحديث ثلاثة أصناف من هذا التكليف فدل على أنهم غير مكلفين . غير مخاطبين بالأوامر والنواهي . وبالتالي لا جمعة على المجنون "٢ .

٣- الإسلام :

وهو شرط أجمع عليه الفقهاء لأن التكليف لا يكون إلا بعد الدخول في

١- مسنده الإمام أحمد نظر الفتح الرباني ج٥ ص١٠٣
 ٢- المجنون شخص فاقد للعقل بالكلية لا يفهم ولا يدرك ولا يفرق بين الأمور والأشياء والمجنون قد يكون مطبقاً وقد يكون غير مطبق . وكلاهما سبب لرفع التكليف ، إلا أن المجنون في حالة إفاقته يعتبر عاقلاً مكلفاً . فإن طالبت إفاقته لوقت صلاة وجبت عليه . ولو كانت الإفاقة في يوم الجمعة أداها . (تبيين الحقائق ج٥ ص١٩١)

الإسلام ، وكل من لم يدخل في الإسلام يتجه إليه التبليغ ليؤمن بالله سبحانه وتعالى . ويصدق برسالة سيدنا محمد ﷺ . فإذا ما صدق بذلك كلف بالأوامر والنواهي ، ومن هنا كان شرط الإسلام شرطا للتكليف عند جميع الفقهاء^١ .

٤- الذكورة :

وهو شرط مجمع عليه عند الفقهاء ، حماية للمرأة من مزاحمة الرجال ، ولتشغيلها في خدمة زوجها وأبنائها ولقوله ﷺ : " من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فعليه الجمعة إلا على امرأة أو مسافر أو عبد"^٢ . فدل هذا الحديث على أنه لا الجمعة على المرأة .

وهذا الشرط فيه دلالة على تكريم الإسلام للمرأة حيث رفع عنها الجمعة مراعاة لوضعها . ومنعا من وقوعها في الحرج والمشقة فإذا انتفى الحرج . وتمكنت المرأة من أداء الجمعة في مصلى خاص بها جاز لها الصلاة لما روى عن الحسن البصري أنه قال: " كُن النساء يجمعن مع رسول الله ﷺ ويقال لهن لا تخرجن إلا تغلات غير متطهيات"^٣ وذلك حتى لا يؤذيهن أحد ، ولا يؤذي بهن أحد .

ومن المقرر بالمشاهدة والواقع أن خروج المرأة في الطريق ، واختلاطها بالرجال مثير للفتنة في حد ذاته يدفع الرجال والشباب إلى الفساد والشر ... وتلك حقيقة لا يمارى فيها إلا مجادل كذوب . ولذلك كان مناسبا للفطرة والمصلحة أن تعفى المرأة من التكليف بالجمعة والجماعات .

٥- الإقامة :

فلا تجب الجمعة على غير المقيم ببلده لأن في السفر مشقة . فلا تجمع مشقة السفر إلى مشقة الحضور للجمعة ، وأيضا فإن المسافر يكون مشغولا

١- من أسلم ثم ارتد عليه القضاء بعد عودته للإسلام في رأى جمهور الفقهاء وأن مات في رده فهو كافر

٢- المهذب ج١ ص١١١

٣- بدائع الصنائع ج١ ص٢٥٩

بمهام معينة مرتبطة بقافلته ، ومواعيد رحيلها، وهكذا يجعل التزامه بالجمعة بما فيها من خطبة وصلاة وذكر أمرا عسيرا . ولكن أبيض لغير المقيم ترك الجمعة والإكفاء بصلاة الظهر ، لكن إن صلاها أجزأته عن الظهر ولا يعيده .

وجمهور الفقهاء على هذا الشرط .

ويذهب ابن حزم . والزهري والنخعي إلى وجوب الجمعة على المسافر لعموم آية التكليف .

ويجاب عليهم بأن النبي ﷺ كان يسافر ولا يصلي الجمعة في سفره ، وقد وقع ذلك منه في حجة الوداع حيث كان يوم عرفة يوم جمعة ، فجمع النبي ﷺ الظهر والعصر ولم يصل الجمعة .

والشافعية يرون أن السفر لمعصية لا يسقط الجمعة عن العاصي لأن الإسقاط جاء مراعاة لمصلحة المسافر . والعاصي لا تراعى مقاصده ومصالحه.

ويعتبر الشخص مقيما إن سافر لمصر ونوى الإقامة فيه مدة أربع أيام فصاعدا عند الشافعية والمالكية والحنابلة ، ومدة خمسة عشر يوما عند الأحناف بشرط أن لا يدخل في هذه الأيام يوم دخول المصر إن وقع بعد صلاة الفجر ، أو العشاء وضابطه أن يأتي عليه في اليوم بعد إقامته خمس صلوات . وهي فرائض اليوم^١ .

٦- الحرية :

اشترط الفقهاء لوجوب الجمعة حرية المكلف بصورة كاملة . فلا الجمعة على عبد أو مكاتب لأنه يكون في عمل سيده . ولقول النبي ﷺ : ' حق واجب على كل مسلم في جماعة إلا أربعة . عبد مملوك . أو امرأة أو صبي . أو مريض ' وجرى على ذلك إجماع الفقهاء ما عدا الظاهرية فإنهم ذهبوا إلى أن على العبد أن يذهب إلى الجمعة بغير إذن سيده ، لأن آية التكليف عامة لم

١- الفقه على المذاهب الأربعة ص٤٣٣-٤٤٠

تخصص عندهم بهذه الأحاديث ، ومن المعلوم أنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخلق^١ .

٧- الخلو عن الأعذار :

يشترط لفريضة الجمعة أن يخلو المكلف من الأعذار التي تمنعه من الحضور للجماعة كالمرض ، والخوف ، والعمى ، وتقدر الأعذار بقدرها ، وهذا الشرط محل إجماع الفقهاء لأن التكليف على قدر الوسع والطاقة والمعذور لا يمكنه أداءها فتسقط عنه فرضيتها .

وهذه الشروط السبعة تتعلق بذات المكلف ، وهي تعنى جملة من الحقائق من أهمها :

- أ - مراعاة الإسلام للفطرة البشرية . فلا يكون تكليفه إلا ميسرا مع خلوة من العنت والحرج .
- ب - ارتباط العبادة بالأخلاق . وكل ما يتصور منه إفساد أخلاقي يمنع تشريعه .
- ج - ضمان حق الإنسان في إطار أداء العبادة . وأى عبادة يتصور منها تعطيل حق فهو تصور باطل .
- د - تهيئة للجماعة للاستفادة القصوى من الجمعة وذلك بوضع شروط للمصلي يكون بها إنسانا إيجابيا قادرا على أداء دوره في المجتمع السالم ، ومن هنا كان شرط الحرية وشرط العقل ، وشرط البلوغ من أجل مساهمة إنسان قادر على الفهم والحوار ، وقادر على تصور قضايا المجتمع الذي يعيش فيه وقادر على تنفيذ كل فكرة يقترح بها في إطار الشرعية الإسلامية .

إن هؤلاء المجتمعين في المسجد يوم الجمعة يعيشون اجتماعا أسبوعيا

١- أنظر المحلى ج٥ ص٥٧

دوريا يسمعون فيه أهم قضاياهم . ويفهمون حكم الإسلام فيها . ويسلم كل منهم على أخيه ويعرفه . ويعاونه . وبذلك يتكون المجتمع السعيد .

إن رجال النظم السياسية المعاصرين يرون ضرورة مساهمة المواطن في تنظيم أمور مجتمعه بإبداء رأيه في الانتخابات البرلمانية . وذلك إذا وصل سنه إلى سبع عشرة سنة تقريبا ، لأنها في نظرهم السن التي تمكنه من الفهم والتعبير .

إن الله سبحانه وتعالى وهو يفرض الجمعة يفرضها على كل بالغ حُر عاقل قادر على العطاء والمساهمة في البناء الاجتماعي ومن الممكن اعتبار شرط الإقامة دليلا على ضرورة فهم الواقع الذي يعيشه . لأن المسافر يكون في غير مجتمعه لا يدرك عنه شيئا . وليس من العدل مقارنة اجتماع الجمعة بأى اجتماع سياسي أو مقارنة شرط الاشتراك في الانتخابات بشرط فرضية الجمعة لأن البون شاسع والفروق عديدة ومتنوعة .

فاجتماع الجمعة يحدد الأطر بين يدي الله تعالى . وفي بيته ، ومع تلاوة القرآن الكريم في خشوع وخضوع . واتجاه لله أن يعفو . ويصفح . ويغفر . ويوفق . أما الاجتماع غيره فإنه يتم بين النفاق والأكاذيب غالبا ، ومع المغريات والأهداف المادية الزائفة التي لا يصدق فيها إلا القليل .

إن اجتماع الجمعة يخلو من الزيف والوعد والعضو فيه في لحظة توبة صادقة مع الله ومع الناس . ولذلك كان رأينا أن شروط الفرضية في جعلتها تحقق للجماعة ايجابية في الفهم . وفي السلوك وفي العمل الاجتماعي السليم ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ۗ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾ ۝ .

- ثانيا -**شروط صحة الجمعة**

هي الشرط التي لا بد منها لتقع الجمعة صحيحة . فإن أدبت مع فقدان بعضها كانت باطلة . وهذه الشروط تتعلق بغير ذات المكلف وتطور حوله ومعها . وهي بدورها لها صلة بتحقيق التكامل والتألف داخل المجتمع .

وشروط الصحة هي :

١- الوقت :

لا تصح الجمعة إلا إذا أدبت في وقتها . وقد فصل الفقهاء الحديث فيه ، فالشافعية والأحناف يرون أن وقت الجمعة هو وقت الظهر^١ ، فلا يجوز تقديمها على زوال الشمس . ولا يصح تأخيرها إلى دخول وقت العصر . لما روى عن النبي ﷺ أنه لما بعث معصب بن عمير إلى المدينة قال له : " إذا مالت الشمس فصل بالناس الجمعة " .

وروى أن النبي ﷺ كتب إلى أسعد ابن زرارة : " إذا زالت الشمس من اليوم الذي تتجهز فيه اليهود لسبئها فاذلف إلى الله بركعتين " .
وأيضا فإن الجمعة أقيمت مقام الظهر بالنص فيصير وقت الظهر وقتا للجمعة^٢ .

ومن المقرر عند المالكية أن وقت الظهر ممتد إلى قبيل غروب الشمس ولذلك جازت الجمعة عندهم إلى الغروب . لكن ذلك غير مسلم لهم من غيرهم . ورأى الحنابلة أن آخر وقت الجمعة هو آخر وقت الظهر بغير خلاف عندهم . أما لول الوقت ففيه روايتان .

١- وقت الظهر محدد بالزوال وهو الوقت الذي تكون فيه الشمس في كبد السماء ونهايته إذا صار ظل كل شيء مثله أو مثليه .

٢- بدائع الصنائع ج١ ص٢٦٩ ، والمهذب ج١ ص١١١

أولاهما أوله وقت العيد بعد شروق الشمس لحديث رواه عبد الله بن سبلان قال: " شهدت الجمعة مع أبي بكر . فكانت صلاته وخطبته قبل أنصاف النهار . وشهدتها مع عمر بن الخطاب فكانت صلاته وخطبته وصلاته إلى أن أقول : قد زال النهار فما رأيت أحدا عاب ذلك ولا أكرهه " .

وروى مسلم عن جابر بن عبد الله قوله : " كان رسول الله ﷺ يصلي الجمعة فنذهب إلى جمالنا فنريحها حتى تزول "١ . ولأنها يوم عيد فجاز أن يكون وقتها وقت العيد .

والرأي الثاني للحنابلة كراى الأحناف والشافعية وهو رأى الجمهور . الذي يرون في استدلال الحنابلة على رأيهم الأول ضعفا أو مبالغة . ورأى الجمهور في الوقت يتضمن الوقت المتفق عليه ولذلك فالصلاة فيه تخرج صاحبها من الخلاف . ومن المعلوم أن الخروج من اختلاف الفقهاء أحسن . وفيه إبراء للذمة لوضح . ولذلك حسن رأى الجمهور للاتفاق عليه^٢ . ويدرك وقت الجمعة بأداء ركعة في وقتها ، وهو رأى الجمهور خلافا للأحناف .

وتحديد وقت الجمعة يؤدي إلى تنظيم المسلم ليومه ، فيؤدي واجبه ، ويسعى على معاشه ، فإذا ما جاء الوقت ذهب إلى المسجد ساعيا إلى ذكر الله والصلاة .

٢- المصير :

يرى الشافعية^٣ والحنابلة^٤ أنه لا تصح الجمعة إلا في أبنية مجتمعه يستوطنها من تعقد بهم للجمعة في بلد أو قرية استيطاناً دائماً لا يظعنون عنها صيفاً ولا شتاء .

١- صحيح مسلم . باب شرائط الجمعة

٢- لكافي ج١ ص٢٨٣

٣- المهذب ج١ ص١١٠

٤- لكافي ج١ ص٢٨٤ ، المغنى ج٢ ص٣٣١

فلما أهل الخيام (البدو) وبيوت الشعر فلا جمعة لهم، ولذلك كانت قبائل العرب حول المدينة بدوا فلم يأمرهم النبي ﷺ بجمعة .
ومتى اجتمعت شروط المصر وجب على أهلها الجمعة لأن كعبا قال:
أسعد بن زرارة أول من جمع بنا في هزم النبي من حرة بني بياضة في نقيع
يقال له : نقيع الخضعات .

قال الخطابي : " حرة بني بياضة قرية على ميل من المدينة . لأن هذا بناء استوطنه أربعون من أهل الجمعة فوجبت عليهم كأهل المصر . ولأنه لم تنم الجمعة في عهد رسول الله ﷺ ولا في عهد الخلفاء الراشدين إلا في بلد أو قرية . ولم ينقل أنها أقيمت في بدو فإن خربت القرية فلازمها أهلها عازمين على إصلاحها وحرمتها فحكمها باق ، وإن عزموا على النقلة منها زال الأسيطان^١ .

والأحناف يرون أن المصر لابد أن يكون مصرا جامعاً وهو عندهم ما أقيمت فيه الحدود وتنفذت الأحكام بواسطة قاضٍ ونائب للسلطان يقدر على تحقيق العدل ونصرة المظلوم ... يستدل الفقهاء على ما ذهبوا إليه بقوله ﷺ :
" لا جمعة ولا تشريق إلا في مصر جامع " . وكان النبي ﷺ يقيم الجمعة في المدينة وما روى أنه أقامها حولها . وكذا الصحابة فتحوا البلاد وما نصبوا المنابر إلا في الأمصار^٢ .

والراجح هو أنه يكفي في المصر أن يكون قرية يستوطنها عدد تصح بهم الجمعة ، وهو رأى الشافعية والحنابلة والمالكية والدليل على رجحان هذا الرأي أن الرسول لم يصل بجوار المدينة لأنه كان يصل في المدينة نفسها . وكافة الأدلة تقويها .

وعلى الجملة

١- بدائع الصنائع ج١ ص٢٥٨

٢- بدائع الصنائع ج١ ص٢٥٩

فإن جميع القرى المصرية يجوز إقامة الجمعة فيها لأن فيها نائباً للوالي وهو العمدة أو الشيخ أو ضابط للشرطة للمساهمة في إقامة العدل وإقامة المسجد والمنبر بعد إننا بالجمعة . كما أن القرية المصرية تعد مصراً في مفهوم الأحناف وغيرهم .

٣- العدد المطلوب للجمعة :

سميت الجمعة بهذا الاسم لكون الجماعة شرطاً في صحتها ولا تؤدي بغيرها .

وقد اختلف الفقهاء في العدد الذي تصح به الجمعة .

فقال الشافعية والحنابلة لا بد من أربعين مصلياً ممن تجب عليهم الجمعة غير الإمام لما روى عن جابر رضي الله عنه قال: قضيت السنة أن في كل ثلاثة إماماً . وفي كل أربعين فما فوق ذلك جمعة وأضحى وفطرا . ويراد بالسنة سنة النبي ﷺ .

وذهب المالكية إلى أن صلاة الجمعة تصح بأربعين في أول أذانها وبعد ذلك تصح باثني عشر مصلياً سوى الإمام^١ .

وذهب أبو حنيفة ومحمد إلى أن الجمعة تصح بثلاثة سوى الإمام لما روى أن النبي ﷺ كان يخطب فقدم عبر تحمل الطعام فانفضوا إليها فتركوا رسول الله ﷺ قائماً وليس معه إلا اثني عشر رجلاً منهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين . وقد أقام للجمعة بهم . ولأن الثلاثة تساوى ما وراءها في كونها جمعا فلا معنى لاشتراط جمع الأربعين . ويروي أبو يوسف أن الاثنتين مع الإمام تصح بهما الجمعة . وهو مردود لأن الاثنتين ليسا بجمع^٢ .

١- المهذب ج١ ص ١١٠ ، الكافي ج١ ص ٢٨٥

٢- شرح كتاب النبل ج٢ ص ٣٣٠

٣- بدائع الصنائع ج١ ص ٢٦٣

ويبدو أن رأى الشافعية والحنابلة هو الأولى بالإجماع لأن النظر في هذا الشرط مع شرط المصر يدفع إلى اشتراط الأربعين لحضور الجمعة . كما أن اجتماع الجمعة لا يراد به مجرد الجمع . بل يراد به الجمع الذي يستفيد ويفهم ويعلم . ولهذا يرجح رأى من قال بالأربعين سوى الإمام . كما أنه يجوز وقوعها بأربعة بالإمام لأن شروط الفقهاء اجتهادية في أغلبها .

وعلى الإمام مراعاة ظروف كل قرية ومصر ليكون عملهم وفق ما يحقق المصلحة الخاصة والعامة .

٤- الجماعة :

لا بد من الجماعة لصحة الجمعة بالعدد الذي أشرنا إليه . وتترك جماعة الجمعة بركعة منها .

٥- الخطبة :

أجمع الفقهاء على اشتراط خطبتين قبل الصلاة قبل الصلاة لا بد منهما لصحة الجمعة ... وفي الخطبة تفضيل كبير عند الفقهاء ولذلك سآفردا بمبحث خاص بها .

هذا

وقد زاد الأحناف شرطين هما :

الأول : حضور السلطان أو نائبة ليتمكن من تنفيذ الوعيد الذي ذكره الرسول ﷺ بالنسبة لمن يتخلف عن الجمعة . ونقول النبي ﷺ : **أربع إلى الولاية وعد منها الجمعة وهو شرط مرجوح .**

الثاني : الإستهار العام . معناه أن يؤذن للجمعة ، ويظل المسجد مفتوحا لكل من يقبل عليه ، فإذا حدث غير ذلك بطلت الصلاة ، كأن يجمع أمير جيشه ولتباعه ويغلق الباب عليهم . ويمنع سواهم . ويصلى بهم الجمعة فحينئذ لا تجزئهم صلاتهم . لأن الله شرع النداء لصلاة الجمعة . والنداء للإستهار . وهو

ملازم لكل من سمعه . ولذا يسمى جمعة لاجتماع الجماعات فيها ، فاقترضى أن تكون الجماعات كلها مأثوتين بالحضور إذنا عاما تحقيقا لمعنى الاسم .
وهذا الشرط له وجهته وهو جعل الاجتماع واسعاً يستفيد به كل من يريده . وفي بعض الحالات الضرورية يمكن ترك العمل بهذا الشرط اكتفاء بما ذكر الفقهاء من شروط سواه .



وشروط صحة الجمعة تحقق للجمعة والاجتماع لها إيجابية كبرى فاشتراط العدد والمصر والخطبة يوسع دائرة النفع والمشاركة ويحول المسجد إلى جامعة شعبية يتعلم فيها المسلمون بصورة متساوية وبلا شروط مسبقة، وبلا مصروفات معينة ، بل هم جميعاً في أخوة تامة . وحرية مطلقة ، ومساواة تنظم الناس صفوفاً تابعة لمجئتهم المسجد لأن الكل يجلس حيث ينتهي به المجلس .
إن المسلم من خلال اجتماع الجمعة يستمع أسبوعياً لموضوع علمي إسلامي ، وعند المواظبة على ذلك يتجمع أمام المسلم في العام الواحد اثنان وخمسون موضوعاً هي عدد جمع العام . إنه قدر علمي يفوق ما يداله طالب في الجامعة . وهذا يعنى عظمة ما تقدمه جامعة الجمعة للمصلين .
إن شروط فرض الجمعة تلزم الفرد المكلف القادر على المشاركة بالجمعة ليتحقق لإيجابية المسلم مع الجماعة ، وشروط صحة الجمعة تساعد في إيجابية الجماعة ، وهي تحثوى الفرد وتتفاعل معه . لإيجاد المجتمع السعيد لفهمه لدينه . وحبه لخالفه والتزامه بمنهج الشرع الكريم .
إن فقه الجمعة يوحي بكل ذلك ولذلك عده المسلمون عيداً لهم ، وعده الإسلام تبرئة لساحة المسلم من ذنوب قد يقع المسلم فيها لقوله ﷺ : " الجمعة إلى الجمعة كفارة لما بينهما " .

المبحث الخامس

خطبة الجمعة

من الشروط الواجبة لصحة الجمعة تقديم الخطبة على الصلاة لقوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ۗ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٠﴾ ۗ . فإن المراد بالذكر هو الخطبة إلى تسبق الصلاة . وهذا يعنى تضمن الذكر للخطبة وللصلاة معا ... يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه : * كان رسول الله ﷺ يخطب يوم الجمعة خطبتين يجلس بينهما * . وتواترت الأخبار على أن رسول الله واطب على ذلك . وجرى على هذا إجماع الأمة من غير تكير ... والسلف يرون أن الجمعة قصرت إلى ركعتين لأجل الخطبة . فإذا لم تتم الخطبة يكون الأصل وهو الظهر وإن لا فلا . والحديث في الخطبة يتناول المباحث التالية :

١- مشروعية الخطبة :

شرعت الخطبة يوم الجمعة قبل الصلاة . ووقتها هو وقت الظهر ويقصد بها التعليم . والتعريف . والتذكير بنعم الله تعالى . وهى من فضائل الإسلام التي يبرز بها نور العلم . وأهمية العلماء والمتعلمين . لأن بالعلم يعرف الدين . وتفهم مسائله وقضاياها . ويعيش المكلف عالما عاملا . وللعلماء في حكم خطبة الجمعة آراء :

١- سورة الجمعة آية ٩

٢- (فائدة) جملة الخطب المشروعة عشر وهى خطبة الجمعة ، وخطبة عيد الفطر ، وخطبة عيد الأضحى ، وخطبة الكسوف ، وخطبة الخسوف ، وخطبة الاستسقاء ، وأربع في الحج إحداهما بمكة في يوم السابع من ذى الحجة المسمى يوم الزينة . وثانيها بنمرة في يوم التاسع المسمى بيوم عرفة ، ثالثها بعلى في يوم العاشر المسمى يوم النحر ، ورابعها بعنى في الثاني عشر المسمى يوم النفر الأول ، وكلها بعد الصلاة إلا خطبة الجمعة وخطبة عرفة ، فإنهما قبلها . أما خطبة الاستسقاء فتجوز قبلها أو بعدها وكلها خطبتان إلا الثلاثة في الحج فخطبة واحدة .

يرى الشافعية والأحناف والمالكية والحنابلة أن الخطبة شرط واجب لا بد منه لصحة الجمعة واستتلوا على ذلك بما يلي :

أ - يقول الله تعالى ﴿ تَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا تُودَعَتُ لِلصَّلَاةِ مِنْ

يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ ، والخطبة من ذكر الله

فتدخل في الأمر بالسعي لها دخولا أوليا . لو أن المراد من

الذكر الخطبة . وقد أمر بالسعي إليها فدل ذلك على وجوبها

وكونها شرطا لانعقاد الجمعة .

ب - عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يخطب

يوم الجمعة خطبتين يجلس بينهما^١ وقد واظب النبي ﷺ على

ذلك فدل على الوجوب لأنه كيان المجرى للآية .

ج - عن عمر وعائشة رضي الله عنهما أنهما قالوا : " إنما قصرت

الصلاة لأجل الخطبة " . وشرط الصلاة فرض لا يسقط إلا

لتحصيل ما هو فرض .

د - ترك الظهر بالجمعة عرف بالنص . والنص ورد بهذه الهيئة

وهي وجوب الخطبة^٢ .

وعلى القول بوجوب الخطبة للصلاة جرى أغلب الفقهاء . ولم يقل بعدم

وجوبها إلا نذر يسير بلا دليل لهم غير أنهم حصرُوا رأيهم في معارضة أدلة

القائلين بالوجوب . وبذلك ظهر ضعف ما ذهبوا إليه . وتوارى رأيهم في

جنبات الأمة ، ولا يعرف جمهور المسلمين إلا الرأي الراجح وهو وجوب

الخطبة للجمعة .

إن المسلمين يرتبطون روحيا وعقليا بخطيبهم ، يأتون إليه من كل مكان

لسماع مواعظ ، وفهم قضية ، ومعرفة شيء من أمور الدين .

١- الفتح الرباني ج٦ ص٨٩

٢- بدائع الصنائع ج١ ص٢٦٢

ويا ليت الخطباء يدركون قدر الخطبة المفروضة فيعدوا لها . ويقسموا إسلامهم من خلالها للناس . !! إيتهم لو فعلوا ذلك حققوا إصلاحا اجتماعيا كبيرا يقوم على منهج الإسلام وتعاليمه .

٢- أركان الخطبة :

بعد اتفاق جمهور الفقهاء على فرضية خطبة الجمعة انقسموا في كونها واحدة أو اثنتين .

فذهب الأحناف والمالكية إلى أن المشروع هو ما يقع عليه الخطبة سواء كانت واحدة أو اثنتين والخطبة وهو اسم يشتمل في المتعارف على تحميد الله والثناء عليه والصلاة على رسوله ﷺ . والدعاء للمسلمين والوعظ والتذكير لهم فينصرف المطلق على المتعارف . ومما يدل على أن مجرد الذكر يسمى خطبة ما روى أن عثمان بن عفان رضي الله عنه لما استخلف خطب في أول جمعة . فلما قال الحمد لله ارتج عليه^١ فقال : أنتم إلى إمام فعال أحوج منكم إلى إمام قوال وإن أبا بكر وعمر كانا يعدان لهذا المكان مقالا . وستأتيكم الخطب من بعد وأستغفر الله لي ولكم . ونزل . وصلى بالمسلمين الجمعة . وعد ذلك خطبة بمحضر من المهاجرين والأنصار وصلوا خلفه . وما أنكروا عليه صديعه مع أنهم كانوا موصوفين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فكان هذا إجماعا من الصحابة رضي الله عنهم .

وأيضا فإن المطلوب هو مطلق ذكر الله تعالى من غير اشتراط أن يكون في خطبة أو في خطبتين^٢ .

ويرى الأحناف والمالكية أن ما روى أن رسول الله ﷺ كان يخطب بالناس خطبتين يجلس بينهما فهو دليل على سنية هذا الفعل^٣ لا على فرضيته .

١- ارتج عليه أي ضاعت منه الفكرة ، وعجز عن مواصلة الخطبة

٢- بدائع الصنائع ج١ ص٢٦٢

٣- فتح القدير ج٢ ص٥٩

ويرى الشافعية والحنابلة أن كون للخطبة ثنتان شرط واجب لقوله ﷺ
 'صلوا كما رأيتموني أصلي' ، ولم يصل الجمعة إلى بخطبتين . وقد تعارف
 الناس على أن خطبة الجمعة ثنتان فتحدد بذلك مفهوم الخطبة اللغوي .
 وتبعاً لاختلاف الفقهاء يأتي الحديث عن أركان الخطبة فالذين قالوا بأنها
 ثنتان وضعوا للخطبة أركاناً لا تكون خطبة إلا بها والذين قالوا إن مجرد الذكر
 يكون خطبة رأوا ما يكون في الخطبة من توجيهات فهو سنة مشروعة . أي أن
 ما هو سنة عند هؤلاء هو ركن عند أولئك . أي أن جوانب الخطبة مشروعة
 عند الجميع وإن اختلفت أحكامها ؛ ولبي لرجح كونها أركاناً لضرورة الإتيان
 بها لأن الإسلام دين نظام وإصلاح . ومن الأولى له مع الخطبة أن يحدد
 منهجيتها الإصلاحية كإركان لابد منها .

وما هي أركان الخطبة عند من يقول بها ؟

أركان الخطبة أربعة هي :

الأول : أن تفتح بالتحميد . والله الحمد لله . يروي ابن قتيبة أنه تنبئ
 خطب رسول الله ﷺ فوجد أولئ أكثرها هو الحمد لله نحمده . ونستعينه .
 ونؤمن به . ونؤكل عليه . ونستغفره . ونتوب إليه . ونعوذ بالله من شرور
 أنفسنا . ومن سيئات أعمالنا . ومن يهده الله فلا مضل له ومن يضلل الله فلا
 هادي له . وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له^١ .

والشافعية والحنابلة يرون التحميد في الخطبة واجباً لا تصح بدونه لما
 روى جابر أن النبي ﷺ خطب يوم الجمعة فحمد الله وأثنى عليه ثم يقول : " أي
 يتم خطبته بعد ذلك " . والخطبة العادية إذا خلت من التحميد تسمى (بترء) .
 هذا ويرى للحنابلة أن الثناء والشكر يقوم مقام الحمد لأداتهما للمعنى
 المقصود من الحمد لله . لكن الشافعية يرون ضرورة للنطق بالفظ الحمد ، أو ما

١- عيون الأخبار ج٢ ص٢٣١

٢- المهذب ج١ ص١١١

يشق من مادته .

وأبو حنيفة وصاحبا يذهبون إلى أن ما يطلق عليه اسم خطبة كافي في تحقيق المقصود لقوله تعالى " فاسعوا إلى ذكر الله " . فما يحقق الذكر كافي ولو كان قليلا . وقد روى أن عثمان رضي الله عنه قال: " الحمد لله " فارتج عليه فنزل وصلى بالناس من غير تكبير . ويحدد محمد وأبو يوسف حد القلة بما كان قدر التشهد ليستوى على الثناء والصلاة على رسول الله والدعاء للمسلمين^١ .

ولا يرى المالكية هذا الركن في الخطبة لأن آية من القرآن الكريم تكفي والخطبة عند العرب كلام منمق يفيد معنى أو عدة معان . فإذا احتوى كلام على آية قرآنية جاز جعله خطبة للجمعة عند المالكية^٢ .

الثاني : الصلاة على النبي ﷺ بلفظه الذي ذكره الله تعالى في قوله ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾^٣ . لأن كل عبادة افتقرت إلى ذكر الله تعالى افتقرت إلى ذكر رسوله كالإذان والصلاة^٤ ، وهذا بعض ما يستفاد من قوله تعالى " ورفعا لك ذكرك " . والخطبة إذا خلقت من الصلاة على الرسول سميت " شوها " .
والصلاة على النبي ركن واجب عند الشافعية والحنابلة سواء ذكر الرسول باسمه الصريح أو بضميره . وبعض متأخري الشافعية يشترطون إيراد الاسم الصريح لرسول الله مع الصلاة عليه في الخطبة ولا دليل لهم على هذا الشرط .

وموقف الأحناف والمالكية في الصلاة على الرسول في الخطبة يذهب إلى أنه سنة ، وليس بركن ولا بشرط .

١- تبين الحقائق ج١ ص٢٢٠ ، فتح القدير ج٢ ص٥٩

٢- كفاية الطالب الرباني . بتصرف

٣- سورة الأحزاب آية ٥٦

٤- المهذب ج١ ص١١٢ ، الكافي ج١ ص٢١٠

الثالث : الوصية بتقوى الله تعالى في الموضوع الذي فيه الخطيب . لأن النبي ﷺ كان يعظ أصحابه في خطبة الجمعة . وكان إذا خطب علا صوته ﷻ واشتد غضبه . وإحمرت وجنتاه كأنه منذر جيش . ثم يقول ﷻ : بعثت أنا والساعة كهاتين . وأشار بأصبعيه الوسطى والى تلى الإبهام ثم يقول إن أفضل الحديث كتاب الله . وخير الهدى هدى محمد ﷺ^١ . والهدف المقصود من الخطبة هو العظة والإرشاد والتوجيه . ولا بد من ذلك في الخطبة .

والإجماع منعقد على هذا الركن صراحة أو ضمنا لأن الشافعية والحنابلة يصرحون به . أما الأحناف والمالكية وهم يقولون بكفاية بعض الذكر والقرآن في الخطبة بشيرون إليه لأن في القرآن الكريم عظة ونصحا وتوجيها .

الرابع : قراءة شيء من القرآن الكريم ولو آية . لأن جابر بن سمرة قال : كانت صلاة رسول الله ﷺ قصدا . وخطبته قصدا . يقرأ آيات من القرآن ويذكر الناس^٢ . ولأن الخطبة فرض في الجمعة فوجب القراءة فيها كالصلاة . يقول الجاحظ : " إن خطباء العصر الأول كانوا يرون أن تشمل الخطبة على أي من القرآن الكريم فإن ذلك مما يورث الكلام للبهاء والوقار . والرقة وحسن الموقع . وكثرة الفائدة " .

٣- الأركان والخطبتان :

وهذه الأركان الأربعة واجبة في الخطبة الثانية كما هي واجبة في الخطبة الأولى لأن ما جاز على أحد المثلين جاز على الآخر . وذلك رأى قال به بعض الفقهاء الذين حددوا أركان الخطبة الأربعة . وبعض آخر منهم يرى أن التحميد والصلاة واجبان في الخطبة الثانية . وكذلك الوصية بالتقوى في موضوع آخر مغاير للوصية الأولى . وكذلك القرآن الكريم . وذلك أولى لأن تكرار الوصية بعينها أو الآية بعينها غير مفيد . ولا يدعو السامع إلى الانتباه .

١- صحيح مسلم

٢- الكافي ج١ ص٢٩٠

٤- سنن الخطبة :

يذكر الفقهاء سننا عديدة للخطبة ، وقد أوصلها بعضهم إلى ثلاثة عشر سنة وهي :

- ١- أن تكون الخطبة على منبر . وهو موضع مرتفع أمام الحاضرين وبذلك يتمكن المصلون من رؤية الخطيب ، وكان للنبي ﷺ يخطب على جذع نخلة فلما كثر المسلمون اتخذ منبرا مكونا من ثلاث درجات . لأنه أبلغ في الإعلام والتوجيه والأفضل أن يكون المنبر على يمين المحراب . وليس بشرط أن يتخذ المنبر من الخشب وعلى صورة معينة بل يكفي أن يكون المكان عاليا . وبعض الفقهاء يكره اتخاذ المنبر الخشبي لأنه يقطع الصف الأول حين الصلاة . كما أنه يضيق المكان وبخاصة إذا كان المسجد صغيرا .
- ٢- أن يكون الخطيب مقبلا بوجهه على الناس مستدير القبلة لأن ذلك أدعى للانتباه . والمصلون إذا رأوا الخطيب مقبلا عليهم يقبلون عليه ... ومن هنا كره الفقهاء تلفت الخطيب يمنة ويسرة لأن تفتته يدعو الناس إلى الانصراف عنه .
- ٣- أن يسلم الخطيب على الناس عقب صعوده على المنبر لأن النبي كان يفعل ذلك ، وهو كتبه لهم على الحضور النفسى والعقلى .
- ٤- أن يجلس بعد سلامه على الناس .
- ٥- أن يخطب قائما ما دام يقدر على القيام .
- ٦- أن يجلس الخطيب بين الخطبتين للفصل بينهما .
- ٧- أن يرفع الخطيب صوته لئلا يسمعه الحاضرون .
- ٨- أن لا يحرك أطرافه لينصرف التركيز إلى قوله لا إلى حركته فإن كانت الحركة تفيد قوله فلا بأس . ومما يساعد في عدم الحركة أن يمسك شيئا بيده كسيف أو عصا أو قوس .

٩- أن تكون الخطبة سهلة اللفظ . بينة المعنى . في متناول حال المستمعين . ولا عبرة بخطبة لا يفهمها المستمعون . ولذلك أجاز الفقهاء أن تكون الخطبة بلغة غير عربية إذا كان المستمعون من غير العرب .

١٠- أن تكون الخطبة قصيرة بقدر الإمكان وهذا يدعو الخطيب إلى التركيز وعدم الاستطراء .

١١- ترتيب أركانها لتقدم إلى المستمع في صورة مقتعة .

١٢- أن تشمل الخطبة على دعاء للمسلمين جميعاً وللحاضرين منهم خاصة تذكيراً بالأخوة الإسلامية والعبودية لله تعالى .

١٣- أن يحضر الخطيب للمسجد وقت حلول الخطبة . وهذا مدعاة للاهتمام به ويكلامه^١ .

٥- هدى النبي ﷺ في الخطبة :

يقول ابن القيم^٢ : * كان النبي ﷺ إذا خطب احمرت عيناه . وعلأ صوته . واشتد غضبه حتى كأنه منذر جيش يقول صبحكم ومساكم . ويقول : بعثت أنا والساعة كهاتين ، ويقرب بين أصبعيه السبابة الوسطى .

ويقول أما بعد

وكان يقصر الخطبة ويطول الصلاة ويكثر الذكر . ويقصد الكلمات الجوامع .

وكان يقول إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته من فقهه .

وكان يعلم أصحابه في خطبته قواعد الإسلام ، وشرائعه ، وأمرهم ، وينهاهم في خطبته إذا عرض له أمر أو نهى كما أمر الداخل وهو يخطب أن يصلى ركعتين . ونهى المتخطي رقاب الناس عن ذلك وأمره بالجلوس .

١- أنظر المهذب ج١ ص١١٢ ، الكافي ج١ ص٢٩١-٢٩٢ ، تبيين الحقائق ج١ ص٢٢١

٢- زاد المعاد ج١ ص١١٧

وكان يقطع خطبته للحاجة تعرض أو للسؤال يوجه إليه ثم يعود لخطبته فيتمها . وربما نزل من على المنبر للحاجة ثم يعود كما نزل للحسن والحسين وأخذهما ورقى بهما المنبر فأتم الخطبة .

وكان يأمرهم ﷺ بمقتضى الحال في خطبته فإذا رأى منهم ذا فاقة وحاجة أمرهم بالصدقة وحضهم عليها .

وكان يشير بأصبعه السبابة في خطبته عند ذكر الله تعالى ودعائه .

وكان يستمقى بهم إذا قحط الماء في خطبته . يعهل يوم الجمعة حتى يجتمع الناس فإذا اجتمعوا خرج إليهم وحده من غير حرس أو تابعين . فإذا دخل المسجد سلم عليهم فإذا صعد المنبر استقبل الناس بوجهه . وسلم عليهم . ولم يدع مستقبل القبلة ثم يجلس ويأخذ بلال في الأذان فإذا فرغ منه قام النبي ﷺ فخطب من غير فصل بين الأذان والخطبة .

ولم يكن يأخذ بيده سيفاً ولا غيره وإنما كان يعتمد على قوس وعصا قبل أن يتخذ للمنبر . وكان إذا خطب استدار أصحابه إليه بوجوههم . وكان وجهه قبلهم في وقت الخطبة . وكان يأمر الناس بالندو منه . وكان يأمرهم بالإتصاف ويخبرهم أن الرجل إذا قال: لصاحبه أنصت فقد لغا . ومن لغا فلا جمعة له . وكان إذا فرغ بلال من الأذان أخذ في الخطبة ولم يقرأ أحد بركعتين لليلة ... وهكذا كان هدية ﷺ في خطبته .

٦- خطبة الجمعة والقواعد العلمية :

بالنظر في هدية ﷺ مع الخطبة . وبالتأمل في أركان الخطبة وسنتها كما جاءت عن رسول الله نلاحظ مواقفها التامة للقواعد العلمية التي توصل إليها علماء التربية والدعوة رغبة في إجابة التوجيه والوصول للمصلحة . وهذا التوافق دليل واضح على سبق الإسلام في تعاليمه إلى تحقيق المصلحة . ولعل أهم صور التوافق ما يلي :

أ - ينادى العلماء بضرورة الإعداد للخطبة عن طريق اختيار الموضوع المناسب . وهذا هو بعينه ما عرف في خطبة

الجمعة بمراعاة حال المستمعين . والعلماء ينادون بضرورة معرفة أحوال المستمعين لكي تتبع الموعظة من حاجتهم وهو بعينه ما كان يفعله رسول الله لأنه كان إذا علم فاقة خطيبهم في الصدقة والتفقه ومشروعية خطبة الاستسقاء تعنى الربط بين الخطبة والقضايا الاجتماعية المفاجئة التي يعيشها المسلمون .

ب — يرى العلماء ضرورة تقسيم الخطبة إلى عناصر محددة في إطار الموضوع كله حتى لا يحدث استطراد أو إهمال لبعض جوانب الخطبة . وذلك بعينه هو ما يلزم في خطبة الجمعة لأن الفقهاء يرون تقسيم الخطبة إلى أركان هي أجزاء للخطبة كما يرون تسلسل هذه الأجزاء وتتابعها مراعاة للتقسيم . وهذا يحقق الالتزام بالعناصر وعدم الخروج عليها . أو التقصير في الحديث عنها .

ج — يذهب العلماء إلى أهمية الاعتماد على أسلوب سهل مناسب للمستمعين حيث لا مانع لديهم في استعمال بعض الألفاظ العلمية إن كانت تساعد الناس على الفهم . أليس ذلك هو معنى قول الفقهاء إن على الخطيب أن يرفع صوته لسمعه الحاضرون وعليه أن تكون خطبته سهلة للفظ . بينة المعنى . إذ لا عبرة لخطبة لا يفهمها المستمعون .

د — يوجه العلماء المرشدين إلى ضرورة أن يكون لكلامهم مدخلا محببا إلى المستمعين جذبا للانتباه . وشحذا للهمم . وذلك بارز في اشتراط أن تبدأ خطبة الجمعة بالحمد لله وبالصلاة والسلام على رسول الله . وبالنداء للمؤمنين لأن ذلك كله يفيد الربط النفسي بين الخطيب ومستمعيه . ويدعو إلى الثقة . وقوة الانتباه . ويحقق فائدة عظيمة .

هـ - يهتم العلماء بأخذ الرأي والحكم من مآثره تأكيدا لأصالته وأحقيته ، فالدواء يفهمه الأطباء . والحكم يجيده الفقهاء . وكل تخصص علمي له رجاله وفنونه . ومن هنا كان اهتمام العلماء بتوجيه المربين نحو تأصيل آرائهم بأراء المتخصصين وهذا هو بعينه ما عناه الفقهاء وهم يشترطون إيراد آيات من القرآن الكريم في الخطبة الوصلية . لأن المسلم يدرك أن دينه في القرآن الكريم والسنة النبوية . ودلالاتهما على الحكم الديني صحيحة .

و - يرى العلماء ضرورة اشتمال الخطبة على خاتمة . وهذا بعينه ما أمر به الإسلام لأن الركن الأخير في الخطبة هو الدعاء للمسلمين . وهذا معناه أن يؤخر الخطيب وصيته . ونصيحته التي جاءت في موعظته في صورة دعاء أن يوفق الله المسلمين بأن يعملوا بما جاء فيها وأن يلتزموا بما أتاهم به رسول الله ﷺ .

ز - يركز العلماء على الإيجاز في الخطبة لأن ذلك أدعى للفهم . وأيسر في الإتيان ، ولبعد للسأم . وهذا فقه في الخطبة يجب أن يتبعه الخطيب . فعن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: " صليت مع النبي ﷺ فكانت صلاته قصدا وخطبته قصدا " .

وعن واصل بن حيان قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة (علامة) من فقهه فأملئوا الصلاة واقصروا الخطبة فإن من البيان لسحرا " . ونهى النبي ﷺ عن إطالة الخطبة .

١- الفتح الرباني ج٦ ص٦٠

٢- الفتح الرباني ج٦ ص٦١

ح - ينادى العلماء بضرورة الاهتمام بوضع المؤثرات الصوتية خلال إلقاء الخطبة إيقاناً لانتباه المستمع كالصمت المفاجئ ، وارتفاع الصوت أو انخفاضه وبعضهم يضع الموسيقى التصويرية مع تلون أدائها ... وفي خطبة الجمعة تكون هذه المؤثرات واضحة فالانتقال من ركن إلى ركن ، وتلويح الخطيب بصوته رفعا أو خفضا . والجلوس بين الخطبتين . والمواجهة بين الخطيب والداك كل ذلك مؤثرات صوتية تحقق للكلام الأثر الذي اكتشفه العلماء في العصر الحديث .

تلك أهم ما نلاحظه من توجيهات الإسلام في الخطبة . وجاء العلم الحديث بما يؤكد سبق الإسلام في إقرار المصلحة للفرد والجماعة .

٧- دور الخطبة الثانية مع الأولى :

بعد أن اشترط الفقهاء أركاناً أربعة للخطبة هي التحميد . والصلاة على رسول الله . والنصيحة . والدعاء . بعد ذلك يسأل بعض الدعاة . ماذا في الخطبة الثانية من نصيحة ؟ هل يكرر الخطيب ما جاء في الخطبة الأولى ؟ أم يأتي بنصيحة جديدة ؟

والجواب في تصوري ليس في هذا ولا في ذلك ؛ لأن التكرار يؤدي إلى الملل وإطالة الخطبة وهذا لا يجوز . كما أن الإتيان بموضوع جديد في الخطبة الثانية يشير إلى انفصال الثانية عن الأولى وعدم الارتباط بينهما . وهذا لا يجوز أيضا .

والحل الأمثل في تصوري هو أن تكون النصيحة في الخطبة الثانية تطبيقاً عملياً للأولى كأن تكون الخطبة الأولى في " عناية الإسلام بالشباب " وللتطبيق العملي لها هو رسم خطة عملية لإفقاد شباب الأمة من الضياع الذي يعيشون فيه . وكأن تكون الخطبة الأولى في أهمية العلم وتكون الثانية حينئذ عن رسم خطة تربوية للمعلمين .

إن بعض الخطباء يورد في الثانية سؤالا له صلة بالأولى . وتكون إجابته هي النصيحة الثانية .
 وبعض الخطباء يعلق على القضايا الاجتماعية التي ظهرت خلال الأسبوع ولها صلة بخطبته الأولى .
 وبعضهم يجعل الخطبة الثانية دراسة نقدية مقارنة للأولى .
 وذلك كله جائز وعلى من وكل إليهم أمر الدعوة أن يجددوا أنفسهم .
 والأسبوع سبعة أيام وفيه متسع لإيجاد الموضوع وإعداده . وتكوين الخطبتين بصورة حسنة خالية من التكرار والانقسام . وتلك مهمة وضرورية . على الدعاة أن يهتموا بها .

المبحث السادس

نماذج من الخطب المأثورة

سأحاول هنا إيراد بعض الخطب التي نقلت إلينا من العصور الإسلامية الأولى كبرهان شاهد على ما قلت . وكنصوح ثابتة يجب أن يعيها المسلمون في العصر الحديث إحاطة بتراتهم العلمي والثقافي القديم . ومن النماذج ما يلي:

أ - أول خطبة لرسول الله ﷺ

أخرج البيهقي عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنهما قال: " كانت أول خطبة خطبها رسول الله ﷺ بالمدينة أن قام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال:

أما بعد

أيها الناس فقدموا لأنفسكم تعلمن والله ليصعقن أحدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع ثم يقولن له ربه ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه ، ألم ياتك رسولي قبلك ؟

وأتيتك مالا وأفضلت عليك ؟

فما قدمت لنفسك ؟

فينظر يمينا وشمالا فلا يرى شيئا ثم ينظر قدمه فلا يرى غير جهنم . فمن استطاع أن يقي وجهه من النار ولو بشق تمره فليفعل ، ومن لم يجد فبكلمة طيبة . فإن بها جزى بالحسنة عشرة أمثالها إلى سبعمائة ضعف . والسلام على رسول الله ورحمة الله وبركاته^١ .

١- البداية والنهاية ج٣ ص٢١٣

ب - خطبة أخرى لرسول الله ﷺ

الحمد لله أحمدته وأستعينه . نعوذ بالله من شرور أنفسنا . وسينات أعمالنا . من يهده الله فلا مضل له . ومن يضلل فلا هادي له . ولشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .

إن أحسن الحديث كتاب الله قد أفلح من زينته الله في قلبه وأدخله في الإسلام بعد الكفر . واختاره على سواه من أحاديث الناس . إنه أحسن الحديث وأبلغه . حبو من أحب الله . أحبوا الله من كل قلوبكم . ولا تملوا الله ونكره ولا تقسوا عنه قلوبكم . فإله من يختاره الله ويصطفيه فقد سماه خير الأعمال وخير العباد . والصلح من الحديث . ومن كل ما أوتي الناس من الحلال والحرام .

فاعبدوا الله ولا تشرکوا به شيئاً ، واتقوه حق تقاته . وأصدقوا الله صلح ما تقولون بلقواهم ، وتحاربوا بروح الله بينكم . إن الله يغضب أن ينكث عهده .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

ج - خطبة لرسول الله ﷺ يوم فتح مكة

الحمد لله صدق وعده . ونصر عيده . وهزم الأحزاب وحده ألا إن قتيل الخطأ قتيل السوط والعصا . فيه مائة من الإبل ملها أربعون خلفاً في بطونها أولادها . ألا إن كل مأثرة كانت في الجاهلية ودم تحت قدمي هاتين إلا ما كان من سدانة البيت وسقاية الحاج إلا أني أمضيتهما لأهلها كما كانا . أيها الناس . إن الله تعالى قد أذهب عنكم عبية الجاهلية وتعظمها آياتها فالناس رجلان رجل يرتقى كريم على الله تعالى . ورجل فاجر شقى هين على

١ - البداية والنهاية ج ٣ ص ٢١٤
٢ - لخفة أى اللقاة الحامل

الله تعالى . إن الله عز وجل يقول " يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير " أقول هذا وأستغفر الله لي ولكم .

د - خطبة لرسول الله ﷺ في شهر رمضان

أخرج ابن خزيمة عن سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: خطبنا رسول الله ﷺ

في آخر يوم من شعبان قال بعد حمد الله والثناء عليه :

" يا أيها الناس قد أظلمكم شهر عظيم مبارك . شهر فيه ليلة خير من ألف شهر . جعل الله صيامه فريضة . وقيام ليلة تطوعا . من تقرب فيه بخصلة من الخير كان كمن أدى فريضة فيما سواه . ومن أدى فريضة فيه كان كمن أدى سبعين فريضة فيما سواه . وهو شهر للصبر . والصبر ثوابه الجنة . وشهر المواساة . وشهر يزداد رزق المؤمن فيه ، من أفطر فيه صائما كان مغفرا لذنوبه وعق رقبته من النار وكان له مثل أجره من غير أن ينقص من أجره شيء .

قالوا : يا رسول الله أليس كلنا يجد ما يفطر الصائم .

فقال رسول الله ﷺ : يعطى الله هذا الثواب من فطر صائما على تمر

أو على شربة ماء أو منقعة لبن . وهو شهر أو له رحمة وأوسطه مغفرة . وآخره عتق النار . من خفف عن مملوكه فيه عفر الله له وأعتقه من النار ، فاستكثروا فيه من أربع خصال - خصلتين ترضون بهما ربكم . وخصلتين لا غناء بكم عنهما . فأما الخصلتان اللتان لا غناء بكم عنهما فتسألون الله الجنة . وتعونون به من النار . ومن سقى صائما سقاه الله من حوضه شربة لا يظما حتى يدخل الجنة ^١ .

١- تفسير ابن كثير ج٤ ص٢١٨ من حياة الصحابة ج٣ ص٤٣٥

٢- الترهيب والترهيب ج٢ ص٢١٨

هـ - خطبة لرسول الله ﷺ في الشكر

قال ﷺ بعد حمد الله والثناء عليه : " من لم يشكر الكثير . ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله عز وجل . والتحدث بنعمة الله شكر . وتركها كفر ، والجمع رحمة ، والفرقة عذاب ، ثم قرأ قوله تعالى " اعملوا آل داود شكرا ، وقليل من عبادي الشكور " ، ثم قال رسول الله ﷺ : من أتى ثلاثا فقد أوتى مثل ما أوتى داود عليه السلام خشية الله في السر والعلانية ، والعدل في الغضب والرضا ، والقصد في الفقر والغنى ^١ .

الفصل الثاني

فقه العيدين



تمهيد

العيد كل يوم فيه جمع ، واشتقاقه من عاد يعود كأنهم عادوا إلى الجمع مرة ثانية .

وقيل اشتقاقه من العادة لأنهم اعتادوه .

وجمع العيد أعياد . يقول الأزهري والعيد عند العرب الوقت الذي يعود فيه الفرح والحزن ، ويقول ابن الإعرابي : سمي العيد عيداً لأنه يعود كل سنة بفرح مجدد .

وقد شرع الإسلام للمسلمين عيدين في العام . وجعل فيهما مظاهر البهجة والسرور . والنشاط الاجتماعي ولتقوى ما جعلهما عنواناً صالحاً على مزايا الإسلام وعظمته ، إن للعيد مناسكه الخاصة به ، وكلها نزل على تقدير الإسلام للحسن والنظافة ، وحبه للجمال والزينة ، وإرشاده للمسلمين إلى أهمية صلة الرحم ، وضرورة التعاون على البر والتقوى .

وفي مشروعية العيد حث على استقلال الأمة المسلمة ، وغيرها عن سواها ، حيث كان العيد بعد عبادة مفروضة ، للاستغناء به عن يوم آخر كان العرب يختلفون به فأبدل الله أنصار خيراً مما كان .

وفي هذا الفصل سنتحدث عن فقه العيدين في الإسلام .

وقد آثرت الحديث عن العيدين لما شرع فيهما من الخطبة تنميماً للبحث وتعريفاً بما في خطبة العيد من فقه وبيان . وسوف يحتاج هذا الفصل للدراسات الآتية :

المبحث الأول : مشروعية العيدين .

المبحث الثاني : قيم إنسانية في العيد .

المبحث الثالث : صلاة العيد .

المبحث الرابع : الأعياد والدعاة .

المبحث الأول

مشروعية العيدين

كان للعرب في الجاهلية يومان يملأنهما باللعب ، والهوى . وتجديد ذكرى الآباء والأجداد ، وقد تخير حكماء العرب هذين اليومين وفق اعتدال الزمن ، والهواء ، والبرودة ، والراحة من التثقل والسفر ، وسموا اليوم الأول بيوم النيروز في أول السنة الشمسية التي تبدأ ببرمهاة ، وسموا اليوم الثاني بيوم المهرجان حينما تتحول الشمس في منتصف السنة الشمسية .

ولم يكن للعرب في يومهما هذين أعمال معينة سوى اللعب وشرب الخمر وسماع الأناشيد . وإلقاء الخطب ، وكانت الحرب توقف فيهما ، وكان الاحتفال بهذين اليومين احتفالاً قومياً يعم العرب جميعاً ، وينتشر في الجزيرة كلها .

وظل أمر العرب على هذا حتى هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة المنورة فأبذلها الله بهما يومين آخرين ، وجعلهما عيدين للمسلمين ، وغير زمنهما ، كما ربط وقتهما بعبادة مفروضة من غير ارتباط باعتدال زمن ، أو هواء ، أو برودة ، وهذان العيدين هما عيد الفطر الذي يأتي عقب شهر رمضان وسمى بعيد الفطر لكون يومه أول يوم يفطر فيه الصائمون بعد نهاية شهر رمضان ، كما سمي اليوم الثاني بيوم النحر لأن الذبائح تنحر فيه تقرباً إلى الله تعالى .

وكانت مشروعية العيدين في السنة الثانية بعد الهجرة ، وأول عيد صلاة رسول الله ﷺ هو عيد الفطر من العام الثاني لهجرته . وبعدها أخذ يواظب ﷺ عليه حتى لقي ربه^١ .

١- الفتح الرباني ج ٦ ص ١١٠

ومما يدل على مشروعية العيدين ما رواه أنس بن مالك رضي الله عنهما أنه قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة . ولهم يومان يلعبون فيهما في الجاهلية فقال ﷺ : " إن الله تبارك وتعالى قد أبدلكم بهما خيرا منها يوم الفطر ويوم النحر " .^١

وقد حدث هذا التبدل في السنة الثالثة من الهجرة الشريفة . والحديث يشير إلى عدم التشبيه بالمشركين في أعيادهم . وقد كان النبي ﷺ بكرة موافقة أهل الكتاب في كل أحوالهم ، حتى قالت اليهود : إن محمدا لا يريد أن لا يدع شيئا من أمرنا إلا خالفنا فيه تمييزا لمسلكهم . وإشارة إلى انحرفهم وإتباعهم لهوى الفكر ، وضلال العقل .

ومن المؤسف أن المسلمين الآن قد خالفوا هذا الهدى النبوي وتنبهوا بأهل الكتاب في عاداتهم وأعيادهم ، كما يحدث في أيام شم النسيم ويوم عيد الأم ويوم عيد العمال . وهكذا .

ولم يقف الأمر بالمسلمين عند الاحتفال بأعياد أهل الكتاب . بل أخذوا منهم كل شيء ضار كمستحدثات الأزياء ، وألوان الرفص ونغمات الموسيقى والغناء ، واختيار ملوك وملكات الجمال . وكل ذلك لا يرضاه الله ولا رسوله ولا يجوز لمسلم فعله قط .

وقد خلط المسلمون عيد الفطر وعيد الأضحى بما هو غير إسلامي . فلم يلتزموا بما شرع لهما . بل ملأوه بما هو غير إسلامي كحفلات السهر في أيام الأعياد ، وبمظاهر الترف والإسراف .

إن الله سبحانه وتعالى شرع للمسلمين العيدين . ويجب أن يحييهما المسلمون بما شرع الله تعالى .

المبحث الثاني

قيم إنسانية في يوم العيد

المسلمون أمة واحدة ، والحب فيهم يجب أن يكون علما صادقا تابعاً من الإخلاص للقلبي ، لأن الواجب بين المسلمين حب أصيل أمامه وحده العقيدة ، ووحدة الهدف المشترك ، وتأكيداً لهذا الواجب شرع الله الأعياد ، ونظم للمسلمين نشاطهم فيها ، وجعلها منبعاً قويا للألفة والاتحاد . وذلك لما يأتي :

أ - ربط العيدين بالعبادة :

شرع الله عيد الفطر بعد رمضان الذي فيه فريضة الصوم . وشرع عيد النحر بعد فريضة الحج ، والصوم والحج من العبادات ذات الطابع الاجتماعي الشامل ، ففي الصوم وحدة في السلوك . ومشاركة في الوجدان . وإدراك لواقع الفقير والمحتاج ، ومع الصوم اجتماع مطول في صلاة التراويح ، وكثرة الإنفاق ، والذكر ، وقراءة القرآن ، وإحساس قوي بالارتباط النفسي بالإسلام والمسلمين بسبب تقييد الشياطين ، وإغلاق باب النار ، وقد ألف المسلمون حياة خاصة مع شهر رمضان ففيه تكثر أعمال الخير . وتزداد مدارس الإسلام ، ويعظم اللقاء بين المسلمين ويتكرر ... ومن هنا كان ارتباط عيد الفطر بالصيام وشهر رمضان نتوجها لهذه الروح التي سادت الناس خلال الشهر ، وكان المسلم يبحث عن إخوته في يوم العيد ليهنئهم بدرجات الفوز والقرب التي حصلوا عليها في رمضان .

والحج - هو الآخر - عبادة يلتقي فيها المسلمون من كل حذب وسوب وقد تجردوا من زخرف الحياة الدنيا ، ولبسوا ملابس بيضاء ككفن الموتى وهجروا الأهل والمال والوطن ، ولتقوا في أماكن نشأة الإسلام الأولى . مليون شه . ذاكربن فضله مؤكثبن العزم على الصدق والوفاء وأداء الواجب . وذلك

في صورة جماعية . وكان هؤلاء الذين يذهبون نوليا عن شعوبهم ، يمثلون في البيعة لله ورسوله ، ويؤكثون الأخوة الإسلامية العامة .
 إن هؤلاء للحجيج قبل أن يرحلوا من بلادهم التقوا بأخوانهم ليوصوهم وليسمعوا الوصايا منهم ، وليدعواهم إلى الله تعالى ، وكانهم ذاهبون إلى لا عودة ، ومشاعر الشعوب هي الأخرى تبقى متصلة بالحجيج ولذلك جعل الله العشر الأوائل من ذي الحجة - وهي أيام الحج - من الفضل الأيام يزداد فيها الثواب . ويكثر الخير^١ . ومن صوم يوم عرفة لغير الحاج ، لكى يحدث الترابط الروحي بين الحاج وقومه . فكلاهما في عبادة وذكر ، فإذا ما جاء يوم العاشر من ذي الحجة كان العيد . فيتخلل الحاج من إحرامه ويعتن صفاءه التام يرمى الجمرات ، والتبرؤ من الشيطان ووساوسه . ويعيش غير الحاج أيام التشويق يكبر فيها عقب كل صلاة . وذلك هو الاشتراك الروحي بين سائر المسلمين .

إن المسلم عليه أن ينحر في يوم عيد الأضحى ، الحاج ينحر شكرا على ما وفق فيه من عبادة وغير الحاج ينحر امتثالا لسنة رسول الله ﷺ ومن هنا يأتي عيد الأضحى في إطار شعور واحد عند المسلمين وهو ارتباطهم بفریضة الحج .

إن ارتباط الأعياد والعبادات يجعلها تأتي والنفوس صافية . والقلوب متعلقة بخالقها . وحب الخير سائد . ولذلك تساهم الأعياد مساهمة إيجابية في تحقيق الحب والمودة والتألف .

١- من الأحاديث الواردة في فضل هذه الأيام ما يأتي :

- أ - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : " قال رسول الله ﷺ : " ما من أيام العمل الصالح فيه أحب إلى الله عز وجل من هذه الأيام يعني الأيام العشر . قالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله قال : ولا الجهاد في سبيل الله إلا إذا خرج رجل بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشئ .
 ب - عن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال : " ما من أيام أعظم عند الله ولا أحب إليه من العمل فيهن من هذه الأيام العشر فأكثر فيهن من التهليل والتكبير والتحميد " .
 ج - عن أبيه الهذلي : قال : قال رسول الله ﷺ : " أيام التشريق أيام أكل وشرب وذكر الله عز وجل " . (الفتح الرباني ج٦ ص ١٦٧ ، ١٦٨)

ب - مشروعية الاجتماع والتزاور :

شرع الله تعالى في يوم العيد الاجتماع . ولذلك كانت صلاة العيد في مصلى واسع يلتقى فيه سائر أهل المصر . حتى يهنئ بعضهم بعضاً . للرجال مع الرجال ، والنسوة مع النسوة . حتى يتم التعارف ويتعمق الود . فعن جابر رضي الله عنه قال : " كان رسول الله ﷺ يخرج في العيدين . ويخرج إلى أهله " ولا يقصد بالخروج مجرد العبادة وإنما المقصود تحقيق الترابط الاجتماعي ، ولذلك تخرج ذوات الحيض . فعن أم عطية رضي الله عنها قالت : أمرنا رسول الله ﷺ بأبى وأمى أن تخرج العواتق بذوات الخدور والحيض يوم الفطر ويوم النحر فأما الحيض فيعتزلن المصلى . ويشهدن الخير ودعوة المسلمين .

قيل : رأيت إحداهن لا يكون لها جنباب .

قال : تلبسها أختها من جنبابها .

وحتى يتم الاجتماع في جو من الألفة والتقبل وعدم الضيق كان الغسل والتطيب والتجمل بالثياب من الأعمال المستحبة في يوم العيد . فلقد روى الفاكه بن سعد رضي الله عنه وكان له صحبة أن رسول الله ﷺ كان يغتسل يوم الجمعة ويوم عرفة ويوم النحر . وكان النبي ﷺ يلبس بردة حرة في يوم العيد . جاء في زاد المعاد أن رسول الله ﷺ كان يلبس يوم العيد أجمل ثيابه ، وكان يأمر أصحابه بالتطيب بأجود ما يجدون في العيد .

وزيادة في لتساع للقاء شرع الله أن يذهب المصلى من طريق ويعود من طريق آخر . ويكون ذهابه وعودته ماشياً ليتمكن من تهنئة أكبر عدد ممكن

١- الفتح الرباني ج٦ ص١٢٤

٢- الفتح الرباني ج١ ص١٢٦ ، وفي العيد حدث على الخروج في العيد لما فيه من تعاون ومحبة وتألف .

٣- الفتح الرباني ج٦ ص١٢٠

٤- زاد المعاد ج٢ ص١١١

من أصحابه بالعيد .

وفى مشروعية جعل الصلاة في مصلى نليل على هدف الإسلام من التجمع وتحقير المصلحة الاجتماعية .

وقد ذهب جمهور السلف والخلف والأئمة لثلاثة (أبو حنيفة . مالك . أحمد) إلى أن الصلاة في الصحراء سنة محتجين بمواهبته ﷺ والخلفاء الراشدين بعده على ذلك . ولم يخالف في هذا إلا الشافعي رحمته في بعض أقواله . ومشروعية صلاة العيد ثبتت بالكتاب والسنة والإجماع . أما الكتاب فقوله تعالى ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَحْزَنْ ﴾ ﴿١﴾ . وأما السنة فلقد تواترت مواظبة الرسول ﷺ على صلاة العيد . وعليه إجماع الأمة إلى يومنا هذا .

ج - مشروعية التهنة بالعيد :

شرح الله للناس أن يهنئ بعضهم بعضاً بيوم العيد فعن حبيب بن عمر الأنصاري قال : حدثني أبي قال : لقيت وائلة يوم العيد فقلت تقبل الله منا ومنك . فقال : تقبل الله منا ومنك .

وقال الإمام أحمد رحمه الله : ولا يلس أن يقول الرجل للرجل يوم العيد تقبل الله منا ومنك .

وحق على المسلم أن يهنئ أخاه بهذا اليوم لما فيه من خير وثواب . فعن أوس الأنصاري أن الناس إذا صلوا عيد الفطر نادى مناد ألا إن ربكم قد غفر لكم فارجعوا راشدين إلى رحالكم فهو يوم الجائزة ويسمى ذلك اليوم في السماء يوم الجائزة .

د - مشروعية اللعب والضرب بالدف :

أباح الله تعالى للمسلمين بأن يلعبن ويضربن بالدف في يوم العيد في إطار الحلال المشروع . فعن عائشة رضي الله عنها أن أبا بكر دخل عليها

١- يرى بعض الفقهاء أن صلاة العيد فرض كفاية . وبعضهم يرى أنها واجب . وبعضهم يرى أنها سنة مؤكدة والجميع على أنها أحد شعائر الإسلام وسماته

وعندها جاريتان في أيام متى تضربان يديين . ورسول الله مسجى عليه بثوبه فانتهرهما فكشف رسول الله ﷺ وجهه فقال : دعهما يا أبا بكر فإنها أيام عيد وقالت عائشة : رأيت رسول الله ﷺ يسترني بردائه وأنا أنظر إلى الحبشة يلعبون في المسجد حتى أكون أنا أسأم فأقعد . فاقنروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على النهو . وكان نهى أبي بكر لظنه أن الرسول ﷺ لم يقر ذلك فلما علم بإقرار الرسول سكت^١ .

١- يحرم أبو حنيفة الغناء العادي . ويبيحه جماعة من أهل الحجاز . ويكرهه الشافعي والمشهور عن مالك كراهته . والجميع يحرمون الغناء الذي يهيج النفس ويدفع إلى الشر . ويؤدى إلى التعطل والكسل . ويتضمن معاني وألفاظا محرمة .

المبحث الثالث

صلاة العيد

صلاة العيد ركعتان يكبر فيهما إثنتى عشر تكبيرة . يكبر في الأولى سبعا عقب تكبيرة الإحرام ، ويكبر في الثانية خمسا عقب تكبيرة القيام من سجود الركعة الأولى بحمد الله ويتلى عليه ويصلى على رسول الله ﷺ بين كل تكبيرتين . ويرفع يده عند كل تكبيرة هذا رأى الشافعي وأحمد والأوزاعي . ومالك يرى أن تكبيرة الإحرام وتكبيرة الركوع داخلتان في عدد التكبير وموضع التكبير عندهم في أول كل ركعة يقرأ بعده الفاتحة وسورة . وأبو حنيفة يرى أن التكبيرات ثلاثا في الركعة الأولى قبل القراءة وثلاثا في الثانية بعد القراءة قبل الركوع مباشرة وبعض الحنفية يجعل العدد سبعا وخمسا في الموضع الذي ذكره أبو حنيفة . وعلى الجملة فالتكبير في صلاة العيد سنة لا تبطل الصلاة بتركه مدا أو سهوا .

وخطبة العيدين هما الجانب للتعليمي الذي يبدأ بهما العيد ، وموضع الخطبة بعد الصلاة كفعل رسول الله ﷺ وعمل السلف الصالح من بعده . وإذا فرغ الإمام من الصلاة استقبل الناس بوجهه . وخطب قائما أو على راحلته لثبوت ذلك عن النبي ﷺ . فعن أبي جميلة قال: " رأيت عليا صلى يوم عيد فبدأ بالصلاة قبل الخطبة ثم خطب على دابته . ورأيت عثمان يخطب على راحلته . ورأيت المغيرة يخطب على راحلته . ورأيت المغيرة يخطب على راحلته " . والسبب في هذا أن المصلى الصحراوي لم يكن فيه مكان عال أو منبر فشرعت الخطبة على الدابة ليكون الخطيب بارزا للناس ، متجها إليهم . والخطبة ثنتان على هيئة خطبة الجمعة يجلس بينهما .

ويبدأ الخطيب خطبته بالتكبير حيث يكبر مع الخطبة الأولى تسعا تترى
ويكبر مع الثانية سبعا تترى .

ويرى شيخ الإسلام ابن تيمية أن يبدأ الخطيب خطبته بالحمد لقوله ﷺ
كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أجزم .

ويجمع بين ذلك بأن يكون الافتتاح بالحمد وبعده يكون التكبير . وتدور
موضوعات خطبة العيد حول الأمر بالطاعة والنهي عن المعصية في كل ما
يناسب اليوم ففي يوم عيد الفطر يأمر بصنفة الفطر ويبين حكمها وقدرها ،
وعلى من تجب . ولمن تجب ؟ وفي يوم عيد الأضحى . يذكر الأضحية .
وفضلها . وحكمها . ووقت ذبحها .

وبالنظر في الآثار الواردة حول خطبة العيدين يلحظ ما يلي :

أولاً : ارتباط خطبة العيد بالأصول العلمية إذ يقف الخطيب على مكان
عال ويبرز للناس .

ثانياً : اشتمال الخطبة على الافتتاح والموضوع والخاتمة .

ثالثاً : تتضمن الخطبة على الأدلة الشرعية المنضمة للأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر .

رابعاً : عموم الموعظة في يوم العيد لأنها تتجه إلى الرجال والنساء
وغيرهم .

وعلى الجملة فإن مشروعية الخطبة في يوم العيد دليل واضح على
اهتمام الإسلام بالعلم ونشره بين الناس .

المبحث الرابع

الأعياد والدعاة

الداعية المخلص لدعوته يعمل لها دائماً وبخاصة في المناسبات التي تنهياً فيها النفوس ، والأعياد من مواسم الهدى لأنها تأتي في إطار العبادات المشروعة . وفيها تكون النفوس مستعدة لتقبل ما يوجه إليها من نصح وإرشاد . إن الناس في الأعياد يتفرغون للراحة . ولهم عاداتهم في التهاني والاجتماع ، والتزاور ، وعلى الداعية أن يدرك ذلك وغيره فيضمن خطبته الموعظة المناسبة لمستمعيه مع محافظته على الصورة الشرعية للخطبة . وعلى الداعية عدم الاكتفاء بالخطبة بل عليه أن يشارك الناس حياتهم في يوم العيد ليكون واحداً منهم . وعليه أن يكون كريماً معهم فيعطي المحتاج ، ويجيب المسائل ، ويكون في قضاياهم وأمورهم . على الدعاة أن يضعوا أنفسهم كما يتمنى المخلصون في صدق وإخلاص ووفاء ، والله من وراء النصر .

وهو نعم المولى ونعم النصير ...



الخلاصة

الخاتمة

وبعد

فقد نجرت بعون الله تعالى هذا البحث عن " قواعد الخطابة وفقه الجمعة والعبيد " حاولت فيه أن أبرز الأسس التي يجب إتباعها لإعداد خطبة حسنة قادرة على الوفاء بالواجب المطلوب من الدعاة .

وعلى الدعاة أن يلتزموا بالأسس العلمية ، وبخاصة في عصرنا الحديث الذي لابد من مواجهة مشاكله بأسس علمية موضوعية .

إن الخطابة المعاصرة لا يصح معها الارتجال المجرد ، البعيد عن الإعداد والاستعداد ، لأن الأفكار عديدة ، والمجتمعات متنوعة ، والشخصيات البشرية مختلفة إلى حد بعيد ، والخطيب الداعية معرض أن يوجد في مجتمع ، وينتقل منه إلى غيره ... وإذا لم يكن محيطاً بقواعد علم الخطابة يعجز عن التغيير الملائم للمجتمع الجديد ... وأيضاً فإن المجتمع الواحد تعثره تغيرات تحولته إلى صورة اجتماعية جديدة . وهذا يقتضي بالضرورة أن يكون الخطيب الداعية ملماً بما يحتاج إليه من علوم المجتمع والناس .

ومن سمو الإسلام وكماله أن تشريعه للخطبة في الجمعة والعبيد . يعتمد اعتماد صحيحاً على قواعد متينة تتفق مع أساسيات العلم ، وأصول الفطرة . ومبادئ المصلحة والسعادة .

إن الدعوة إلى الله تعالى في أمس الحاجة إلى جهد المسلمين ، وبخاصة الدعوة منهم بعد ما أصبحت الدعوة حرفة يقوم بها أفرد مختارون لها ... وإن المرء ليعجب من كثرة الخطباء والدعاة ، وقلة الأثر والنتيجة .

إن أي مدينة ، أو قرية ، أو تجمع صغير لا يخلو من عدد من الخطباء ومع ذلك نلاحظ أنه لا دور لهم ، ولا اهتمام بما يقولون ، مع وجود استعداد لدى الناس ليفهموا ، ويعلموا ...

ويرجع ذلك - والله أعلم - إلى ابتعاد الدعاة والخطباء عن اتباع خطة علمية منظمة تعتمد القواعد والأسس النظرية ، وتحولها إلى طاقة حركية ، وسلوكا عمليا ، وغاية مقصودة .

ولعل في نجاح بعض الدعاة في المحيط الذي يعملون فيه دليلا على أن الإخلاص والصدق في العمل هو الطريق السليم لإفناء الإسلام حقه .

لقد حاولت خلال البحث أن أبين قواعد الخطابة في سائر جوانبها ، وأصل لهذه القواعد إسلاميا ليعلم الجميع أن الإسلام دين راعى قواعد للسعادة ، وحدد طرق الوصول إليها ، وبسر لأتباعه منهج إبراز حقائق الإسلام للناس ، بوعي ، ودقة وإتقان .

إن أي قصور في تبليغ الحق للناس يعود إلى إهمال المسلمين الذي تتمنى له أن لا يكون .

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يحقق مارجوته . ويهديني سواء السبيل .
ولن يتقبل مني هذا العمل ويجعله لي نورا في الأرض ونخرا في السماء .

والله ولي التوفيق ،،،

أ.د / أحمد أحمد غلوش

فهرس الموضوعات



فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٩	مقدمة الطبعة الثانية
١١	مقدمة الطبعة الأولى

الفصل التمهيدي

المدخل إلي قواعد الخطابة

١٧	تمهيد
١٨	المبحث الأول : تعريف علم الخطابة
٢٧	المبحث الثاني : أهمية الخطابة للدعوة الإسلامية
٣٧	المبحث الثالث : علاقة علم الخطابة بالعلوم الأخرى
٤٥	المبحث الرابع : نشأة الخطابة وتطورها

الباب الأول

قواعد علم الخطابة

٥٩	تمهيد
----	-------

الفصل الأول

الخطبة

٦٣	تمهيد
٦٤	المبحث الأول : إعداد الخطبة
٦٧	المرحلة الأولى : اختيار الموضوع

٧٥	المرحلة الثانية : إيجاد العناصر
٧٨	المرحلة الثالثة : اختيار الأدلة
٨٣	المرحلة الرابعة : التعبير البياني
٨٨	أ - خصائص التعبير الخطابي
٩٨	ب - الفروق بين التعبيرين الخطابي والكتابي
١٠٢	المبحث الثاني : محتويات الخطبة
١٠٣	أولاً : رأى العلماء في أجزاء الخطبة
	ثانياً : أجزاء الخطبة
١٠٦	الجزء الأول : الافتتاح
١١١	الجزء الثاني : بيان الموضوع
١١٣	الجزء الثالث : تحديد العناصر
١١٥	الجزء الرابع : الأدلة والتعبير
١١٥	أ - البيان
١٣٠	ب - المناقشة
١٣٣	الجزء الخامس : الخاتمة
١٣٥	المبحث الثالث : أنواع الخطبة عند أرسطو
١٣٥	— المشورية
١٣٦	— المشاجرية
١٣٧	— التثبينية
١٣٩	المبحث الرابع : الأنواع الحديثة للخطبة
	النوع الأول : الخطابة الوعظية
١٤٠	١- تعريف الخطبة الوعظية
١٤٠	٢- موضوع الخطابة الوعظية
١٤١	٣- أهمية الخطابة الوعظية
١٤٤	٤- خصائص الخطابة الوعظية

- ١٤٩ ٥- حالة الخطابة الوعظية اليوم
- ١٥١ ٦- طريقة النهوض بالخطابة الوعظية
- ١٥١ أولا : إخلاص الواعظ
- ١٥٢ ثانيا : الإحاطة بالموعظة
- ١٥٣ ثالثا : معرفة الدعوة
- ١٥٧ رابعا : معرفة المدعوين
- ١٥٧ خامسا : معرفة لغة المدعوين
- ١٥٨ سادسا : الالتزام بالأصول العلمية
- ١٥٩ سابعا : ربط الوعظ بالواقع
- ثامنا : نماذج للخطب الوعظية
- ١٦١ ١- آثار الإيمان الاجتماعية
- ١٦٦ ٢- الجهاد ودوره في الدعوة إلى الله
- ١٧١ ٣- من سمات القيادة المحمدية
- ١٧٨ ٤- من ذكريات الهجرة إلى المدينة المنورة
- ١٨٤ ٥- العلم ونظرة الإسلام إليه
- ١٨٩ ٦- دع الفلق وابدأ الحياة
- النوع الثاني : الخطابة السياسية
- ١٩٤ التعرف بالخطابة السياسية
- ١٩٦ عوامل ازدهار الخطابة السياسية
- ١٩٩ خصائص الخطابة السياسية
- ٢٠٤ النوع الثالث : الخطابة القضائية
- ٢٠٧ النوع الرابع : الخطابة العسكرية
- ٢١١ النوع الخامس : الخطابة الاجتماعية
- ٢١٨ المبحث الخامس : بين الخطبة وأشباهها من فنون القول
- ٢١٩ ١- بين المناقشة والخطبة

- ٢٢٢ ٢- بين المحاضرة والخطبة
 ٢٢٧ ٣- بين المناظرة والخطبة
 ٢٢٩ ٤- بين الدرس والخطبة

الفصل الثاني الخطيب

- ٢٣٣ تمهيد
 ٢٣٥ المبحث الأول : الخطيب بين الفطرة والاكتماب
 ٢٤٢ المبحث الثاني : إعداد الخطيب
 ٢٥٠ المبحث الثالث : الصفات العقلية للخطيب
 ٢٥٠ ١- عمق النظرة
 ٢٥١ ٢- سعة المعارف
 ٢٥٦ ٣- قوة الذاكرة
 ٢٦٠ المبحث الرابع : الصفات الأخلاقية للخطيب
 ٢٦٠ أ - الثقة بالنفس
 ٢٦١ ب - المشاركة الوجدانية
 ٢٦٢ ج - الطيبة العملية
 ٢٦٣ د - عدم التردد
 ٢٦٤ هـ - مراعاة المستمع
 ٢٦٥ و - الروح الجماعية
 ٢٦٥ ح - عدم مصانمة الغرائز
 ٢٦٧ المبحث الخامس : الصفات البيانية للخطيب
 ٢٦٧ أهمية الصفات البيانية
 ٢٦٩ أولاً : النطق الحسن
 ٢٧٢ ثانياً : التخلص من العيوب الصوتية

- ٢٧٣ ثلثا : تخير المعالي الجادة
 ٢٧٤ المبحث السادس : الصفات الشكائية للخطيب

الفصل الثالث المستمعون

- ٢٨١ تمهيد
 ٢٨٢ المبحث الأول : مراعاة عقلية المستمعين
 ٢٨٦ المبحث الثاني : ملاحظة الاتجاهات السائدة بين المستمعين
 ٢٨٨ المبحث الثالث : مراعاة المناسبات والاستفادة منها
 ٢٩٠ المبحث الرابع : مراعاة الاختلافات المهنية للمستمعين

الباب الثاني فقه الجمعة والعيدين

- ٢٩٣ تمهيد

الفصل الأول فقه الجمعة

- ٢٩٧ تمهيد
 ٢٩٨ المبحث الأول : اسم الجمعة
 ٣٠٠ المبحث الثاني : فضل يوم الجمعة
 ٣٠٣ المبحث الثالث : قيم إسلامية من خلال فقه الجمعة
 ٣١١ المبحث الرابع : شروط الجمعة وإيجابية الجماعة
 ٣١١ — شروط فرضية الجمعة
 ٣١٨ — شروط صحة الجمعة

٣٢٤	المبحث الخامس : الخطبة
٣٢٤	١- مشروعية الخطبة
٣٢٦	٢- أركان الخطبة
٣٢٩	٣- الأركان والخطبتان
٣٣٠	٤- سنن الخطبة
٣٣١	٥- هدى للنبي ﷺ في الخطبة
٣٣٢	٦- خطبة الجمعة والقواعد العلمية
٣٣٥	٧- دور الخطبة الثانية
٣٣٧	المبحث السادس : نماذج من الخطب المأثورة

الفصل الثاني

فقه العيدين

٣٤٣	تمهيد
٣٤٤	المبحث الأول : مشروعية العيدين
٣٤٦	المبحث الثاني : قيم إسلامية في يوم العيد
٣٥١	المبحث الثالث : صلاة العيد
٣٥٣	المبحث الرابع : الأعياد والدعاء

الخاتمة

٣٥٧

الخاتمة

" والحمد لله رب العالمين "



